# الإنسان الكامل

# في

# نهج البلاغة

الأُستاذ العلاّمة

حسن حسن زاده الآملي

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولاية مولانا الإمام الوصيّ أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام) والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.**

**إنّ كتاب «نهج البلاغة» العظيم «بحرٌ لا يُنزف وغمرٌ لا يُسبر»، «كتاب لو يمرّ نسيمه بقبر لأحيا نشره صاحب القبر.«**

**إنّ موضوع واسم هذه الرسالة المتواضعة هو «الإنسان الكامل في منظور نهج البلاغة «يتقدم به ويهديه هذا الملتجىء بعتبة الولاية «حسن حسن زاده الآملي» إلى ساحة أهل الدراية والولاية المباركة، آملا أن يحظى بقبول أصحاب الفكر والنظر.**

**وقد نظمّته بمقدّمة ومدخل وأحد عشر باباً.**

**أما «المقدّمة» ففي أنّ:**

# المعجزات القولية للسفراء الإلهيين

# أقوى حجة على كونهم حجج الله

**مثلما يعدُّ القرآن الكريم أفضل حجة على رسالة خاتم الأنبياء محمّد المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) فكذلك تعدّ روايات أوصيائه(عليهم السلام) أفضل حجة على كونهم حجج الله، فهم (صلوات الله عليهم) أفضل أدلّة على إمامتهم، إذ «الدليل دليل لنفسه «وهل الشمس بحاجة إلى دليل حين تشرق.**

**فلو أنّ أحداً أمعن وتدبّر في روايات أهل البيت(عليهم السلام) وفي خطبتهم وكتبهم ورسائلهم، وخاصّة في أدعيتهم ومناجاتهم، ونظر إليها نظر فاحص ومنصف، لاعترف بأنّ كلّ هذه المعارف الحقّة لا يمكن أن تصدر عن أشخاص وأوتاد وأبدال لم يحضروا مدرسة ولا أُستاذاً; غير تلك النفوس المؤيّدة بروح القدس.**

**وإنّ هذه العلوم المرويّة عن الأئمة المعصومين(عليهم السلام) تكفي الإمامية مؤونة إثبات أحقية الخلافة والإمامة لأُولئك العظماء إماماً فإماماً بل إنّ الصحاح الستة وكتب الحديث الأُخرى لأهل السنّة تكفي وحدها لإثبات هذا الموضوع الجليل.**

**إنّ كلمات السفراء الإلهيين وحاملي الوحي، وروايات أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)نفسها هي أفضل حجّة ودليل على إمامتهم وحجّيتهم، فالدليل دليل لنفسه، وشروق الشمس دليل على وجودها، و «نهج البلاغة» وشروق الشمس يعدّ نموذجاً بارزاً لأمثال هذه البضائع الثمينة في «أسواق المعرفة.«**

**ان الروايات هي المرتبة النازلة للقرآن، كما أنّ القرآن هو المرتبة الصاعدة للروايات، وروحها.**

**والروايات بطون الآيات القرآنية وأسرارها الصادرة عن أهل بيت العصمة والوحي المرزوقين بـ «العلم اللدني». ولا يخفى أنّ مثل هذه المعاجز الكلامية لم تُروَ عن أحد من الصحابة والعلماء ـ بعد القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) ـ سوى عن الأئمّة المعصومين الاثني عشر(عليهم السلام). ومن يقول بخلاف ذلك فليُطْلعنا على نموذج منها. وإذا كان هناك من يعرف عدلا لأقوال وكلمات آل طه )من نهج البلاغة حتى توقيعات الحجة (عج) ) فليخبرنا بها، أما نحن فمهما طال بحثنا لم نعثر على شيء.**

**ثم ان الحديث ليس مجرد صياغة عبارات مقفّاة وكلمات مسجوعة فحسب بل الحديث عن الفصاحة والبلاغة في الكلام.. عن البيان المليء بالحقائق بأفضل التعابير العربية المتينة، وصبِّ أفضل المعاني في أجمل وأبلغ قوالب العبارة**

**واللفظ، مما يعجز عن فهمه نوابغ الدهر وأساطين كلّ فنّ، ويمدّون أيديهم بالتضرع والابتهال إلى عالم الملكوت ليمنحهم فهم وإدراك تلك الأقوال والأحاديث.**

**فالأدعية المأثورة كلّ منها مقامٌ من المقامات الإنشائية والعلمية والعرفانية لأئمّتنا(عليهم السلام).**

**ان اللطائف الشوقية والعرفانية والمقامات الذوقية والشهودية الّتي تختزنها الأدعية لا توجد في الروايات، وذلك لأنّ المخاطب في الروايات هم الناس، وأنّ الأئمّة يتحدثون معهم بما يناسب عقولهم وأفهامهم، لا كلّ ما يقال، «كما في البحار عن المحاسن عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) انّه قال: إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم»(1).**

**أما في أدعيتهم ومناجاتهم(عليهم السلام) فكانوا بين يدي الجمال والجلال المطلق، والمحبوب والمعشوق الحقيقي، فتفوّهوا بكلّ ما في أعماق دار السر ومنزل الحب وبيت الأدب، وأظهروه على ألسنتهم.**

**إنّ معاجز السفراء الإلهيين على قسمين: قولية وفعلية، المعجزات الفعلية هي التصرّف في الكائنات وتسخيرها والتأثير فيها، بقوة الولاية التكوينية الإنسانية بإذن الله تعالى، كما في شقِّ القمر، والأرض، والبحر، والجبل، والشجر، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وغير ذلك.**

**فكان إبراء الأكمه والأبرص من قِبل السيد المسيح(عليه السلام): (وأُبريء الأكمه والأبرص وأُحي الموتى بإذن الله)(2) وكان شقّ الجبل من النبيّ صالح(عليه السلام) كما ورد في التفاسير لقوله تعالى: (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)(3).**

**وكان شقَّ القمر وشقّ الشجر من قِبَل خاتم الأنبياء(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث وردت الواقعة في نهج البلاغة ـ في الخطبة القاصعة ـ : يقول أميرالمؤمنين(عليه السلام) «ولقد كنت معه(صلى الله عليه وآله وسلم) لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمّد، انك قد ادّعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه، علمنا أ نّك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أ نّك ساحر كذّاب. فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): «ما تسألون؟». قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن الله على كلّ شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحقّ؟» قالوا :نعم، قال: «فإنّي سأُريكم ما تطلبون، وإنّي لأعلم أ نّكم لا تفيئون إلى خير، وإنّ فيكم من يُطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب» ثم قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أ نّي رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله». فوالّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير حتى**

وقفت بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)... الخ الخطبة.«

إن قلع باب خيبر من قِبل يد الله أميرالمؤمنين الإمام عليّ(عليه السلام) هو من المعجزات الفعلية وقدرة الولاية التكوينية له (صلوات الله تعالى عليه).

روى العالم الجليل عماد الدين الطبري (من أعلام القرن السادس الهجري) في كتاب »بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» بإسناده ان عليّاً(عليه السلام) قال:

»والله ما قلعتُ باب خيبر وقذفت به أربعين ذراعاً لم تحسّ به أعضائي، بقوة جسدية ولا حركة غذائية ولكن أُيّدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربّها مستضيئة.«

كما روى هذا الحديث نفسه، الشيخ الصدوق في المجلس السابع والسبعين من أماليه، باختلاف يسير في اللفظ بإسناده أيضاً.

أما المعجزات القولية والكلامية فهي العلوم والمعارف والحقائق الّتي نزل بها أُمناء الوحي من حَظيرة القدس على المرسلين ـ على حد تعبير الإمام الوصيّ في خطبة الأشباح ـ في نهج البلاغة.

فالقرآن الكريم هو رأس قائمة المعجزات القولية، تليه المعارف الصادرة عن أهل بيت الوحي والعصمة وهي المنطق الصواب وفصل الخطاب، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية وكتب الحديث، وهي مرتبة القرآن النازلة، وإن كانت كاشفة عن أسراره وبطونه وتأويلاته أيضاً.

ان المعجزات الفعلية مؤقتة ومحدودة بحدود الزمان والمكان وهي مخلوقات الساعة، وسريعة الانقضاء، ولا يبقى لها بعد وقوعها سوى الوصف التاريخي والبُعد الخبري، خلافاً للمعاجز القولية الّتي هي معاجز على مرّ الزمن وتظل باقية إلى الأبد.

ان المعاجز الفعلية هي للعوام الذين أدركوا المحسوسات والنشأة الطبيعية وألِفوها وتطبّعوا عليها ولم يجرّبوا السفر إلى ما وراء الطبيعة. فهذا الصنف من الناس عليه أن يدرك بالحواس ـ وبشكل خاص بالعين ـ ليرى بعينه ويقتنع. وهؤلاء محرومون من الوصول إلى البهجة المعنوية، ونيل اللذات الروحية والسير في ديار المعقولات والمرسلات الفسيحة، بل حتى العبادات الّتي يؤدونها هي على أمل تفكيرهم القاصر في نيل الحور والقصود، ولم يتذوقوا عبادة الأحرار والعشاق. وأخيراً فهم عوامّ سواء احترفوا الصناعة والكلمات المادية أم لا. يقول أميرالمومنين(عليه السلام): »إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْاَحْرَارِ»(4).

فللخواص ـ الذين يشكّلون القوة العاقلة والمفكرة للمدينة الإسلامية الفاضلة ـ العلوم والمعارف. هذه الطائفة يطلبون المعجزات القولية الّتي هي موائد السماويين ومآدب الروحانيين، فهم يزِنون المطالب ويفهمون الكلام ويعرفون الدرر، ويعلمون ما هي بضاعة العلم ومن أين مصدرها، وعلى حد تعبير الخواجة في شرح الإشارات: «الخواصّ للقولية أطوع، والعوام للفعلية أطوع.«

وأساساً فإن الإنسان ـ ومع الاحتفاظ ـ بموضوع الإنسان وعنوانه ـ ما هو إلاّ تلك العلوم والمعارف، وإلاّ الشوق واللهفة إليها، وإلى الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة، وإلاّ فإن الثروة المادية ليست إلاّ تراباً في مهب الريح، والإنسان فيه كالطفل الّذي يلعب بذلك التراب، وكما قيل: فإن «التراب ربيع الصبيان.«

إن العاقل يستسقي إكسير الكمال المطلق، كما أن العارف يبحث عن الفناء في تأمّل جمال الحقّ.

## كلام رفيع للمير داماد في «القبسات» في المعجزة القولية والفعلية

وللمرحوم الميرداماد(قدس سره) كلام منيع ورفيع في المعاجز القولية والفعلية في آخر كتاب «القبسات» يقول في المعاجز القولية:

»وبالجملة تنافس الحكماء في الرغائب العقلية أكثر ـ وعنايتهم بالأُمور الروحانية أوفر، سواءٌ عليها أكانت في هذه النشأة الفانية، أم في تلك النشأة الباقية ولذلك يفضّلون معجزة نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) أعني القرآن الحكيم والتنزيل الكريم وهو النور العقلي الباهر، والفرقان السماوي الزاهر (الداهر ـ خ ل) على معجزات الأنبياء من قبل، إذ المعجزة القولية أعظم وأدوم ومحلّها في العقول الصريحة أثبت وأوقع، ونفوس الخواصّ المراجيح لها أطوع وقلوبهم لها أخضع.«

**ويقول في المعاجز الفعلية:**

»وأيضاً ما من معجزة فعلية مأتي بها إلاّ وفي أفاعيل الله تعالى قبلنا من جنسها أكبر وأبهر منها وآنق وأعجب وأتقن، فخلق النار مثلا أعظم من جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم، وخلق الشمس والقمر والجليدية والحس المشترك أعظم من شقّ القمر في الحس المشترك. ولو تدبّر متدبّر في خلق معدّل النهار ومنطقة البروج متقاطعين على الحدّة والانفراج لا على زوايا قوائم وجعل مركز الشمس ملازماً لسطح منطقة البروج في حركتها الخاصة وما في ذلك من

استلزام بدائع الصنع وغرائب التدبير واستتباع فيوض الخيرات وروائح البركات في آفاق نظام العالم العنصري لدهشته الحيرة وطفق يخرّ مبهوراً في عقله مغشيّاً عليه في حسّه، وذلك إن هو إلاّ فعل من أفاعيله سبحانه وصنع ما من صنائعه عزّ سلطانه، فأما نور القرآن المتلألىء شعاعه سجيس الأبد فلا صودف في الأولين ولن يُصادف في الآخرين فيما تناوله العقول وتبلغه الأوهام من جنسه ما يضاهيه في قوانين الحكمة والبلاغة، أو يدانيه في أفانين الجزالة والجلالة»(5).

ان الكلام هو في المعجزات القولية للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. فلقد عُرف صحابة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في كتب السير وتراجم الرجال والطبقات والتواريخ، ونقل فيها غرر كلماتهم من شعر ونثر، فأيّ منهم كان في واحدة من أوصافه الكمالية وفضائله الإنسانية كفؤاً أو عِدْلا لعليٍّ(عليه السلام) أو على الأقل تفوّه ـ تقليداً أو محاكاة له ـ بخطبة تشبه احدى خطبه التوحيدية في نهج البلاغة؟! مع انّه(عليه السلام) كان يرتجل تلك الخطب في الموارد اللازمة. فليقل الآخرون في تروٍّ وتأن واحدة مثلها!!!

ان الخطبة رقم (184) من نهج البلاغة هي واحدة من الخطب التوحيدية للإمام، والّتي يقول في عنوانها الشريف الرضي: «وتجمع هذه الخطبة من أُصول العلم ما لا تجمعه خطبة» ويمر اليوم أكثر من ألف وأربعمائة سنة على هجرة الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم (بين يدينا آثار نوابغ الدهر من أصحاب العلوم العقلية والمعارف العرفانية ومدّعي المكاشكات الذوقية والكتّاب المشهورين في العالم أجمع، وفي جميع أصقاع الأرض.. من قبيل الإسلام وبعده .. ولا يسع أحداً منهم أن يمنح نفسه الحقّ بأن يقارن بين كتاب له وبين بند من بنود هذه الخطبة فقط.

واليوم، حيث يقال: ان مستوى العلوم والمعارف قد ارتقى، وانّه عصر التقدم العلمي والتطور الثقافي، وقد ازدادت شهوة التأليف بشكل عجيب، من بوسعه أن يأتي بما يوازي بنود هذه الخطبة فقط.

أي أديب أو فنّان يستطيع أن ينشىء كلاماً على غرار عبارات الإمام في هذه الخطبة ويقلّد صُوَرها.. وهذه «مقامات الحريري وبديع الزمان الهمداني» و «منشآت المعري» و «خطب ابن نباته» و «رسائل ابن العميد» و «مكاتيب عبدالحميد» و «الكامل للمبرد» و «أدب الكاتب لابن قتيبة» و «البيان والتبيين للجاحظ» و «أمالي القالي» و...، تشهد بذلك.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 170 هـ : «إن أفضل كلمة ترغّب الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة قول أميرالمؤمنين(عليه السلام): (قدر كلّ امرئ ما يحسن).(6)«

أما أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفّى عام 255 هـ) وأول جامع للكلمات القصار لأميرالمؤمنين(عليه السلام)

إذ اختار مائة كلمة قصيرة للإمام وسماها بـ «مطلوب كلّ طالب من كلام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب» فقد قال في وصف تلك الكلمات «كلّ كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب.«

وفي الجزء الأوّل من «البيان والتبيين» وفي وصف قول الإمام(عليه السلام): «قيمة كلّ امرئ ما يحسن» قال:

»قال عليّ(رحمه الله): «قيمة كلّ امرئ ما يحسن» فلو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّوجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله.«

ويقول ابن خلكان في «وفيات الأعيان» المعروف بتاريخ ابن خلكان في ترجمة عبدالحميد مايلي:

»أبو غالب عبدالحميد الكاتب البليغ المشهور كان كاتب مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أُمية وبه يُضرب المثل في البلاغة حتى قيل فُتحت الرسائل بعبدالحميد وخُتمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كلّ فنّ من العلم والأدب إماماً.«

ثم ينقل (ابن خلكان) عن (عبدالحميد الكاتب) انّه قال:

»حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت»، ويقصد بالأصلع عليّاً(عليه السلام) .

كذلك يقول ابن خلكان في الكتاب المذكور في ترجمة ابن نباتة (صاحب الخطب): «أبو يحيى عبدالرحيم بن نباتة صاحب الخطب المشهورة كان إماماً في علوم الأدب». ثم ينقل عنه قوله:

»حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام.«(

ان منطق النهج الّذي هو معيار الصدق ومحك الحقّ، يَعتبر قيمة الإنسان بحظّه من الحقائق النورية الكلية لحظائر قدس الملكوت، وكما قال هو(عليه السلام) لصاحبه كميل بن زياد رضوان الله عليه.

»إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»(7).

لقد كانت للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) معاجز فعلية كثيرة، لكن معجزته الخالدة والباقية إلى يوم القيامة هو القرآن الكريم أي الصورة الكتبية له(صلى الله عليه وآله وسلم) فهو وحده الناطق بالصواب وهو فصل الخطاب وهو خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام.

# قبلة المدينة المنورة معجزة الرسول الفعلية

**نعم ان المعجزة الفعلية الوحيدة الباقية للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) هي قبلة المدينة المنورة. فقد حدّد(صلى الله عليه وآله وسلم) القبلة فيها في غاية الدقّة والاستواء ومن دون اللجوء إلى استعمال الآلات أو القواعد الفلكية أو خطوط الطول والعرض، حيث وقف(صلى الله عليه وآله وسلم)إلى الكعبة وقال: «محرابي على الميزاب.«**

**وقد فصّلنا البحث في هذا الموضوع الأسمى والأسنى في كتابنا «دروس معرفة الوقت والقبلة» فمن شاء فليراجع(8).**

**إنّ يد الحواس لتقصر عن الوصول إلى ثمار معارف الأغصان المعتدلة لشجرة النبوة(9) وان الأفكار المستأنسة بالماديات لتحسر عن إدراكها.**

**ان الّذي من شأنه أن يفهم أسرار خزائن خزّان الوحي، وأن يتشرّف بحريم فهم لطائفهم القلبية لهو العقل الناصح والقلب المجتمع والقوة القوية فوق طور العقل، وكما عبر عنه النهج نفسه من :**

**»إِنَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لاَ يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ»(10).**

**وقد أُثِر في هذا المعنى عبارات عميقة أُخرى من وسائط الفيض الإلهي.. يفتح كلّ منها باباً من أبواب المعرفة الشهودية الّتي هي فوق مستوى المعرفة الفكرية، لجميع النفوس على اختلاف مراتبها ودرجاتها.**

**فإنّ الأحاديث ـ أيضاً ـ مراتب، وإن كانت كلها دون رتبة القرآن المجيد. وسيأتي بيانه.**

**فنرى (صدر المتألهين) في شرح أُصول الكافي وفي معرض ابتهاله إلى الفيّاض المتعال يسأله التوفيق في فهم كلمات آل محمّد عليهم الصلاة والسلام ويقول مبتهجاً في تعليقة الفصل السابع، المسلك الخامس من الأسفار (في اتحاد العقل والعاقل والمعقول): «كنت حين تسويدي هذا المقام بكهك من قرى قم، فجئت زائراً لبنت موسى بن جعفر(عليهما السلام) منها وكان يوم جمعة، فانكشف لي هذا الأمر بعون الله تعالى .«**

**وكان تاريخ هذا الكشف وهذه الافاضة في ضحوة يوم الجمعة السابع من جمادى الأُولى سنة ( 1073هـ) وكان عمر (صدر المتألهين) يومها يتجاوز الخمسين عاماً، كما أشار هو إلى ذلك في تعليقته الأُخرى على الفصل المذكور:**

**«تاريخ هذه الافاضة كان ضحوة يوم الجمعة سابع جمادى الأُولى لعام سبع وثلاثين وألف من الهجرة وقد مضى من عمر المؤلف ثمان وخمسون سنة.«**

**ولقد نقلت هاتين التعليقتين من نسخ الأسفار الموجودة عندي.**

**مضافاً إلى أن الكلمات الصادرة عن أهل البيت(عليهم السلام) ليست مناهج وثروات أدبية ـ من حيث الفصاحة والبلاغة**

**ـ لأمثال عبدالحميد وابن نباته، وحسب، بل انّها ـ أيضاً ـ النهج القويم والطريق المستقيم في جميع شؤون الحياة الإنسانية.**

**فأي مسؤول سياسي أو قائد اجتماعي قدّم في التنظيم الإداري وادارة الدول وقوانين صياغة المدينة الفاضلة وآداب الراعي والرعية كالذي قدّمه الإمام عليّ(عليه السلام (في عهده إلى مالك الأشتر النخعي رضوان الله عليه؟ وهذه وثائق (أردشير) ورسائله وعهوده إلى الوزراء والقادة والأُمراء، وغير أردشير!**

**أي قائد عسكري أو أمير من أُمراء القتال والجيوش استطاع أن يعلم آداب الحرب وقواعد القتال والمبارزة مع العدو بمثل ما جاء في عدة فصول من نهج أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)؟! وهذا كتاب سياسة الحروب للهرثمي وكتاب الحرب في عيون الأخبار لابن قتيبة وآداب الحرب لـ (مباركشاه) وتبصرة أرباب الألباب للطرطوسي وغيرها!**

**أي عارف وصاحب مراحل ومنازل، لكلماته طعم وأثر إلى جانب مشرب العرفان وكلمات سيّد العرفاء عليّ(عليه السلام)؟! وهذه «الفصوص» و «الفتوحات» و «مصباح الانس» و »التمهيد»... كلها شهود عدل بين يدي نهج البلاغة.**

**أي حكيم متألّه يجرؤ على أن يمسك القلم ويكتب إلى جانب خطب عليّ التوحيدية؟ وهذه رسائل الفارابي والشفاء والإشارات للشيخ الرئيس (ابن سينا) والقبسات والأسفار للميرداماد والملا صدرا حاضرة وشاهدة!**

**ان الحكيم ليفزع أمام «ينحدر عني السيل» وان العارف ليندهش أمام «ولا يرقى اليَّ الطير.«**

**لقد شرّحت كلماته في وصفت المتقين شريحاً(11) ولقد تركت كلماته في وصف الطبيعة والخفاش والطاووس أمثالي عاجزين عن البيان، بل تركت الأُدباء والشعراء أمثال منوچهرى حيرى في وصفه الرائع.**

**وخلاصة القول ـ والقول الحقّ ـ ما قاله الإمام(عليه السلام) في الخطبة رقم 231 في نهج البلاغة بعباراته البليغة:**

**«وَإِنَّا لاَمُرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصوُنُهُ»(12).**

**امعنوا النظر في هذه العبارة نفسها وتدبّروها ، غوصوا في أعماقها وأُنظروا أية جملة قصيرة هي من حيث اللفظ، ولكن أية معان رفيعة تكتنزها. وهذا الكلام ـ ذاته ـ خير شاهد صدق على صدوره من أمير البيان.**

**فكم يجب على مثلي أن يجهد نفسه لكي يؤدي حقّ بيانه، وأن يعترف ـ في النهاية ـ بعجزه عن ذلك.**

**»وَإِنَّا لاَمُرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصوُنُهُ» «نهج البلاغة: الخطبة 231.«**

## أسانيد نهج البلاغة

**انّ كلمات الإمام في «نهج البلاغة» ليست نهجاً للبلاغة فحسب، بل هي النهج القويم والطريق المستقيم في جميع شؤون الحياة الإنسانية. ولما كان الشريف الرضي (رضوان الله عليه) صاحب قلم قويّ في الأدب، وسحره أُسلوب الإمام واستهواه، فقد رآه ـ من وجهة نظره الأدبية ـ انّه نهج للبلاغة وسماه كذلك.**

**ان »نهج البلاغة» كتاب لو بحث فيه حسب الترتيب الهجائي للموضوعات في أي حقل من حقول العلم والمعارف الإلهية الحقة لوجد أنّ فيه أُصولا وأُسساً وقواعد يمثل كلّ منها شجرة طيبة لها فروع وأثمار كثيرة: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِين بِإِذْنِ رَبِّهَا).**

## العقلية وقد وردت مصادرها وأسانيدها في نهج البلاغة

**مثلا: البحث في الأوّل، الآخر، الإنسان، الإيمان، الإمامة، البرهان، البسط، الجسم، الجلاء، الجزاء، الحقّ، الحساب، الحجاب، الحركة، الحبط، الختم، الخلق، الدعاء، الدنيا، الذكر الرب، الرسول، الرؤية، الروع، الرزق، الرضا، الزهد، الزيغ، الزوال، السرمد، السبات، السمع، السعادة، الشقاء، الشأن، الصورة، الصبر، الصراط، الضلالة، الطلب، الطاعة، الطريقة، الطمأنينة، الطهارة، الظل، الظهور، الظلم، العدل، العلم، العمل، العرفان، العمى، الغيب، الغفلة، القبض، القول، الكتاب، الكلام، الليل، اللقاء، الموت، الملك، النور، النبوة، النفس، الوجود، الوحدة، الوجه، الوحي، الولاية، الوزن، الهمة، الهداية، الهجرة، اليوم، اليقظة، اليقين.. ونظائرها هي من الموضوعات الموجودة في الحكمة المتعالية مما وردت في كلمات أميرالمؤمنين(عليه السلام) سواء في النهج أو غيره. ويمكن الوصول إلى أسانيد ومصادر مهمة حول كلّ منها مما يمكن الوصول إليها وإدراك عمق أحكامها ومسائلها في ظل «الولاية.«**

**كما استند ويستند أساطين العرفان والحكمة المتعالية في الأُمور المذكورة إلى كلام »إمام الكل في الكل» في كتبهم القيمة.**

## كلام صدر المتألهين حول كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام)

**فمثلا ان صدر المتألهين يتمسك ويتبرك في الهيات أسفاره (في نفي زيادة الصفات عن ذات الواجب، وبعبارة أُخرى في عينية الصفات الكمالية مع الذات الأحدية) بالخطبة الأُولى في نهج البلاغة ويقول:**

»وقد وقع في كلام مولانا وإمامنا مولى العارفين وإمام الموحّدين ما يدل على نفي زيادة الصفات لله تعالى بأبلغ وجه وآكده حيث قال في خطبة من خطبه المشهورة» :أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ... الخ»(13.(

كذلك فإنّ الأعلام الآخرين ـ أعمّ من الخاص والعام ـ منذ صدر الإسلام وإلى اليوم، وفي الفنون المختلفة لمؤلفاتهم من العلوم الأدبية وحتى العرفان ـ يتبرّكون بكلمات وليّ الله الأعظم وإمام الأنام ويستشهدون بها، مما يستلزم نقل طائفة منها ـ لا كلها ـ كتاباً مستقلا عظيماً.

ولعظمة مقام، ومنزلة أقوال ذلك الإمام الهمام، والّتي هي مسحة من العلم الإلهي وقبس من نور مشكاة الرسالة ونفحة من شميم رياض الإمامة، فقد بذل الكثير من العظماء منذ زمان الإمام حتى اليوم سعياً بليغاً في جميع كلماته وأوْلوه الاهتمام اللائق، ومنهم:

## عبيدالله بن أبي رافع جامع قضاياه(عليه السلام)

فقد ذكر الشيخ الطوسي(قدس سره) (المتوفى 460 هـ) في فهرسته أنّ عبيدالله بن أبي رافع، كاتب أميرالمؤمنين(عليه السلام) قد جمع قضاياه. قال: «عبيدالله بن أبي رافع(رضي الله عنه)كاتب أميرالمؤمنين(عليه السلام) له كتاب قضايا أميرالمؤمنين(عليه السلام) أخبرنا به أحمد بن عبدون ـ إلى قوله ـ: عن محمّد بن عبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن أميرالمؤمنين(عليه السلام) وذكر الكتاب بطوله.«

## زيد بن وهب الجهني المخضرم جامع خطب الإمام(عليه السلام)

كذلك قال الشيخ الطوسي في كتاب «الفهرست:«

»زيد بن وهب له كتاب خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام) على المنابر في الجمع والأعياد وغيرهما، أخبرنا أحمد بن محمّد ـ إلى قوله ـ : عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور الجهني عن زيد بن وهب قال خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام)وذكر الكتاب...«

## عبيد وزيد هما أوّل من جمع قضايا أمير المؤمنين(عليه السلام)

زيد بن وهب المكنّى «أبو سليمان الجهني الكوفي المخضرم»(14) أسلم على عهد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

غير انّه لم يتشرف بلقائه ولم يدركه، فقد ارتحل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى وزيد في طريقه إليه، ولهذا لا يعدّون زيداً من الصحابة وإنّما هو من التابعين، وكان من كبارهم. توفي عام 96 هـ.

يستفاد من أسانيد الشيخ الطوسي أنّ كتابي زيد وعبيد كانا موجودين في زمنه. وينبغي أن يكون هذان الشخصان أوّل من جمعا قضايا الإمام وخطبه، فيكون الأوّل هو من جمع قضاياه والثاني هو جامع خطبه(عليه السلام).

## محمّد بن قيس البجلي جامع قضايا عليّ(عليه السلام)

وبعد عبيدالله بن أبي رافع يأتي محمّد بن قيس البجلي في جمع قضايا أميرالمؤمنين، وكان محمّد ـ هذا ـ من أصحاب الإمام الباقر(عليه السلام)، كما يقول الشيخ الطوسي في الفهرست : «محمّد بن قيس البجلي له كتاب قضايا أميرالمؤمنين(عليه السلام)أخبرنا به جماعة منهم محمّد بن محمّد بن النعمان ... الخ.»

## إبراهيم بن حكم الفزاري جامع خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام)

وبعد زيد بن وهب الجهني لابدّ من ذكر «إبراهيم بن ظهير الفزاري» في مجال جمع خطب الإمام أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام). وإبراهيم الفزاري متولد عام 180 هـ، جاء عنه في الفهرست أيضاً :

»إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري ابن اسحاق صاحب التفسير عن السدي صنّف كتباً منها كتاب الملاحم وكتاب خطب عليّ(عليه السلام) ... الخ.«

## الأصبغ بن نباتة من خاصّة أميرالمؤمنين(عليه السلام)

## وراوي عهده إلى مالك الأشتر ووصيته إلى

## ولده محمّد بن الحنفية

الأصبغ بن نباتة من خاصّة أميرالمؤمنين(عليه السلام) وراوي وصيته إلى ولده محمّد بن الحنفية، وعهده(عليه السلام) إلى مالك الأشتر. قال عنه الشيخ في الفهرست:

»الأصبغ بن نباته(رحمه الله) كان من خاصّة أميرالمؤمنين(عليه السلام) وعمر بعده وروى عهد مالك الاشتر الّذي

عهده إليه أميرالمؤمنين(عليه السلام) لما ولاّه مصر، وروى وصية أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى ابنه محمّد بن الحنفية. أخبرنا بالعهد ابن أبي جيّد عن محمّد بن الحسن إلى قوله: عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن أميرالمؤمنين(عليه السلام) وأمّا الوصية فأخبرنا بها الحسين بن عبيدالله ـ إلى قوله ـ : عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي قال: كتب أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى ولده محمّد بن الحنفية بوصيته ... الخ.«

## نسبة العهد إلى الأمير ليست منتحلة

بهذه العبارة المحكمة والمسندة يطرد شيخ الطائفة أيّ تشكيك في نسبة عهد مالك الأشتر إلى أميرالمؤمنين بأن يقال ـ مثلا ـ جاء في عهد أردشير كذا وقال بزرجمهر كذا وفي عهد فلان لفلان كذا، وان بعض عباراتهم تتشابه مع عبارات عهد الإمام إلى وإليه مالك الأشتر، مما يعطي المجال للشك في نسبة العهد إلى الإمام.

ان الشيخ رفض كلّ مثل هذه التخرّصات بقوّة وقال إنّ وجود بعض العبارات المشابهة لبعض أوامر الإمام إلى واليه ومالك، لا يعني ان نسبة العهد هنا إلى الإمام مشكوكة أو انّها منتحلة أو غير صحيحة.

نحن نحترم عهد أردشير وكلمات بزرجمهر والعلماء الآخرين السابقين، إلاّ أن لأقوال وكلمات الإمام عليّ(عليه السلام) واسلوب كلامه طعماً آخر يختلف عنها تماماً.

ورد في «دعائم الإسلام» ان هذا العهد مروي عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم (، أما الوصية فقد أوردها السيد الرضي في القسم الثاني من نهج البلاغة تحت عنوان «ومن كتاب له(عليه السلام) للحسن بن عليّ» وكذا ابن شعبة في تحف العقول.

أما الكليني فقد أوردها في الباب التاسع عشر من كتاب النكاح في الكافي، إذ نقل قسماً من آخرها على روايتين.

وصرح في الثانية بقوله: «كتب بهذه الرسالة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه إلى ابنه محمّد» وينتهي سنده وسند الشيخ الطوسي في الفهرست إلى جعفر بن محمّد الحسيني عن عليّ بن عبدك الصوفي عن الحسن بن طريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن أميرالمؤمنين(عليه السلام) ـ وكلاهما واحد. وليراجع الجزء السابع في بحار الأنوار الطبعة الكمپانية ص 56 أيضاً.

## إسماعيل بن مهران من أصحاب الإمام الرضا(عليه السلام)

## وراويه وجامع خطب الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)

**ومن جامعي خطب الإمام(عليه السلام) أيضاً «إسماعيل بن مهران بن محمّد بن أبي نصر زيد السكوني.« يقول عنه الشيخ الطوسي في الفهرست «لقي الرضا(عليه السلام) وروى عنه وصنّف مصنّفات كثيرة، منها كتاب خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام).«**

## أبو إسحاق إبراهيم القمي جامع قضايا الإمام (عليه السلام)

**ومن الذين جمعوا قضايا الإمام(عليه السلام) «أبو إسحاق إبراهيم بن هاشم القمي«، يقول عنه الشيخ الطوسي في الفهرست: «انّه لقى الرضا(عليه السلام) والّذي أعرف من كتبه النوادر وكتاب قضايا أميرالمؤمنين(عليه السلام) أخبرنا بهما جماعة من أصحابنا... الخ.«**

## صالح بن أبي حماد الرازي جامع خطب الإمام(عليه السلام)

**ومن الأشخاص الآخرين الذين جمعوا خطب الإمام «صالح بن أبي حماد الرازي» يقول عنه النجاشي في رجاله: «لقي أبا الحسن العسكري(عليه السلام) . له كتب منها كتاب خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام.«(**

## هشام الكلبي المتوفى 206 هـ جامع خطب الإمام(عليه السلام)

**ومن جامعي خطبه(عليه السلام) «هشام بن محمّد بن سائب الكلبي» المتوفّى عام 146 هـ كما أورده ابن النديم في فهرسته. وكان من مشاهير العلماء ونال شرف لقاء الإمام الصادق(عليه السلام) يقول عنه النجاشي:**

**»كان يختص بمذهبنا وله الحديث المشهور قال: اعتللت علة عظيمة، نسيت علمي فجلست إلى جعفر بن محمّد(عليهما السلام) فسقاني العلم في كأس. فعاد إليَّ علمي، وله كتب كثيرة منها كتاب الخطب.«**

**على أن المراد من إطلاق النجاشي بقوله «كتاب الخطب» هو خطب الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) . ذكر ابن النديم وفاة هشام عام 206 هـ.**

## إبراهيم النهمي والمدائني جامعاً خطب الإمام(عليه السلام)

**ومن جامعي خطب الإمام(عليه السلام) «أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان النهمي الكوفي «يقول النجاشي في رجاله والطوسي في فهرسته «له كتب منها كتاب الخطب.«**

**وكذلك من جامعي خطبه(عليه السلام) «المدائني» المؤرخ المعروف. يقول ابن النديم في كتاب الفهرست «توفي أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائني عام 225 هـ عن عمر يناهز الثالثة والتسعين.«**

**ويقول الخونساري في روضاته: «أبو الحسن المدائني الاخباري صاحب كتاب الأخبار والتواريخ الكثيرة الّتي تزيد على مائتي كتاب منها كتاب خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام).«**

**ويقول ابن النديم في فهرسته في الطبعة المصرية في معرض عدّه لكتب المدائني «له كتاب خطب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم)» والظاهر ان الثاني ينبغي أن يكون خطب عليّ(عليه السلام).**

## عبدالعزيز الجلودي جامع خطب الإمام ورسائله وأشعاره

**عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي جامع خطب الإمام ومواعظه ورسائله وكتبه وقضائه ودعائه(عليه السلام) ، وكذلك جامع الأشعار المنسوبة إليه.**

**جدّه عيسى الجلودي من أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر(عليهما السلام) يقول عنه النجاشي في رجاله: «له كتب قد ذكرها الناس منها كتاب مسند أميرالمؤمنين(عليه السلام)، كتاب خطبه(عليه السلام)، كتاب شعره(عليه السلام)، كتاب قضاء عليّ(عليه السلام)، كتاب رسائل عليّ(عليه السلام)، كتاب مواعظه(عليه السلام)، كتاب الدعاء عنه(عليه السلام)»، وعدّه كتب أُخرى عن الإمام ذكرها النجاشي.**

**وأنا أرى أن أكثر أشعار الديوان المنسوب للإمام(عليه السلام) هي من نظم وتأليف الآخرين، وقد ذكرتها كلها مع ذكر مصادرها وأسانيدها في «تكملة منهاج البراعة»(15).**

**ان كثيراً من أشعار الديوان تعبّر عن الروايات المروية عنه(عليه السلام)، مما نظمها الآخرون في قوالب شعرية، ولما كان مضمون هذه الأبيات معبّراً عن كلمات الإمام فقد نسبت الأبيات إليه، من هذا الباب، مثل أبيات «يا حار همدان من يمت يرني» الّتي نظمها الإمام لحارث الهمداني، وقد نقل أصل الخبر الشيخ المفيد في المجلس الأوّل من أماليه ثم أعقبه بقوله: «قال جميل بن صالح وأنشدني أبو هاشم السيد الحميري ... الخ.«**

ومن تلك الأشعار الواردة في الديوان بكثرة نصائحه(عليه السلام) ، ووصاياه لابنيه الحسن والحسين(عليهما السلام)، فإن اسلوب هذه الاستعارة من حيث البلاغة والفصاحة يختلف كثيراً عن مستوى كلمات الإمام الأُخرى كخطبه ورسائله وحكمه في النهج وغيره، وتبدو ضعيفة أزاءها.

على أن الأراجيز المنسوبة إليه(عليه السلام) لا تخلو من قوة في اسنادها. فهذه كانت سيرة الأبطال في ميادين القتال. كما يبدو ان كثيراً من أشعار عليّ بن أبي طالب القيرواني قد نُسبت إلى الإمام سهواً لا شتراك الاسم.

## السيد عبدالعظيم الحسني جامع خطبه(عليه السلام)

لقد أ لّف السيد عبدالعظيم بن عبدالله الحسني العلوي المدفون في مسجد الشجرة في ري كتاباً يجمع خطب الإمام(عليه السلام). وقد نصّ الإمام عليّ بن موسى الرضا(عليه السلام) على زيارته، قال: «من زار قبره وجبت له على الله الجنّة» وفي رجال النجاشي عنه «له كتاب خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام)» وكذا في «خلاصة» العلاّمة.

## إبراهيم الثقفي جامع خطب ورسائل أميرالمؤمنين(عليه السلام)

إبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفي الكوفي من أحفاد سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار بن أبي عبيدة الثقفي; المتوفى سنة 283 هـ ، جامع خطب أميرالمؤمنين(عليه السلام (ورسائله. يقول النجاشي في رجاله: «وله تصنيفات كثيرة انتهى الينا منها كتاب رسائل أميرالمؤمنين(عليه السلام) وأخباره، وكتاب الخطب السائرة. مات إبراهيم بن محمّد الثقفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين» وذكر النجاشي من جملة كتب «الخطب المقريات» ونسب الطوسي إليه «الخطب المعربات». والظاهر ان المقصود بهما واحد.

## محمّد بن قيس

محمّد بن قيس البجلي الكوفي المتوفى سنة 151 هـ من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق(عليهما السلام) . يقول عنه النجاشي في «الرجال» والطوسي في «الفهرست «والعلاّمة في «الخلاصة»: «له كتاب قضايا أميرالمؤمنين(عليه السلام).«

## محمّد بن خالد البرقي

**محمّد بن خالد البرقي من أصحاب الإمام موسى بن جعفر والإمام عليّ الرضا والإمام الجواد(عليهم السلام) يقول عنه النجاشي «له كتب منها كتاب الخطب.»**

## محمّد بن أحمد الكوفي الصابوني

**محمّد بن أحمد بن إبراهيم الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني. يقول عنه النجاشي: «وله كتب منها كتاب الخطب.»**

## محمّد بن عيسى الأشعري

**محمّد بن عيسى بن عبدالله الأشعري. يقول عنه النجاشي «دخل على الرضا(عليه السلام (وسمع منه» وروى عن أبي جعفر الثاني (يعني الإمام الجواد(عليه السلام) ، له كتاب الخطب.»**

## الجاحظ أوّل من جمع الكلمات القصار للإمام(عليه السلام)

**أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، صاحب «البيان والتبيين» المتوفّى عام 255 هـ، اختار (100)كلمة من كلمات الإمام(عليه السلام) القصار وأسماها بـ «مطلوب كلّ طالب من كلام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب» وقال عنها: «كلّ كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب.»**

**ويقول في الجزء الأوّل من كتابه «البيان والتبيين»(16) : «قال عليّ(رحمه الله» : (قيمة كلّ امرئ ما يحسن» فلو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية وغير مقصرة عن الغاية.»**

**وقد قام كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني المعروف بابن ميثم ـ أحد شرّاح النهج ـ بشرح مختارات الجاحظ من قصار كلمات الإمام(عليه السلام) كما شرح تلك المختارات «رشيد الوطواط» و «عبدالوهاب» وطبعت هذه الشروح كلها في مجلد واحد بسعي وتصحيح المرحوم المحدث الأرموي.**

## رسالتا (نهج البلاغة چيست) و(ماهو نهج البلاغة)

لم نجد ولم نسمع من يقوم بجمع كلمات الإمام(عليه السلام) القصار ـ تحت هذا العنوان ـ قبل الجاحظ، كما ان الرسالة المختصرة الموسومة بـ «نهج البلاغة چيست»(17) تشهد على صدق المدّعى، فقد ورد فيها أن أوّل من بادر إلى جمع الكلمات القصار للإمام عليّ(عليه السلام) هو الجاحظ المتوفى في 255 هـ ، باسم «مائة كلمة» ذكر في الرسالة المذكورة 66 شرحاً على النهج وعدة شروح على بعض الخطب والرسائل والكلمات القصار للإمام(عليه السلام.(

وقد نوّهت الرسالة المذكورة إلى رسالة السيد هبة الدين الشهرستاني في هذا المجال، فقد جاء في مقدّمتها: انّها المرة الأُولى الّتي يكتب فيها رسالة عن نهج البلاغة باللغة الفارسية، وقد حرر قبل ذلك جناب السيد الأجل هبة الدين الشهرستاني رسالة في هذا الموضوع ـ بالعربية ـ أسماها «ماهو نهج البلاغة» طبعت في بغداد عام 1352 هـ . وقد ترجم كثير من موضوعاتها في هذه الرسالة أي «نهج البلاغة چيست». ولهاتين الرسالتين (العربية والفارسية) في موضوعهما أهمية فائقة وفي «ماهو نهج البلاغة «مباحث عدة حول «نهج البلاغة» جديرة بالتقدير والتجليل.

وقد عدّ المرحوم الأميني(قدس سره) في الجزء الرابع من كتابه «الغدير» 81 شرحاً على النهج. أما المرحوم آغا بزرگ الطهراني، فقد بلغ بها إلى الضعف في الجزء الرابع عشر من كتابه «الذريعة.«

## ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة وجامع كلماته القصار

وينقل ابن أبي الحديد (شارح نهج البلاغة) بعد انتهائه من الشرح ـ ألف كلمة من الكلمات القصار للإمام(عليه السلام) أو المنسوبة إليه ممّا لم تَرِدْ في النهج .وهذه الألف كلمة طبعت في بيروت في كتاب مستقل يسمى «الحكم المنثورة» كما طبعت في النجف أيضاً ـ مرة واحدة ـ إلى جانب الكلمات الأُخرى المنسوبة للإمام(عليه السلام).

يقول ابن أبي الحديد في آخر شرحه: «وهذا آخر ما دوّنه الرضي أبو الحسن (رحمة الله عليه) من كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى، ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه فبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روي عنه وعزي إليه وبعضه من كلام غيره من الحكماء لكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته ... الخ.«

## الآمدي و(الغرر والدرر)

حوالي قرن بعد الشريف الرضي(رحمه الله) جمع العالم الأوحدي «عبدالواحد بن محمّد التميمي الآمدي» المتوفّى 510 هـ احدى عشر ألف وخمسين كلمة قصيرة من كلمات الإمام أسماها بـ «غرر الحِكَم ودرر الكلم» رتبها على الترتيب الهجائي. وقام بشرحها في اللغة الفارسية (آقا جمال الخونساري) المتوفى 1125 هـ . وتمّ طبعها في سبعة أجزاء بضميمة رسالة شرح «أخبار الطينة» للسيد جمال، بهمّة وتصحيح المرحوم المحدث الأرموي .كما أُعيدت طبعة (الغرر والدرر) نفسها في (صيدا) مرة و (النجف) أُخرى.

في الغرر والدرر، للكثير من كلمات الإمام في بيان عالم الأمر، وخاصة معرفة النفس أهمية فائقة. وإلى حد علمي فإنه لم يدوّن لحدّ الآن كتاب بهذا التفصيل يجمع الكلمات القصار للإمام(عليه السلام).

## أبو عبدالله القضاعي ودستور معالم الحكم

لقد كانت ولادة الشريف الرضي في عام 359 هـ ووفاته في 406 هـ . وفي تلك الفترة نفسها جمع أبو عبدالله القضاعي (أبو عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر بن عليّ بن حكمون بن إبراهيم بن محمّد بن مسلم القضاعي الشافعي) صاحب كتاب «شهاب الأخبار «المتوفّى عام 454 هـ 16 ذي القعدة في مصر جزءً من كلمات الإمام باسم «دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم» في تسعة أبواب، وذكر أسانيد بعضها. يقول في الديباجة بعد الخطبة: «أمّا بعد فإني لما جمعت من حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ألف كلمة ومائتي كلمة في الوصايا والأمثال والمواعظ والآداب وضمّنتها كتاباً وسميته بالشهاب، سألني بعض الأخوان أن أجمع من كلام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه نحواً من عدد الكلمات المذكورة وأن أعتمد في ذلك على ما أزويه وأجده في مصنّف من أثق به وأرتضيه ـ إلى قوله: وقد أعلمت عند الكلمة الّتي أزويها علامة يستدل على راويها على ما أُبينه آخر هذا الكتاب، وذكرت أسانيد الأخبار الطوال وأعلمت ما كان منها وجادة جيما ... الخ.«

## أحد طرق السند في النهج تنتهي إلى كميل رضوان الله عليه

في الباب الرابع من كتابه(18) روى كلام الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) إلى كميل والّتي تعد من حكم نهج البلاغة ـ كالتالي:

»أخبرني محمّد بن منصور بن عبدالله عن أبي عبدالله التستري اجازة، قال أخبرنا أبو الفضل محمّد بن عمر بن محمّد

الكوكبي الأديب، قال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب، قال: حدثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا ضرار بن صرد، قال: حدثنا عاصم بن حميد، قال: حدثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي عن عبدالرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال أخذ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصحر تنفّس الصعداء ثم قال: يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم ... الخ.«

وبكلمة فإنّ هذا الكتاب يعدّ واحداً من المراجع والمصادر الروائية المهمة الكلمات الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة. تم طبعه في مصر عام1332 هـ.

## كلام المسعودي حول خطب الإمام(عليه السلام)

يقول المسعودي (هو أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي) المتوفى 346 هـ ]أي قبل حوالي 13 سنة من وفاة الشريف الرضي[ يقول في كتابه «مروج الذهب»(19): والّذي حفظ الناس عنه(عليه السلام) من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيّف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا.

والعجيب أن الشريف الرضي مع قربه من عصر المسعودي لم يورد في النهج إلاّ نصفاً مما ذكره المسعودي أو أقل من ذلك.

يقول ابن خلكان في «وفيات الأعيان» المعروف بـ «تاريخ ابن خلكان»: «أبو غالب عبدالحميد الكاتب البليغ المشهور، كان كاتب مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أُمية، وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كلّ فن من العلم والأدب إماماً... قال حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت، ويعني بالأصلع أميرالمؤمنين عليّاً(عليه السلام).«

كذلك، يقول ابن خلكان في الكتاب نفسه:

»أبو يحيى عبدالرحيم بن نباتة صاحب الخطب المشهورة كان إماماً في علوم الأدب، قال حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلاّ سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).«

ان كتاب «نثر اللئالي» وجيز يضم مجموعة من كلمات سيد الأولياء(عليه السلام)بالترتيب الهجائي في 29 باباً. وقد طبع مرتين، الأُولى حجرية مع عدة رسائل أُخرى، والثانية :مع كتاب «أبي الجعد» و كتاب «الطب» لأبي عتاب عبدالله بن البسطام وأخيه الحسين البسطام. وقد قمت بتصحيح هذه المجموعة وطبعت بأمر من آية الله العظمى البروجردي (قدّس سرّه الشريف).

وقد أشار المرحوم سماحة العلاّمة الحاج ميرزا أبو الحسن الشعراني (رضوان الله عليه (إلى عدد من الصحابة والتابعين الذين جمعوا خطب الإمام وكتبه، في مقالة قيّمة أوردناها في أوّل شرحنا على النهج. كما ذكر ذلك أيضاً في مقالته العلمية القيمة الّتي طبعت في أوّل شرح المولى صالح القزويني على النهج.

كذلك، فإن العالم الجليل المرحوم عليّ بن عبدالعظيم التبريزي الخياباني ذكر في كتاب »صيام وقائع الأيام»(20) أسماء عدد كبير من الأكابر الذين جمعوا كلمات ذلك المولى العظيم.

وقد حصلت على مراجع ومصادر وأسانيد نهج البلاغة من كتب الحديث والسير والحروب والغزوات والمجاميع والسفن العلمية والروائية، وكان جل اهتمامي منصباً على أن تكون المصادر سابقة على الشريف الرضي وكتاب نهج البلاغة، ولعلي وفّقت في الحصول على ثلثي مصادره. وقد ذكرت بعضاً منها في مواضع مختلفة لتكملة «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» الّذي دوّن ونظّم وطبع في خمسة مجلدات بمناسبات مختلفة. كذلك فقد ذكرت مستدركات قد لا تقل كمية عن النهج نفسه.

فمن تفحّص ونظر بإمعان في ابتداء كلّ خطبة وكتاب من خطب وكتب هذه المجلدات الخمسة، لأدرك قيمة الجهد المبذول والدقّة والتأمّل والتحمل والاهتمام في جمع كلمات الإمام وتحصيل مصادرها وأسانيدها. وليراجع ـ على الأقل ـ إلى بداية المختار الثاني من كتب ورسائل الإمام على سبيل المثال.

وختاماً انتهز الفرصة لاثني على جهود الأُخوة والسادة الذين بذلوا جهوداً مضنية في هذا المجال، أخصّ منهم، أصحاب الكتب التالية:

1ـ «مستدرك نهج البلاغة ومدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه» تأليف الهادي كاشف الغطاء ـ طبع ببيروت بالعربية.

2ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة تأليف محمّد باقر المحمودي / النجف ، عربي.

3ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده تأليف عبدالزهراء الحسيني الخطيب العربي، طبع في النجف الأشرف.

4ـ استناد نهج البلاغة، تأليف امتياز عليّ خان العرشي. قدّم له وعنى بنشره الشيخ عزيز الله العطاردي ـ بالعربية ، طبع في طهران.

5ـ بحث قصير حول نهج البلاغة ومداركه تأليف رضا استادي، بالفارسية.

---

(1)بحار الأنوار ـ الطبعة الكمپانية ـ : 30/1.

(2)آل عمران: 49.

(3)الشمس: 13.

(4)نهج البلاغة: الحكمة رقم 237.

(5)القبسات: 321 ط حجرية.

(6)روضات الخونساري: 274 ط حجرية.

(7)نهج البلاغة: الحكمة 147.

(8)أحد مؤلفاتي كتاب «دروس معرفة الوقت والقبلة» والّذي بذلت جهداً كبيراً فيه وبينت فيه طرق تحديد الوقت ومعرفة القبلة في جميع البلاد، وشرحت الروايات والأقوال الموجودة في الكتب الفقهية حول القبلة والهلال والمسائل الأُخرى ـ كلا على حده وتفصيل ـ على أساس البراهين الرياضية العالية ومباني الهيئة والنجوم والآلات الرصدية.

(9)لقد ورد التعبير ـ في أول الخطبة 159 من نهج البلاغة ـ عن أهل البيت(عليهم السلام) بالأغصان المعتدلة لشجرة النبوة، وعن معارفهم وعلومهم بالثمار: «أُسرته خير أُسرة وشجرته خير شجرة أغصانها معتدلة وثمارها متهدّلة. «

(10)نهج البلاغة: الخطبة 187.

(11)هو همام بن شريح الّذي طلب من الإمام أن يصف له المتقين ـ المترجم.

(12)نهج البلاغة: الخطبة 231.

(13)الفصل الرابع الموقف الثاني ـ الهيات الأسفار.

(14)المخضرم هو من أدرك عصري الجاهلية وصدر الإسلام.

1/306 (15)- 315.

(16)ص 83 ط مصر 1380 هـ.

(17)أي ما هو نهج البلاغة ـ مؤلف بالفارسية.

(18)أي القضاعي في دستور معالم الحكم.

2/431 (19)ط مصر.

(20)ص 249 ط حجرية.

# وأما المدخل:

**»اللَّهُمَّ بَلَى! لاَ تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّة«**

**نهج البلاغة: الحكمة 68**

**موضوع هذه الرسالة الوجيزة هو «الإنسان الكامل في منظور نهج البلاغة» وغرضه اثبات وجوب وجود مثل هذا الشخص دوماً في النشأة العنصرية والعالم الطبيعي.**

**ان كلمات ولي الله الأعظم الوصيّ(1) في أوصاف أولياء الله أعم من الرسل والأنبياء والأوصياء والأولياء تمتاز بالثبات وكونها دستوراً قويماً، شأنها شأن كلماته(عليه السلام) في الموضوعات الأُخرى، نقل السيد الشريف الرضي بعضاً منها في نهج البلاغة، ونتبرّك بنقل طائفة منها ونتزوّد من هذه المآدب والموائد الإلهية الّتي «عليها مسحة من العلم الإلهي» ونشير إشارات حول كلمات الإمام بمستوى بضاعتنا المزجاة «ان الهدايا على مقدار مُهديها.«**

**لقد وجدنا حوالي 140 مورداً من كلام الإمام(عليه السلام) في نهج البلاغة ، كلّ منها مشرب ماء الحياة ومنبع شراب الطهور، لكننا توخينا للاختصار نقتصر على ذكر بعضها فقط:**

**بسم الله مجراها ومرساها**

## 1- الخطبة الأُولى:

**»وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ ... فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ... وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ. وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَل، أَوْ كِتَاب مُنْزَل، أَوْ حُجَّة لاَزِمَة، أَوْ مَحَجَّة قَائِمَة، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِق سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِر عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نُسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآباءُ، وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لإنجاز عدته وتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده.«...**

**»ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً(صلى الله عليه وآله وسلم)، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِها، إِذْ لَم يَتْرُكُوهُمْ هَمَلا، بِغَيْرِ طَرِيق واضِح، ولاَعَلَم قَائِم.«**

2- الخطبة الثانية: الكتاب نور لأنّ العلم نور

»وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ المشْهُورِ، وَالعِلْمِ المأْثُورِ، وَالكِتَابِ المسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللاَّمِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً لِلْمَثُلاَتِ.«

3- ذيل الخطبة الثانية: آل النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم خصائص الولاية:

»ومنها - يعني آل النبيّ(عليه السلام) - هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.. لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.«

4- الخطبة الثالثة (الشقشقية): الإمام(عليه السلام) قطب الخلافة الإلهية

»أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ.«

5- الخطبة الرابعة:

»بِنَا اهْتَدَيْتُمْ في الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ العلْيَاءَ، وبِنَا انْفَجَرْتُم عَنِ السِّرَارِ، مَا شَكَكْتُ في الحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ! لَمْ يُوجِسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلالِ! اليَوْمَ تَوَافقْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَالباطِلِ، ومَنْ وَثِقَ بِمَاء لَمْ يَظْمَأْ.«

6- الخطبة الخامسة:

»وَاللهِ لاَبْنُ أَبي طَالِب آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْي أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْم لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ في الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ.«

7- الخطبة العاشرة:

»إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتي، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلاَ لُبِّسَ عَلَيَّ».

8- الخطبة الثالثة عشرة: «خطاب إلى أهل البصرة):

»كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَة قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْها العَذَابَ مِنْ فَوْقِها وَمِنْ تَحتِها وَغَرِقَ مَنْ في ضِمْنِها... الخ.«

**9- ذيل الخطبة العشرين:**

»وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّماءِ إلاَّ البَشَرُ.«

**10- ذيل الخطبة الثانية والعشرين:**

»وَإِنِّي لَعَلَى يَقِين مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَة مِنْ دِيني.«

**11- الخطبة الخامسة والعشرين:**

»وَإِنِّي وَاللهِ لاَ ظُنُّ هؤُلاءِ القَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِماعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي البَاطِلِ.«

**12- الخطبة السابعة والعشرين:**

»فَإِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ.«

**13- الخطبة الثالثة والثلاثين:**

»قال عبدالله بن عباس : دخلت على أَميرالمؤمنين7 بذي قار وهو يخصِف نعله، فقال لي :ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمةَ لها! قال(عليه السلام): واللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ من إِمرتكم، إلاّ أَن أُقيم حقّاً، أَوأَدفع باطلا.«

**14- الخطبة الثامنة والثلاثين:**

»وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِاَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمْ الضَّلالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى.«

**15- الخطبة الخامسة والخمسون:**

»أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى المَوْتِ أَوْ خَرَجَ المَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ :شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلى ضَوْئِي، وَذلك أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.«

**16- الخطبة السابعة والخمسون:**

»أما إِنَّهُ سِيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ...وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي; فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ; وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الاْيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.«..

**17- الخطبة التاسعة والخمسون:**

لما قتل الخوارج فقيل له يا أميرالمؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال(عليه السلام» :(كَلاّ وَاللهِ، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ.«

### 18- الخطبة الستون:

لما خوّف من الغيلة «وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي; فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلاَ يَبْرَأُ الْكَلْمُ.«

### 19- الخطبة التاسعة والستون:

»بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اللهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ.«

### 20- الخطبة السبعون:

»اللّهمّ ... اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّد عَبْدِكَ. فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.«

### 21- الخطبة السابعة والسبعون:

لمّا عزم على المسير إلى الخوارج، فقيل له: يا أميرالمؤمنين إن سرت في هذا الوقت، خشيتُ أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم، فقال(عليه السلام): «أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ - الخ.«

### 22- الخطبة الخامسة والثمانون:

»وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ... فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَان، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَان .. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ و أَنَّى تُؤْفَكُونَ ! وَالأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ(صلى الله عليه وآله وسلم» :(إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّت، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَال، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَتَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ - وَأَنَا هُوَ - أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ! وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ المَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلاَقِ مِنْ

نَفسِي؟ فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأيَ فِيما لاَ يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلاَ تَتَغَلْغَلْ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.«

### 23- الخطبة التاسعة والثمانون (خطبة الأشباح):

»فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِىءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِالْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الاْقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْـمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيما لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذلِكَ، وَلاَتُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.«

### 24- خطبة الأشباح أيضاً:

»ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لاِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ ... جَعَلَهُمُ اللهُ فِيما هُنَالِكَ أَهْلَ الاْمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ... اخْتَارَ آدَمَ خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، ولَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بَالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً; حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّد6 حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ.«

### 25- الخطبة التسعون:

»فَاسْأَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُوني عَنْ شَيْء فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَة تَهْدِي مائَةً وَتُضِلُّ مائَةً إِلاَّ نَبَّأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ... إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي اُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ ... نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بنجاة، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاة، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الاْدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْس مُصَبَّرَة، لاَ يُعْطِيهِمْ إِلاَّ السَّيْفَ... الخ.«

### 26- الخطبة الثانية والتسعون:

»حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ الاْرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ

الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ; نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لاَيُنَالُ. فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، وسِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ... سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلاَمُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ.«

### 27- الخطبة الثالثة والتسعون: في ذكر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

»مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِت، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلاَمَةِ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ... كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ.«

### 28- الخطبة الخامسة والتسعين:

»وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاج مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً. انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدىً، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.«

### 29- ذيل الخطبة الثامنة والتسعون:

»أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَتَاكُم مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.«

### 30- الخطبة الثانية بعد المائة:

»أما بعد، فإِنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم)، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً ولا وحياً... وأيَمَ اللهِ لقد كُنْتُ فِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا واستوسقت في قيادها ما ضعفت وَلاَ جَبُنْتُ ولا خنتُ ولا وهنت، وأيم الله لأَبْقرنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ خاصرتِهِ.«

### 31- الخطبة الثالثة بعد المائة:

»حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً(صلى الله عليه وآله وسلم)، شَهِيداً، وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلا، وَأَنْجَبَهَا كَهْلا، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً.«

### 32- الخطبة الرابعة بعد المائة:

»إِنَّهُ لَيسَ عَلَى الإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ :الإِبْلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ.«

### 33- الخطبة السادسة بعد المائة: في ذكر النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):(

»اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ ... وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُون؟ فَلِكُلِّ أَجَل كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَة إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوه مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ...الخ.«

### 34- ذيل الخطبة السابعة بعد المائة:

»نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.«

### 35- الخطبة الثانية عشرة بعد المائة:

»عِبَادَ اللهِ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَإِ، وَاسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الأَمَلَ فَلاَحَظُوا الأَجَلَ.«

### 36- الخطبة الرابعة عشرة بعد المائة:

»أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَان وَلاَ مُقَصِّر، وَجَاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِن وَلاَ مُعَذِّر، إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى .وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ أَمَا وَاللهِ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيف الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ ... الخ.«

### 37- الخطبة السابعة عشرة بعد المائة (الإمام هو القطب):

»وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَا، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا.«

### 38- الخطبة الثامنة عشرة بعد المائة:

»تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتَ. وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ.«...

### 39- الخطبة التاسعة عشرة بعد المائة:

»أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ؟ ـ إلى قوله(عليه السلام): أُولئك اخواني الذاهبون.«

### 40- الخطبة الثالثة والعشرون بعد المائة:

»وهذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَان، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَان، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ ... الخ.«

### 41ـ الخطبة السادسة والعشرون بعد المائة:

»كَأَ نِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ ... فقال له بعض أصحابه: أَعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب؟ وقال للرجل ... لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْب، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْم... وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.«

### 42ـ التاسعة والعشرون بعد المائة:

»اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَ نَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَان، وَلاَ الْتِمَاسَ شِيء مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ... الخ.«

### 43ـ ذيل الخطبة السادسة والثلاثين بعد المائة:

»فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ.«

### 44ـ الخطبة الثانية والأربعون بعد المائة:

»أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَ نَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَبِنَا يُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيش غُرِسُوا فِي هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِم، لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.«

### 45ـ الخطبة السادسة والأربعون بعد المائة:

»كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ إِلاَّ إِخْفَاءَهُ، هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ ... وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً... غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.«

### 46ـ الخطبة الثامنة والأربعون بعد المائة:

»أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاج مُنِير، وَيَحْذُوفِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ.«...

### 47ـ الخطبة الخمسون بعد المائة:

»قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لاَ مِعٌ... إِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ

وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاّ مِنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ... الخ.«

### 48- الخطبة الثانية والخمسون بعد المائة:

»نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ، وَلاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً... فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ... وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ ... وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ نَبَاتٌ، وَكُلَّ نَبَاتٍ لاَ غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.«

### 49- الخطبة الرابعة والخمسون بعد المائة:

»فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَتَنُونَ مِنْ بَعْدِي . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُد حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ. فَقَالَ لي: إِنَّ ذلِكَ لَكَذلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ هذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ البشرى وَالشُّكْرِ.«

### 50- الخطبة السادسة والخمسون بعد المائة:

»ذلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ... الخ.«

### 51- الخطبة التاسعة والخمسون بعد المائة:

»ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرهَانِ الْجَلِيِّ ... أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَة، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَة، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ.«

### 52- الخطبة الثالثة والسبعون بعد المائة:

»لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُل مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ... الخ.«

### 53- الخطبة الرابعة والسبعون بعد المائة:

»وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ ... أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ ...الخ.«

### 54- الخطبة السابعة والسبعون بعد المائة:

»وقد سأله ذِعلبٌ اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أميرالمؤمنين؟ فقال(عليه السلام :(أَفَأَعْبُدُ مَا لا أَرَى ؟قال: وكيف تراه؟ قال: لاَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ.«

### 55- الخطبة الثمانون بعد المائة:

»لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمانُ بْنُ دَاوُدَ(عليهما السلام)، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالاْنْسِ، مَعَ النُّبُوَّهِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ ... لله أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ.«

### 56- الخطبة السابعة والثمانين بعد المائة:

»لاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَد إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ في الاْرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ... وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني، فَلاَ نَا بِطُرُقِ السَّماءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الاْرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا.«

### 57- ذيل الخطبة الثامنة والثمانون بعد المائة:

»فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ عَزَّوَجَلّ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ بِسَيْفِهِ.«

### 58- الخطبة التسعون بعد المائة (القاصعة):(

»وَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لاَحَد مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنبِيَائِهِ وَأَولِيائِهِ، وَلكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالاْرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ... وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّماءِ وَوُحُوشَ الاْرَضِينَ لَفَعَلَ ... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ...وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي... أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ .وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْر.«

»وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) ... قال(صلى الله عليه وآله وسلم): يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الاْخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ... وَإِنِّي لَمِنْ قَوْم لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِم... قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.«

**59- الخطبة الخامسة والتسعون بعد المائة:**

»وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىَ وَجْهِي. وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ(صلى الله عليه وآله وسلم) وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي ... فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ... الخ.«

**60- الخطبة الثانية والعشرون بعد المائتين:**

»فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.«

**61- الخطبة السابعة والثلاثون بعد المائتين:**

»يذكر فيها آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ... هُمْ دَعَائِمُ الأِسْلاَمِ.«...

**62- الكتاب الأوّل:**

»وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ.«

**63- الكتاب الثاني والثلاثون:**

»وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلاَ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلاَّ كَقَارِب وَرَدَ، وَطَالِب وَجَدَ (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ).«

**64- الكتاب الخامس والعشرون:**

»ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِاخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ.«

**65- الكتاب الثامن والعشرون:**

»فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا.«

**66- الكتاب الخامس والأربعون:**

»أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأمُوم إِمَاماً، يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا.«

**67- الحكمة الحادية والثلاثون بعد المائة:**

»إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْق لِمَنْ صَدَقَهَا... مَسْجِدُ أحِبَّاءِ اللهِ وَمُصَلَّى مَلاَئِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أوْلِيَاءِ اللهِ.«

### 68- الحكمة السابعة والأربعون بعد المائة:

يَا كُمَيْل إِنَّ هذهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا... النَّاسُ ثَلاَثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاة، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِق، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيح، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى رُكْن وَثِيق... إِنَّ ها هُنَا لَعِلْماً جَمّاً - وَأَشَارَ إِلى صَدره -.«...

»اللَّهُمَّ بَلَى لاَ تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِم لله بِحُجَّة، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، أوْ خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولئِكَ؟ أُولئِكَ - وَاللَّهِ - الأَقَلُّونَ عَدَداً، وَالأَعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَان أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى، أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ.«

### 69- الحكمة الخامسة عشرة بعد الأربعمائة:

»الدنيا تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَواباً لأَوْلِيَائِهِ، وَلاَ عِقَاباً لأَعْدَائِهِ.«

### 70- الحكمة الثانية والثلاثون بعد الأربعمائة:

»إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا آشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلالاً، وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَسِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ! بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عُلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ.«

### 71- الحكمة التاسعة بعد المائة:

»نَحْنُ الْنمْرُقَةُ الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي.«

هذه كانت من جملة كلمات الإمام عليّ(عليه السلام) في مواضع من نهج البلاغة في وصف أولياء الله والإنسان الكامل أعم من النبيّ والرسول والوصيّ والولي والّتي يمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام على اعتبار وإلى أكثر على اعتبارات أُخرى:

1- في وصف الإنسان الكامل والسفراء والحجج والخلفاء الهيين وأن الأرض لا تخلو لله من حجة.

2- في أوصاف النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) الخاصة.

3- في أوصاف آل النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) الخاصة.

4- في أوصافه هو(عليه السلام).

5- الدقائق والنكات اللطيفة الّتي تُستفاد من بعض عباراته وإشاراته.

أمّا القسم الأوّل:

إن الإنسان الكامل هو عبدالله وعند الله وصاحب مرتبة الولاية أعني ولي الله، وقلبه أوعى القلوب وأوسعها، وهو قطب عالم الإمكان، وحجة الله وخليفته والراسخ في العلم، وخازن ومنبع العلم اللدني، وينبوع الحكم، وزارع القلوب، ومثير دقائق العقول، والمأمون وأمين الله، والمتصرف في الكائنات، ومسخر الجن والإنس والوحوش والطيور، وفي الوقت ذاته الزاهد في الدنيا، والشجاع، وفي مرتبة اليقين، وعلى الطريق الواضح والصراط المستقيم ومسير العدل في الأُفق الإنساني الأعلى، وهو العالم الرباني ومن لا تخلو الأرض من مثله و... الخ.

أمّا القسم الثاني:

فهو تمام النبوة، خاتم النبيين، الرسول، خير البرية، الداعي الشاهد، البشير، النذير، والسراج... الخ.

أمّا القسم الثالث:

فهم: آل النبيّ أي العترة، وأهل بيته الذين اعتبرهم موضع القرآن، وناطقي القرآن، ومقيمي الدين، وشجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، والشعار، والأصحاب، والخزنة، والأبواب، وكنوز الرحمن، وقوّام الله على خلقه، والأغصان المعتدلة لشجرة النبوة، وعرفاء الله على عباده ، وأفضل عترة وأُسرة، وعيش العلم، وموت الجهل، ودعائم الإسلام، ومعرفتهم توجب دخول الجنّة، ونكرانهم يوجب ورود النار، واعتبر الهجرة منحصرة بمعرفة الحجة.

»وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ .فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا و... و... و.«...

أمّا القسم الرابع:

القطب، الوصيّ، الوارث، الإمام، أول من أسلم وآمن، ولي الله، خليفة الله، ترجمان القرآن، ناطق القرآن، مخاطب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم):

»تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى» «ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير». «سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني» «لَوْ

شِئْتُ أنْ أخْبِرَ كُلَّ رَجُل مِنْكُمْ» «أنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ» «وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّي» و... و... و. ...

**أمّا القسم الخامس:**

كقوله: «خَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِها» واعتبر آل النبيّ جبال الدين وقال: «فأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ» ووصف القرآن بالثقل الأكبر وأهل البيت بالأصغر، وفي شجرة النبوة قال: «لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرة لاَيُنَالُ.«

وفي وصف نفسه الشريفة قال:

»وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي » « أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلى مِثَالِهِ» «كُلَّ عَمَل نَبَاتٌ » «أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ» «لَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي» «هم عيش العلم، وموت الجهل» «إِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا» «إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها» «يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ» و... و ...و.

وكلّ واحدة من هذه الأقسام تتطلب بحثاً مستقلا، لكننا سنشير إليها في هذه الرسالة على نحو الايجاز، على أمل أن تتوفر الفرصة المناسبة في المستقبل لنتعرض لها بالتفصيل، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

يتفق العقل والنقل على أن النشأة الطبيعية لا تخلو أبداً من الإنسان الكامل المكمل وكلاهما (أي العقل والنقل) لسان حاله: «الإمام أصله قائم ونسله دائم كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توْتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها.«

وهذه سنّة الله في النظام الرباني والعالم التكويني (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا).

## إمام الزمان في العصر المحمّدي

ان إمام الزمان في العصر المحمّدي هو الإنسان الكامل الّذي يحوز ميراث خاتم النبوة بالنحو الأتمّ باستثناء النبوة التشريعية والمناصب الّتي يستأثر بها النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا الإمام موجود بالجسد الطبيعي وفي العالم الطبيعي وسلسلة الزمان، كما يُشعر بذلك لقب «صاحب الزمان» وإن كانت أحكام نفسه الكلية الطبعية قاهرة ومسلطة على أحكام جسده الطبيعي. والنشأة العنصرية مقهورة لروحه المجرّدة الكلية، ويعبّر عنه بالقائم، وحجة الله، وخليفته، وقطب عالم الإمكان، وواسطة الفيض، وعناوين أُخرى كثيرة.

**مثل هذا الشخص في هذا الزمان هو سرّ آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام المهدي الهادي الفاطمي الهاشمي أبو القاسم م ح م د نعم الخلق الصالح والجوهرة الوحيدة للإمام الحسن العسكري(عليه السلام) «إن هذا لهو حقّ اليقين الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله.«**

**لزوم وجود نوعين من البحث على وجوب وجود الحجة القائم:**

**هنا لابدّ من نوعين للبحث، الأوّل: كلّي، والآخر: شخصي. والمتصور من الكلّي هو قيام البراهين القطعية والعقلية على وجوب وجود حجة قائم بشكل دائم وشهادتها على امتناع خلوّ عالم الإمكان من لزوم مثل هذه الواسطة للفيض الإلهي «الإمام أصله قائم ونسله دائم.«**

**والمقصود من الشخصي أو الجزئي هو أن هذا البرهان ليس معرّفاً للفرد أي الجزئي، لانّه لا كاسب ولا مكتسب، لهذا لابدّ من معرفة ذلك من طريق آخر، كما أن الأحاديث المتظافرة بل المتواترة من أهل البيت(عليهم السلام) تنهض بتعريفه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) .**

**نعم، الحقّ لو أن الإنسان كان قاصراً عن إقامة أو إدراك البرهان على وجوب مثل هذا الإنسان فإنّ الأحاديث المروية عن الفريقين والكاشفة عن أسرار وبطون وتأويلات آيات القرآن الكريم كافية في اثبات هذا المدعى، بل ان كاتب هذه السطور يعتقد اعتقاداً راسخاً... بأن كتب السنّة وصحاحهم ذاتها حجة بالغة على هذا السر الإلهي. ونحن بحمد الله زدنا مع الإيمان بالأخبار برهاناً.**

**ان كثرة الكتب والرسائل لأعاظم علماء الفريقين وتظافر وتواتر أحاديث كتبهم بشأن صاحب الأمر والزمان ـ وإضافة على الأُصول والبراهين العلمية في معرفة أسرار ومقامات ودرجات النفس الناطقة الإنسانية ـ هي من الدرجة بحيث أرى أن البحث في اثبات وجوب وغيبة وقيام وظهور ذلك الإمام، كالحديث في اثبات وجود الشمس في رابعة النهار.**

**والخلاصة أن بحث الإمامة يعادل بحث النبوة، فكما انّه أول ما يبحث في النبوة هو النبوة العامة الّتي يجب أن تقوم على البراهين العقلية الّتي ترى وجوب وجود الواسطة للفيض الإلهي، ثم تبحث عن النبوة الخاصة، وأن الشخص المعيّن هو النبيّ بدليل المعجزات القولية والعملية والدلائل الأُخرى الّتي تشير إلى صدقه، فكذلك هو الأمر في بحث الإمامة العامة والإمامة الخاصّة، فتبصر.**

---

(1)لقد عُرف الإمام عليّ(عليه السلام) بالوصي، في صدر الرسالة وبعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وارتحاله، ولقد أوردت في الجزء الثاني من تكلمة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة مقالة تحت عنوان «الهداية والإرشاد «وكتبت في هذا الموضوع، وأتيت بشواهد عدة من أقوال الصحابة وكبار التابعين مع ذكر المصادر والأسانيد، غير أنّ بني أمية اتفقوا على محو آثار الإمام(عليه السلام) وطمس فضائله. وهذا ليس قولي بل قول الفخر الرازي، ففي تفسيره الكبير يقول في تفسيره لسورة الفاتحة وفي مسألة الجهر بالبسملة (160/1) طبعة اسطنبول» :وذلك يدل على اطباق الكل على أن عليّاً كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم: إنّ عليّاً كان يبالغ في الجهر بالتسمية، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً في ابطال آثار عليّ(عليه السلام) ان الدلائل العقلية موافقة لنا وعمل عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) معنا، ومن اتخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه» انتهى كلام الرازي بألفاظه (المؤلف).

وأمّا الأبواب:

## الباب الأوّل: خصائص الولاية

مثل هذا الإنسان هو ولي الله «ولهم خصائص حقّ الولاية»(1).

الولي من أسماء الله (وَيَـنشُرُ رَحْمَـتَهُ وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ)(2) ولما كانت أسماء الله باقية ودائمة (فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)(3) لذا كان الإنسان الكامل هو المظهر الأتم والأكمل لهذا الاسم الشريف، أي (صاحب الولاية الكلية) ليستطيع ـ بإذن الله ـ التصرف في مادة الكائنات وتسخير القوى الأرضية والسماوية، ويكون كلّ محال عنده ممكناً «لولا اشتغال النفس بتدبير قواها الطبيعية وانفصالها عنها لكان لها اقتدار على انشاء الاجرام العظيمة المقدار، الكثيرة العدد فضلا عن التصرف فيها بالتدبير والتحريك اياها كما وقع لأصحاب الرياضات، وقد جرّبوا من أنفسهم أموراً عظيمة وهم بعد في هذه النشأة فما يكون شأنه هذا الشأن فكيف يكون محصوراً في بدن صغير مظلم مركب من الأخلاط معرض للعلل والأمراض»(4).

وسلطان هذا البحث تجده في الباب 361 من الفتوحات المكية وفصّ الاسحاقي من «فصوص الحكم». ففي الفتوحات المكية مثل هذا الإنسان هو صاحب المقام الجمعي والخلافة الإلهية وحائز رتبة «كن» كما تنبغي، ثم أوضح بقوله:

»ولم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أنه أعطى كن سوى الإنسان خاصة فظهر ذلك في وقت في النبيّ(صلى الله عليه وآله) في غزوة تبوك فقال كن أبا ذر، فكان هو أباذر.«

»وورد في الخبر في أهل الجنّة: ان الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن عليهم في الدخول فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله وإذا في الكتاب لكل إنسان يخاطب به من الحي القيوم الّذي لا يموت إلى الحي القيوم الّذي لا يموت أمّا فعد فإني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون، فقال(صلى الله عليه وآله) : فلا يقول أحد من أهل الجنّة لشيء كن إلاّ ويكون، فجاء بشيء وهو من أنكر النكرات فعمّ ... الخ.«

## العارف يخلق بهمّته

وفي فص الاسحاقي أيضاً في بيان هذا المقام الشامخ للإنسان كلام في غاية الجودة هو:

»بالوهم يخلق كلّ إنسان في قوّة خياله ما لا وجود له إلاّ فيها وهذا هو الأمر العامّ، والعارف يخلق بهمّته ما يكون له وجود من خارج محلّ الهمّة، ولكن لا تزال الهمّة تحفظه ولا يؤدها حفظه أي حفظ ما خلقته، فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك المخلوق، إلاّ أن يكون العارف قد ضبط جميع الحضرات وهو لا يغفل مطلقاً، بل لابدّ له من حضرة يشهدها فإذا خلق العارف بهمّته ما خلق وله هذه الإحاطة ظهر ذلك الخلق بصورته في كلّ حضرة وصارت الصور بحفظ بعضها بعضاً، فإذا غفل العارف عن حضرة ما أو حضرات وهو شاهد حضرة ما من الحضرات، حافظ لما فيها من صورة خلقه انحفظت جميع الصور بحفظه تلك الصورة الواحدة في الحضرة الّتي ما غفل عنها لأن الغفلة ما تعمّ قط لا في العموم ولا في الخصوص، وقد أوضحت هنا سراً لم يزل أهل الله يغارون على مثل هذا أن يظهر ... الخ.«

وبما أن كلام صاحب الفصوص كان في عالم المثال، وهو مقيد ومطلق، والمقيد عبارة عن الخيال الإنساني، والخيال يتأثر بالعقول السماوية والنفوس الناطقة الّتي تدرك المعاني الكلية والجزئية، إذن يظهر أن الخيال قد يتأثر بالقوى الوهمية الّتي تدرك المعاني الجزئية وكفى.

إذن فالصورة المناسبة للخيال هي المعاني الجزئية، وهذا الأخير بسبب سوء مزاج الدماغ أحياناً، وحسب توجّه النفس إلى القوى الوهمية أحياناً، قد يتوجه نحو ايجاد صورة من الصور، كمن يتخيل صورة محبوبه الغائب تخيّلا قوياً، ولا شك تظهر صورة المحبوب في خياله ليشاهد محبوبه وهذا أمر عام يقدر عليه العارف

بالحقائق من الخواص ويقدر عليه غيره بالحقائق من العوام.

لقد ذكر الشيخ (صاحب الفصوص) هذا المعنى في هذا المقام ونبّه إلى أن العارف ينشئ بهمته (ويقصد قوته الروحانية) صوراً خارجة عن الخيال مما هو موجود في الأعيان الخارجية، كما هو مشهور عند الأبدال أنهم يحضرون في مناطق مختلفة في آن واحد، ويقومون بقضاء حوائج عباد الله، إذن فالمراد من العارف هنا هو الكامل المتصرف في الوجود لا عارف الحقائق وصورها.

واحترز الشيخ بقوله «ما يكون له وجود من خارج محل الهمة» ما يكون من أصحاب (علم السيميا) و (الشعبذة) لأن هؤلاء أيضاً يُظهرون من أخيلتهم صوراً موجودة في الخارج لكنها لا تخرج من محل الهمّة، والّذي هو الخيال، لأن تلك الصور موجودة في أخيلة الحاضرين، وإن كان العارف المتمكن في التصرف يظهر في الشهادة والغيب صور الموجودات العينية والصور الروحانية إلاّ أنه لا يجوز أن تنسب وتسند الخلق إلى المخلوق بل عليك أن تعرف ـ بالتحقيق ـ أنّ الخالق ـ على الحقيقة ـ هو الحقّ في المقام التفصيلي كما هو خالقها في المقام الجمعي، لكن همّة العارف دوماً المحافظة على ذلك المخلوق(5). ولا يؤده حفظه. إذن متى ما غفل العارف من حفظ مخلوقه، انعدم ذلك المخلوق لانعدام علته، إلاّ أن يكون العارف قد ضبط جميع حضراته أعني الحضرات الكلية الخمسة الّتي هي: عالم المعاني والأعيان الثابتة ـ عالم الأرواح ـ عالم المثال ـ عالم الشهادة ـ وعالم الإنسان الكامل الّذي يجمع جميع هذه العوالم. وقد يكون المراد منها الحضرات العلوية ـ السماوية ـ السفلية ـ الأرضية وغيرها من العناصر.

ولا يتصور طروء الغفلة على العارف أبداً بل لا معدل عن حضوره في حضرة من الحضرات، إذن لو أن العار فخلق بهمته وأحاطه بالحضرات ظهر ذلك المخلوق ـ على صورته في كلّ حضرة وان الصور لتحفظ بعضها بعضاً.

ولو غفل العارف عن حضرة أو حضرات، لكنه شهد حضرةً منها واحتفظ ما يحتفظ به من صور خلقه في تلك الحضرة، فإنّ جميع صور هذا المخلوق في الحضرات الأُخرى تقوم وتنهض بحفظ هذه الصورة الّتي حفظت في هذه الحضرة بواسطة عدم الغفلة عن المحافظة عليه.

لأن ما يتحمل من الوجود الخارجي لابدّ أن تكون له صورة في الحضرة العلمية ـ أولا ـ ثم العقلية ثم اللوحية ثم السماوية ثم العنصرية ثم ما يتركب منها. ومن كانت همته ناظرة إلى هذه الصور في حضرة من الحضرات

العلوية، احتفظ بهذه الصورة في الحضرات السفلية، كما ان صورة الحضرات العلوية روح للصور السفلية، وإذا كان ناظراً بقيت هذه الصورة محفوظة له في الحضرات السفلية. وفي غير هذه الصورة ـ فكما ان المعلول يستلزم وجود علته ـ فإن وجود الصورة دليل على وجود المعنى، لأنّ الغفلة لا يمكنها أن تكون عامة أبداً لا في عموم الخلائق ـ ولا في خصوصه، لأ نّه لا معدل له عن أمر من الأُمور وكلّ أمر مظهر من مظاهر الأشياء الإلهية، غاية ما في الباب أن العارف يعرف أن جميع الأُمور مجالي (أي تجليات) ومظاهر الحقّ، وغير العارف لا يعرف هذا. ولايمكن أن تكون الغفلة عامة بحيث لا يكون الإنسان مشتغلا بحضرة من حضرات الحقّ سبحانه، وقد قمت بايضاح سرّ في هذا المقام، وكان أهل الله يعزّون على اظهاره ويغارون عليه، وذلك هو سرّ ايجاد العبد بهمته هو، وحفظه في حالة عدم الغفلة.

## الولاية التكوينية والتشريعية

ومن أجل زيادة البصيرة حول الموضوع أعلاه لابدّ من الإشارة إلى الولاية التكوينية والتشريعية للتوضيح أكبر، فكما قلنا ان الولي من أسماء الله تعالى وان أسماء الله باقية ودائمة، لهذا فالإنسان الكامل والّذي هو المظهر الأتمّ والأكمل لهذا الاسم الشريف هو صاحب الولاية الكلية ويستطيع التصرف في مادة الكائنات وتسخير القوى الأرضية والسماوية واخضاعها تحت حكمه وتصرّفه فيكون حكمه وتصرفه في صورة هيولي عالم الطبيعة نافذاً وجارياً، وتستطيع الهيولا العنصرية (الطبيعية) حسب إرادته أن تخلع صورة وتلبس صورة جديدة مثل عصا موسى(عليه السلام) الّتي خلعت صورتها الجمادية حسب إرادته وألبسها صورة حيوانية، حيث أخرجها على صورة ثعبان (فَأَ لْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)(6).

وجميع المعاجز والكرامات وخوارق العادات هي من هذا القبيل، إذ اتخذت لنفسها صوراً بإرادة الكمّل ـ بإذن الله تعالى ـ بحيث تكون العصا بيد موسى(عليه السلام)حية تسعى بإذن الله، فإنّ الفعل والايجاد والتأثير في حقيقة الأمر هو من الله تعالى وإن كانت العصا بيد موسى وتسند إليه، فانهم ذلك، وأن اذن الله ليس أمراً قولياً بل هو الإذن التكويني المتفرع من الولاية الإلهية الكلية المطلقة (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بِإِذْنِي)(7) .

في القرآن الكريم ينسب الله تعالى التسخير إلى نفسه مطلقاً مهما كان من المظاهر في الظاهر (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ...وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)(8).

ان هذه الولاية الّتي هي اقتدار النفس على التصرف في مادة الكائنات هي تكوينية لا تشريعية، لأن الولاية التشريعية مختصة بواجب الوجود الشارع المشرع الّذي يقرر لعباده الشريعة والنظام، وليس لأحد سواه حقّ التشريع، وإلاّ فهو ظالم (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَة مِنَ الأمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَـتَّبِـعْ أهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)(9).

)شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً)(10).

)أمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ لَـقُضِيَ بَـيْنَهُمْ وَإنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أليِمٌ)(11).

ان الرسول مأمور بالانذار والتبشير والتبليغ المبين للأحكام وليس مشرّعاً (إنَّمَا أ نْتَ مُنْذِرٌ)(12) (وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً)(13).

الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في الباب 318 من الفتوحات المكية وفي أن التشريع من مختصات واجب الوجود، يقول:

»إنّا روينا في هذا الباب (عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنّ رجلا أصاب من عرضه فجاء إليه يستحله من ذلك فقال له يا ابن عباس إنّي قد نلت منك فاجعلني في حلّ من ذلك. فقال: أعوذ بالله أن أحل ما حرّم الله، إنّ الله قد حرّم أعراض المسلمين فلا أحلها ولكن غفر الله لك» فانظر ما أعجب هذا التصريف وما أحسن العلم. ومن هذا الباب حلف الإنسان على ما أُبيح له فعله أن لا يفعله أو يفعله ففرض الله تحلّة الأيمان وهو من باب الاستدراج والمكر الإلهي إلاّ لمن عصمه الله بالتنبيه عليه. فما ثمّ شارع إلاّ الله تعالى، قال لنبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم) «لتحكم بين الناس بما أراك الله» ولم يقل له رأيت بل عتبه سبحانه وتعالى لما حرم على نفسه باليمين في قضية عائشة وحفصة فقال تعالى (يَا أ يُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أحَلَّ اللهُ لَكَ تَـبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ) فكان هذا ممّا أرته نفسه، فهذا يدلّك أن قوله تعالى (بما أراك الله) أ نّه ما يوحى به إليه لا ما يراه في رأيه فلو كان هذا الدين بالرأي لكان رأي النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أولى من رأي كلّ ذي رأي. فإذا كان هذا حال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في ما رأته نفسه فكيف رأي من ليس بمعصوم، ومن الخطاء أقرب إليه من الإصابة؟ فدلّ أنّ الاجتهاد الّذي ذكره رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما هو في طلب الدليل على تغيير الحكم في المسألة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة فإنّ ذلك شرع لم يأذن به الله.«

**ولقد أخبرني القاضي الأسدي الاسكندري بمكة سنة تسعة وتسعين وخمسمائة قال: رأيت رجلا من الصالحين بعد موته في المنام فسألته: ما رأيت؟ فذكر أشياء منها قال: ولقد رأيت كتباً موضوعة وكتباً مرفوعة فسألت: ما هذه الكتب المرفوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الحديث، فقلت: وما هذه الكتب الموضوعة؟ فقيل لي : هذه كتب الرأي حتى يُسأل عنها أصحابها فرأيت الأمر فيه شدة.**

**ان الشيخ العارف اضافة إلى كونه أفاد افادة جديرة بالانتباه في مقولته التحقيقية في بيان الشارع المشرع، فهو قد ذكر أيضاً موضوعاً مهماً آخر من الأُصول الإسلامية الأصلية وهو بطلان القياس والاعتماد على الرأي في دين الله، فإنّ ذلك يعتبر تشريعاً في مقابل الشرع الإلهي وهو غير جائز وكم كان كلامه حسناً حين قال.**

**»فلو كان هذا الدين بالرأي لكان رأي النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أولى من رأي من ليس بمعصوم.«**

**ويقول في باب آخر من الفتوحات:**

**»لا يجوز أن يدان الله بالرأي وهو القول بغير حجّة وبرهان من كتاب ولا سنّة ولا اجماع، وأمّا القياس فلا أقول به ولا أُقلد فيه جملة واحدة فما أوجب الله علينا الأخذ بقول أحد غير رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).«**

**ان كلام ابن عربي في هذا المجال يتّفق مع مذهب الإمامية، والكلمات الّتي تدل على كونه اثنا عشرياً كثيرة في كتبه ورسائله، ومن جملة الدلائل الّتي احتج بها على كونه شيعياً هو هذا الكلام نفسه الّذي أورده في بطلان القياس والتفسير بالرأي والّذي نقلناه أعلاه.**

**ان علماء السنّة يعدّون دليل القياس في اجراء الأحكام الشرعية برهاناً مستقلا في مقابل الكتاب والسنّة والاجماع، ويعتبرون العمل بما يقتضيه متبّعاً. ولما كان الشيخ مخالفاً لعقيدة علماء الجماعة فقد أنكر هذا المعنى انكاراً بليغاً وقال: «فلو كان هذا الدين بالرأي لكان رأي النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أولى من رأي من ليس بمعصوم.«**

**وقد بحثنا في رسالتنا (الإمامة) في الجزء الثاني من (تكملة منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) موضوع النهي عن العمل بالقياس، ونقلنا روايات عن أهل البيت(عليهم السلام) واستفدنا كذلك من بعض المطالب العقلية في المقام(14).**

واعلم كما انّه لا يحق لأحد أن يشرع سوى الله سبحانه فكذلك لا يحق لأحد سواه أن يعيّن الإمام الّذي هو خليفة الله، وكما قال: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)(15).

هذه الآية الكريمة تناظر الآية الكريمة (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ)(16).

فالآية الأُولى تدل على أن ذات الحقّ جاعلة ذلك فقط كما أن الآية الثانية دالة على أن ذات الحقّ فقط خالقة كذلك، فكلمة (إِنِّي) في الآية موضع للتأمل كما هي كذلك في الآية التالية وكذا المضاف والمضاف إليه في كلمة عهدي (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)(17) واعلم ـ كذلك ـ أن الولاية هي من اختصاصات الرسالة والنبوة حسب الرتبة الأعلى والأرفع، لأنّ الولاية هي باطن النبوة والرسالة، وأن نيلها والوصول إليها مستندة إلى الولاية ومبني عليها.

وليس المقصود من هذا الكلام أن الولي مطلقاً هو أعلى من الرسول والنبيّ، بل إن المراد أن ولاية الرسول أعلى من رسالته، وكذلك ولاية النبيّ أعلى من نبوته، لأن الولي متبوع فمثلا أن النبيّ الأكرم صاحب الولاية أفضل من تابعيه، لأنّ المفضول غير متبوع والأفضل غير تابع، وإن كان شخصاً واحداً كالنبيّ فهو من حيث كونه ولياً أفضل من حيث هو نبيّ، لأن الولي التابع أفضل منه، فافهم.

أن لولاية النبيّ جنبة حقانية واشتغالا بالحق تعالى وأن لنبوة النبيّ وجهة خلقية )الخلق بمعنى العباد) لأن توجه النبيّ في النبوة إلى خلق الله ولا شك أن الأوّل أشرف لأنه أبدي خلافاً للثاني فهو منقطع.

أن الرسول والنبيّ ليسا من أسماء الله، أما الولي فهو من أسمائه، لهذا فالولاية لا تنقطع، خلافاً للرسالة والنبوة، ففي سورة يوسف(عليه السلام): (فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)(18.(

وحكم الله تعالى القطعي هو: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ)(19.(

اذن لما كانت الرسالة والنبوة من الصفات الكونية الزمانية فهما ينقطعان بزمن النبوة والرسالة خلافاً للولاية الّتي هي من الصفات الإلهية، وقد قال الله سبحانه يصف نفسه )وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ)(20.(

اذن فإن القرآن الفرقان لوحده كاف لاثبات وجوب وجود الإنسان الكامل الولي على الدوام في نشأة العناصر، وأن الروايات والصحف العليمة تعضد ذلك، بل هي من بطنانه.

يقول المرحوم الحكيم السبزواري: «ولما كان الولي من أسماء الله فهو يتطلب المظهر دوماً، اذن فانقطاع الولاية لا يجوز، وأن أولياء الله موجودون في العالم أبداً بخلاف النبيّ والرسول الاسمين الخلقيين فإنّ

**انقطاعهم جائز»(21.(**

**وبعد التدبر في معنى الولي والنبيّ والرسول يظهر ان معنى النبوة والرسالة اسم ظاهر يتعلق أحكامهما بالتحلية أما معنى الولاية فهو اسم باطن وهو يفيد التجلية، ولكل علامة، وعلامة السفراء الإلهيين الولاية. ولما كانت الولاية تشمل الرسالة والنبوة التشريعية والنبوة العامة غير التشريعية، لذا فقد عبّر عنها بالفلك المحيط العام كما في فص العزيري العزيز من فصوص الحكم:**

**»واعلم أنّ الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم ينقطع، ولها الأنباء العام، وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة وفي محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) قد انقطعت فلا نبيّ بعده مشرّعاً أو مشرعاً له ولا رسول وهو المشرع.«**

**ان المشرّع بالهيئة الفاعلية هو النبيّ صاحب الشريعة كموسى وعيسى ومحمّد (صلوات الله عليهما) والمشرّع له بالهيئة المفعولية هو ذلك النبيّ الّذي ليس صاحب شريعة لكنه داخل وتابع لشريعة نبي مشرّع كأنبياء بني اسرائيل التابعين لشريعة موسى، يقول القيصري:**

**»وإنما أُطلق اسم الفلك على الولاية لأنها حقيقة محيطة لكل من يتصف بالنبوة والرسالة والولاية كاحاطة الأفلاك لما تحتها من الأجسام، ولكون الولاية عامة شاملة على الأنبياء والأولياء لم ينقطع أي ما دام الدنيا باقية، وعند انقطاعها ينتقل الأمر إلى الآخرة.«**

**يعبّر في اصطلاح أهل الولاية عن النبوة غير التشريعية بالنبوة العامة تارة وبالنبوة المقامية تارة أُخرى وبنبوة التعريف أحياناً، مقابل النبوة التشريعية، ففي النبوة العامة الإنباء والإخبار بالمعارف والحقائق الإلهية أي أن الولي يطلع في مقام الفناء في الله تعالى على الحقائق والمعارف ثم يقوم بدوره بالإطلاع والإخبار عن تلك الحقائق. ولما كان هذا للأولياء ولا يختص بالنبيّ أو الرسول التشريعي، فقد عبّر عنه في لسان أهل الولاية بالنبوة العامة وأسماء أُخرى أيضاً.**

**في باب فضائل الخضر(عليه السلام) من كتاب الفضائل في صحيح مسلم(22) باسناد عن سعيد بن جبير روى :**

**»حتى أتيا(23) الصخرة فرأى رجلا مسجّى عليه ثوب فسلّم عليه موسى فقال له الخضر إنّي بأرضك السلام قال: أنا موسى. قال: موسى نبي اسرائيل قال: نعم، قال: إنّك على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه، وأنا**

على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه، قال له موسى(عليه السلام): هل اتبعك على أن تعلّمني مما عملت رشداً، الحديث.«

وفي هذا الباب نفسه قول الخضر(عليه السلام) الّذي ورد في صحف أهل التوحيد من أن النبيّ من حيث النبوة التعريفية (أي من حيث كونه) وليّاً يقوم بالإنباء عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله سبحانه، ومن حيث النبوة التشريعية يقوم بتبليغ الأحكام، والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة.

ان النبوة المقامية في الحقيقة هي في نيل الولاية، فالأنبياء لكونهم المظاهر التامة للولاية المطلقة وسائر الفيوضات الإلهية، صاروا قبلةً للناس وانجذب الناس إليهم .فهم في القمة الشامخة للمعرفة يدعونهم إلى الأعلى ويقولون لهم: تعالوا أي ارتقوا الينا. وحاشا لدعوة تلك الأرواح الطاهرة والأفواه العاطرة ان تكون لغواً أو سخرية أو استهزاء أو هزلا. يقول تعالى:

)قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الجَاهِلِينَ)(24.(

اذن لو أن سعيداً لبّى نداءهم حقيقة لا مجازاً، استطاع أن يرتقي على قدر همته إلى مقامات منيعة ودرجات رفيعة، وينال قرب النوافل بل قرب الفرائض، وإن كان لا يصل إلى فضل رتبة النبوة والرسالة والإمامة التشريعية وهذه هي الولاية التكوينية الّتي ينبغي تحصيلها على مائدة الرحمة الرحيمية. يقول الله تعالى في كتابه الكريم في قصة موسى(عليه السلام): (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ)(25.( ومن هذه الآية الكريمة ونظائرها في القرآن الكريم تتميز النبوة التشريعية عن النبوة المقامية كما أن مفاد (وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ) في سياق الآية هو أن الإنسان الواصل والنازل إلى منزل الإحسان يبلغ المشرب الموسوي أو النبوة المقامية في اصطلاح أهل التوحيد، وإن كان لا يبلغ المنصب الموسوي أي فضل النبوة التشريعية.

لا يصير العبد ربّاً بالعبادة، لكنه قد يبلغ رتبة كليم الرب(26.(

ومنزل الاحسان هو مقام المشاهدة والكشف والعيان وله مراتب أولها «أن الله كتب الاحسان على كلّ شيء» وبعده «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» والّذي هو التعليم والخطاب لأهل الحجاب لينتهي بالتالي رفع (كأنّ) لتصبح «لم أعبد ربّاً لم أره» لأنه »والله في قبلة المصلي» هنيئاً لمن هم دوماً في حالة الصلاة(27.(

وأعلم أنّ كلّ ما قلناه في الولاية التشريعية والتكوينية يعودان في مقام توحيد الفعل إلى ولاية واحدة «لا إله

إلاّ الله وحده وحده وحده» الّذي هو توحيد الذات والصفات والأفعال وليس تأكيداً لفظياً (إِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ)(وإليه تُرْجَعُ الأُمُورُ) (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ) (وإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى.(

لذلك ورغم قوله تعالى في آية (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)(28) (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ)(29) فافهم.

واعلم كذلك أن الله تعالى سمّى نفسه ورسوله والمؤمنين في القرآن الكريم بـ «الولي «وان حقيقة الولاية هي ترق الولي وفتقه في الأُمور المولّى عليها فيمسك عنها في بعض ويرسلها في بعض لتصل إلى كمال السعادة المطلوبة والمقدرة، وهذه هي الولاية الحقيقية المبتناة على حقيقة الملك وهي لله تعالى وحسب فهو المولى الحقيقي فقط (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)(30.(

ولما كان الله سبحانه منزّهاً عن مجانسة مخلوقاته فقد نصب خلفاء ووكلاء وممثلين عنه لتربية المملوكين وعبيده.. (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(31.(

ولما كان من لوازم ولاية الحقّ تعالى على العباد هو أن يضحوا له بأرواحهم وأموالهم وأولادهم لأن صدق وخلوص وحقيقة عبوديتهم إنما تظهر بأمثال هذه الأُمور الّتي هي من لوازم العبودية، فقد نصب خليفة وجعله ولياً لعباده وفرض عليه طاعته (لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)(32.(

والولي والمؤمنون خلفاء الله تعالى في الولاية لا شركاؤه فيها «سبحانه وتعالى عن أن يكون له ولي من الذل.«

في صحف أهل الولاية اعتبروا الولي تارةً في مقام المحبوب وتارةً في مقام المحب. فالولي المحبوبي ولايته ليست كسبية، وهو صاحب نفس مكتفية وولايته أزلية ذاتية وهبية كما قال سيد الأولياء والأوصياء(عليه السلام) «كنت ولياً وآدم بين الماء والطين» أما الولي المحبي فولايته كسبية وعليه أن يحصّل الاتصاف بصفات الله والتخلق بالأخلاق حتى يكون ولياً.

تبصرة:

من المطالب المتقدمة في الولاية، وخاصة في بيان الاذن، نعلم سرّ قول أرباب البصيرة وأصحاب العقول أن «بسملة العارف بمنزلة كن الباري تعالى.«

يقول الشيخ محي الدين بن عربي في رسالته الشريفة «الدر المكنون والجوهر المصون في علم الحروف»:

«ومن فاته في هذا الفن سرّ بسم الله الرحمن الرحيم فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء - إلى قوله - : واعلم أن منزلة بسم الله الرحمن الرحيم من العارف بمنزلة كن من الباري جلّ وعلا.«

كذلك عَنْون الشيخ هذا الموضوع في المجاورة (147) من الفتوحات المكية: «ما تأويل قول بسم الله؟

الجواب: هو العبد الكامل في التكوين بمنزلة كن للحقّ... الخ» وهذه النقطة في (بسم الله الرحمن الرحيم) باب بحث «العارف يخلق بهمته ما يكون له وجود من خارج محل الهمة» في فص الاسحاقي من فصوص الحكم والمعنونة في بيان مقام «كن» في الباب 361 من الفتوحات المكية تنسجم مع النتائج العرفانية في معارف المقامات الإنسانية.

ان البحث المذكور باب الاسحاقي في أول الوجود الذهني من الأسفار(33). والبحث في مقام )كن) مقرر في الفصل 11 الباب الثالث من الأسفار(34) والله ولي التوفيق.

## التمثيل في الولاية التكوينية

إن واقعة الشجرة آخر الخطبة القاصعة في نهج البلاغة الّتي انقلعت من مكانها بأمر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لتنتصب أمامه، وجميع المعاجز والخوارق والكرامات من قبيل شقّ القمر والجبل والبحر، وقلع باب قلعة خيبر وغيرها، جميعها من الولاية التكوينية الّتي هي من تأثيرات النفوس المؤهّلة المؤيّدة بروح القدس في الكائنات بإذن الله تعالى ففي الرسالة الّتي كتبها الإمام عليّ(عليه السلام) إلى سهل بن حنيف، قال: «والله ما قلعت باب خبير ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة.«

هذا الحديث الشريف وهو من غرر الأحاديث، مطابق لنقل الصدوق في الأمالي(35) لكن عماد الدين الطبري وهو من أعلام القرن السادس الهجري رواه في كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى»(36) بالصورة التالية: «والله ما قلعت باب خبير ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة.«

وقد قام الشيخ الرئيس ابن سينا في النمط العاشر من كتاب الاشارات بنقل الكلام المتقدم. قال:

»لما كان فرح العارف ببهجة الحقّ أعظم من فرح غيره بغيرها وكانت الحالة الّتي تعرض له وتحركه اعتزازاً بالحق أو حمية الهية أشدّ مما يكون لغيره، كان اقتداره على حركة لا يقدر غيره عليها أمراً ممكناً، ومن ذلك

يتعيّن معنى الكلام المنسوب إلى عليّ(عليه السلام): «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعتها بقوة ربانية.«

## الأنماط الثلاثة الأخيرة للاشارات

النمط الثامن والتاسع والعاشر من الاشارات هو في الولاية التكوينية، وعلم الإنسان الكامل، وكرامات الأولياء، وخرق العادات، ومعجزات الأنبياء، وفي كثير من أسرار الآيات، وهي ثلاث رسائل مستقلة الاستدلال وقيّمة، وتعتبر من الذخائر والكنوز العلمية.

## فضل النبوة ومقام الولاية

في الخطبة القاصعة وهي الخطبة الثامنة والخمسون من النهج يُخبر الإمام عن نفسه ويقول» :أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.«

كذلك جاء في الخطبة نفسها ان النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي.«

ليس لعليّ(عليه السلام) فضل النبوة إلاّ أنه بنور الولاية يسمع ما يسمعه الرسول ويرى ما يراه.

ينقل المسعودي في مروج الذهب، عن السبط الأكبر لرسول(صلى الله عليه وآله وسلم (الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) انّه قال في وصف أبيه التحاقه بالرفيق الأعلى» :والله لقد قُبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلاّ بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون... الخ.«

وهذا يدلل على أن أحداً من الأنبياء أو الأوصياء أو الأولياء لم يتقدم على عليّ(عليه السلام) إلاّ بفضل النبوة.

وروى ثقة الإسلام الكليني في الحديث الخامس (باب الكون والمكان) عن كتاب التوحيد )أُصول الكافي) أن حبراً من الأحبار سأل الإمام(عليه السلام :(

»أفنبيّ أنت؟ فقال(عليه السلام): ويلك أنا عبد من عبيد محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)»(37) بل ان البحراني في تفسيره (البرهان) للآية: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)(38)عن صادق آل محمّد(عليهم السلام) قوله» :وأدنى معرفة الإمام أنه عدْل النبيّ إلاّ درجة النبوة ووارثه وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسوله»(39.(

اذن فهذا الكلام الكامل لدرجة شجرة النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم) مفتاح لفتح أبواب الحجة

**والإمامة.**

**في الكافي والبحار والعوالم وغيرها من أنه قد لا يكون للولي فضل النبوة لكنه قد يكون حسب ولايته أعلم وأفضل من نبيّ.**

**بل ان المرحوم السيد المدني في (روضة السالكين في شرح صحيفة الساجدين) في شرح الدعاء 47من الصحيفة ينقل عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) رواية قال فيها:**

**»علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل» «ان لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون «وجاء في الباب 101 الإمامة في البحار(40) في هذا الموضوع: «إنهم يعني الأئمة(عليهم السلام) أعلم من الأنبياء(عليهم السلام.«(**

**وفي السؤال 146 باب 73 من (الفتوحات المكية) حول الحديث الشريف «ان لله عباداً ليس بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم وقربهم إلى الله تعالى» عنْوَن الجواب على نهج النبوة التشريعية والمقامية، والّذي سيتضح في البحث الآتي من الولاية. وقد روى حديث الغبطة في مسند (أحمد بن حنبل) باسناده إلى أبي مالك الأشعري وضمن عنوان حديث أبي مالك الأشعري عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)(41:(**

**»ثم إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لما قضى صلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال: يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أنّ لله عزّوجلّ عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله.«**

**فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبي الله(صلى الله عليه وآله وسلم)فقال يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟! أنعتهم لنا - يعني صفهم لنا، فسرّ وجه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم :(**

**»هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابّوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.«**

**ونقل ذلك السيد حيدر الآملي في (نص النصوص في شرح فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي)(42) عن**

**أبي جبير:**

**قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) انّه قال: «ان من عباد الله ما هم ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم؟ قال: «هم تحابوا في الله من غير أرحام بينهم ولا أحوال يتعاطونها، فو الله ان وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ الآية:(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)(43.(**

**وقصة النبيّ موسى(عليه السلام) مع عبد من عباد الله الّذي كان معلّماً بالعلم اللدني والّذي جاء ذكره في سورة الكهف من القرآن الكريم تؤيّد حديث الغبطة، ان كهف القرآن هو كهف سرّ الولاية: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آ تَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً *وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً.(**

**وكما قلنا ان المحاورة 146 باب 73 من الفتوحات المكية هي حول هذا الحديث ان الحكيم محمّد بن عليّ الترمذي طرح 150 سؤالا ذوقياً عرفانياً من باب التمحيص والاختبار، وقد أجاب عليها الشيخ في (الفتوحات المكية) من جواب هذا السؤال وجّه الحديثين المذكورين توجيهين، الثاني منهما مطابق لرواية ابن جبير من أن الأنبياء والشهداء يوم القيامة يغبطون أُولئك العباد، وعبارته هي:**

**السؤال السادس والأربعون ومائة: ان لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون بمقاماتهم وقربهم إلى الله تعالى.**

**الجواب: يريد ليسوا بأنبياء تشريع لكنهم أنبياء علم وسلوك: اهتدوا بهدى أنبياء التشريع، غير أنهم ليس لهم أتباع لوجهين:**

**الوجه الواحد لغنائهم في دعائهم إلى الله على بصيرة عن نفوسهم فلا تعرفهم الأتباع، وهم المسوّدون الوجه في الدنيا والآخرة من السؤدد عند الرسل والأنبياء والملائكة، ومن السواد لكونهم مجهولين عند الناس فلم يكونوا في الدنيا يعرفون ولا في الآخرة يطلب منهم الشفاعة فهم أصحاب راحة عامة في ذلك اليوم.**

**والوجه الآخر انّهم لما لم يعرفوا لم يكن لهم أتباع فإذا كان في القيامة جاءت الأنبياء خائفة يحزنهم الفزع الأكبر على أُممهم لا على أنفسهم وجاء غير الأنبياء خائفين يحزنهم الفزع الأكبر على أنفسهم وجاءت هذه**

الطائفة مستريحة غير خائفة لا على أنفسهم ولا يحزنهم الفزع الأكبر على أممهم إذ لم يكن لهم أمم وفيهم قال تعالى) :لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) أن يرتفع الحزن والخوف فيه عنكم في حقّ أنفسكم وحقّ الأمم إذ لم يكن لكم أمة ولا تعرفتم لأمة مع انتفاع الأمة بكم ففي هذا الحال تغبطهم الأنبياء المتبوعون، أولئك المهيمون في جلال الله تعالى العارفون الذين لم تفرض عليهم الدعوة إلى الله.

تبصرة:

من التحقيق المتقدم يتضح وجه الروايات المروية عن الفريقين أن النبيّ عيسى بن مريم(عليهما السلام) يصلّي خلف الحجة القائم من آل محمّد ويجاهد بين يديه، مع أن النبيّ عيسى(عليه السلام) هو من الأنبياء أولي العزم، وذلك لأن النبيّ(عليه السلام) له فضل النبوة أما الإمام المهدي فليس له فضل النبوة وقد ختمت بخاتم الأنبياء «فلا نبي بعده» وحسب موازين الكتاب والسنّة وقواعد الحكمة المتعالية وأصول المعارف العرفانية والّتي هي في الحقيقة نفس شرح وتفسير بطون وأسرار الكتاب والسنّة يصح أن يكون الإنسان متصفاً بحقائق ورقائق أسماء الله تعالى دون أن يكون له فضل النبوة وهو منصب تشريعي، إلاّ أ نّه في غير هذا المنصب وفي الجهات الأخرى مقدم عليه وقدوة له كما لو كان منصوباً لمنصب القضاء فله علوّ المكانة والمرتبة من هذه الجهة أي فضيلة منصب القضاء، وهذا مقام ومنصب عرضي وزائل، وحتى الوقت الّذي هو باق في هذا المنصب فحكمه نافذ وجار، وقد يكون الآخر أعلم وأفضل منه وله الصفات الحقيقية للكمالات الإنسنية وغير محكوم بحكم أحد في النصب والعزل لكنه غير معين في منصة القضاء ، لا شك أن حكم القاضي نافذ في حقه وهو في هذه الجهة يتبع القاضي المنصوب بل هو في الحقيقة تابع مقام القضاء كما قال الشيخ العارف ابن عربي في آخر فص الادريسي من (فصوص الحكم) في بحث العلو الذاتي والصفاتي والعلو بحسب المكانة والمكان أي العلو المرتبي والمكاني. يقول:

»علو المكانة يختص بولاة الأمر كالسلطان والحكام والوزراء والقضاة وكلّ ذي منصب سواء كانت فيه أهلية ذلك المنصب أو لم يكن، والعلو بالصفات ليس كذلك فإنّه قد يكون أعلم الناس يتحكم فيه من له منصب التحكم وإن كان أجهل الناس فهذا عليّ بالمكانة بحكم التبع، ما هو علا بنفسه فإذا عزل زالت رفعته والعالم ليس كذلك.«

**الغرض من المثل المذكور هو انّه مهما كان لعيسى(عليه السلام) حسب الولاية التشريعية فضل النبوة وهو ما ليس للمهدي(عليه السلام) ولكن مع ذلك لا منافاة أن يكون للمهدي(عليه السلام) علو المكانة والمرتبة في الاتصاف بتحقق الأسماء الالهية إلى حد بحيث يكون حسب الولاية التكوينية أفضل من عيسى ومن أن يكون من هذه الجهة قدوة ومتبوعاً حتى من أولي العزم وأصحاب الشريعة.**

**ان كهف القرآن هو كهف لسر الولاية، ان موسى الكليم من أولي العزم وهو اضافة إلى رتبة النبوة فهو صاحب شريعة وحائز لمقام الرسالة والإمامة فعندما وجد مع فتاه (يوشع (عبداً الهياً (الخضر(عليه السلام)) أخذ يتبعه ويسأله كي يعلمه من علومه ويسمع من جوابه (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً) بل انّه فيما بعد يسمع جواباً أشد من ذلك ألا وهو (ألم أقل لك إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً) وفي المرتبة التالية أكثر شدة من ذلك ألا وهو (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُ نَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) فافهم.**

**)وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً إلى قوله تعالى فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آ تَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً *قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً *وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) الآيات.**

**في باب فضائل الخضر(عليه السلام) من كتاب الفضائل في صحيح مسلم روى بسند عن سعيد بن جبير أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما»(44.(**

**وذكر العارف الجامي في (نفحات الانس) في شرح مؤيد الدين الجندي ما يلي: قال ـ يعني الجندي ـ سمعت من شيخي صدر الدين ـ يعني صدر الدين القونوي ـ بأن الشيخ الكبير يعني محي الدين بن عربي التقى بالخضر(عليه السلام) قال: لقد أعددت لموسى بن عمران (صلوات الرحمن عليه) ألف مسألة جرت عليه منذ ولادته وحتى زمان الاجتماع وأنه لم يستطع الصبر على ثلاث منها والاشارة هنا إلى المعنى الّذي قاله صاحب الرسالة(صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال «ليت أخي موسى سكت حتى يقص علينا من أنبائهما.«**

---

**(1)نهج البلاغة: ذيل الخطبة الثانية.**

(2)الشورى: 29.

(3)يوسف: 102.

(4)مفتاح الغيب: 627.

(5)هكذا ترجم الخوارزمي : «ولكن همّة العارف لا تزول عن المحافظة على ذلك المخلوق» ولكن رأينا أن لا تزال تعني (دوماً) و (أبداً) لذلك تصرفنا في العبارة، وقد قمنا بتصحيح هذا الكتاب أعني شرح الخوارزمي في دورة كاملة وبتفصيل وهو تحت الطبع وانّه ـ بحمد الله ـ سيكون أثراً علمياً ثميناً (المؤلف.(

(6)الأعراف: 108.

(7)المائدة: 111.

(8)الأنبياء: 79 ـ 81.

(9)الجاثية: 19.

10)و 11) الشورى: 13 و22.

(12)الرعد: 8.

(13)الاسراء: 106.

(14)تكملة منهاج البراعة: 98/2.

(15)البقرة: 30.

(16)ص: 72.

(17)البقرة: 120.

(18)يوسف: 104.

(19)النحل: 99.

(20)الشورى: 29.

(21)مثنوي: 182 ط حجرية.

7/104 (22)ط بيروت.

(23)أي موسى ويوشع(عليهما السلام. (

(24)البقرة: 67.

(25)القصص: 14.

(26)مضمون لبيت شعر فارسي هذا نصه:

از عبادت نمى توان الله شد *** ميتوان موسى كليم الله شد

(27)خوشا آنان كه دائم در نمازند.

(28)الزمر: 43.

(29)السجدة: 12.

(30)البقرة: 258.

(31)المائدة: 62.

(32)الأنفال: 40.

1/65 (33)ط 1.

4/34 (34)ط 1.

(35)أمالي الصدوق: مجلس 77 ص 307 ط 1 الحجرية.

(36)بشارة المصطفى: 235 ط النجف.

(37)اصول الكافي المعرب: 75/1.

(38)الأعراف: 144.

(39)البرهان: 367/1 ط حجرية.

322/7 (40)ط كمپاني.

(41)مسند أحمد: 343/5.

(42)نص النصوص: ط ص 262.

. : (43)

(44)صحيح مسلم: 105/7 ط بيروت.

# الباب الثاني

## الإنسان الكامل خليفة الله

**»أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ»(1(**

**)ب) مثل هذا الإنسان هو خليفة الله كما يدل على ذلك قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) حيث ان الوصف دائمي لحقيقة الحقائق «جاعل» ، اذن يجب أن يكون المجعول دائماً كذلك لأنه تعالى يقول: جاعل وهي غير جعلت وأجعل ونحوهما، وجاعل ليس مقيداً بشخص ما أو زمان خاص حتى تكون عبارات مثل: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً) (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً)محدودة.**

**والخليفة يجب أن يكون على صفات المستخلف عنه وفي حكمه، وبخلافه فانّه ليس بخليفة، لذا قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) حيث استخدم الجمع المحلى بالألف واللام المؤكدة بـ «كلّ» وقدم كلّ ذلك على «الخليفة» لأهميته.**

**قال الإمام الصادق(عليه السلام): «الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.«**

**اذن فان الآية في دلالتها على لزوم وجود الخليفة إلى يوم القيامة من الأُمهات والمحكمات، وكما أن ذلك يدل على المعنى المذكور فإنه يدل أيضاً على أن تعيين الخليفة ليس من مسؤولية الأُمة فافهم.**

**تعريف الاسم وتوقيفه واشتقاقه**

**المطلب المهم في هذا المقام هو المعرفة بمعنى الاسم في اصطلاح أهل التحقيق أعني أهل المعرفة والولاية، والّذي هو نفس الاسم الوارد في الكتاب والسنّة. نقول في بيان ذلك.**

**محض الوجود البحت مبني على أساس المفهوم القويم للوحدة الشخصية للوجود بحيث يكون مبرءاً عن ممازجة ومخالطة الغير ويعبرون عن ذلك بغياب الهوية واللاتعيّن، ويقولون أيضاً (حضرة الاطلاق الذاتي) والّذي لا مجال لأي وجه من الاعتبارات فيه حتى اعتبار عدم الاعتبار أيضاً لا يوجد فيه، وغير مشوب بأي نوع من اللواحق الاعتبارية وان التركيب والكثرة لا طريق لهما إليه اطلاقاً. وهذا المقام هو اللااسم واللارسم، (لأن اسم الذات مأخوذ بصفة ونعت ما، أي أن يؤخذ متن الذات وعينها باعتبار معنى من المعاني (سواء كانت تلك المعاني وجودية أو عدمية)، فذلك المعنى يسمونه صفة أو نعتاً، وإن شئت قلت: الذات باعتبار تجل من تجلياته هو الاسم كما في الرحمن والرحيم والراحم والعليم والعالم والقاهر والقهار حيث أن عين الذات مأخوذة بصفات الرحمة والعلم والقهر، وان الأسماء المحفوظة والمتداولة هي أسماء هذه الأسماء العينية.**

**والفرق بين التعبيرين كما يلي:**

**ان الأوّل وبما أن حقيقة الوجود مأخوذة بتعيّن من تعيّنات صفاته الكمالية فهو اسم ذاتي أما الثاني فلأن الذات مأخوذة باعتبار تجل خاص من التجليات الالهية فهو اسم فعلي، والّذي سيأتي تفصيله لاحقاً.**

**من هذا البيان المذكور في تعريف الاسم، يتضح مراد الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة(عليهم السلام) من أن الاسم غير المسمى، وكذلك مراد أهل التحقيق في الصحف العرفانية في أن الاسم عين المسمى. فهو غير صحيح وهو عين الصحيح أيضاً. يقول عارف الجندي في رسالته:**

**»مقتضى الكشف والشهود أن الاسم الله ليس عين المسمّى من جميع الوجوه بل من وجه كسائر الأسماء»(2.(**

**فكلام الجندي هذا ناظر لمقام الواحدية لا الأحدية. ويقول القيصري في بداية شرح )الفص الآدمي) من فصوص الحكم:**

**»ان جميع الحقائق الأسمائية في الحضرة الأحدية عين الذات وليست غيرها، وفي الواحدية عينها من وجه وغيرها من آخر»(3) يعني عينها من وجه المصداق والوجود، وغيرها من وجه المفهوم والحدود.**

**وكذلك يعرف المراد من توقيفية الأسماء الالهية في المنظر الأعلى لأهل المعرفة كما أفاد بذلك صائن الدين عليّ بن تركه في «تمهيد القواعد» في شرحه لرسالة جده أبي حامد:**

**»ان لكل اسم مبدأ لا يظهر ذلك إلاّ في موطن خاص من مواطن تنوعات الذات ومرتبة مخصوصة من مراتب تنزلاتها لا يطلق ذلك الاسم عليها إلاّ بذلك الاعتبار وهذا معنى من معاني ما عليه أئمة الشريعة رضوان الله عليهم أنّ أسماء الحقّ توقيفية»(4.(**

**نقول توضيحاً: الأسماء حقائق عينية، والظهورات والبروزات هي تجليات الهوية المطلقة .وهذه هي هوية مطلق الوجود والوجود المطلق باطلاق السعي الكلي وهي الصمد، يعني (لا جوف ولا خلاء له) وهذا الظهور وبروز التجلي يعبّر عنه بالاسم، وبحسب غلبة أحد الأسماء في مظهر ما، يسمى ذلك المظهر بذلك الاسم الغالب.**

**لقد ذكرنا قيد الغلبة لنبين أن سلطان الوجود أنّى نزل بجلاله فإن جميع عساكر الأسماء والصفات تكون بمعيته لأنها من لوازمه حيث ان هذه اللوازم تكون ظاهرة في بعض المظاهر وباطنة في بعضهاالآخر كما سيأتي بحثه التفصيلي لاحقاً.**

**الاسم على قسمين: أحدهما: اسم تكويني عيني خارجي والّذي هو شأن من شؤون الذات الواجبة الوجود (كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأن)(5.(**

**والاسم الآخر: هو الاسم الّذي هو عبارة عن اللفظ.**

والمرتبة العالية للاسم القرآني والعرفاني هو الأوّل وليس الثاني (وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا)(6.(

وان كان لكل من الاسم واسم الاسم أحكامه الخاصة وفق حكم الشرع.

)قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى)(7.(

ولما لم يكن ثمة مرجع للضمير في كلمة (فله) ـ في هذه الآية الكريمة ـ فإنه يُحكم بأن كلمة «هو» هي الأسماء الحسنى، نعم (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(8.(

وتمثيلا نقول: ان الذات مع الصفة المعينة الّتي هي الاسم مثل أمواج البحر الّتي تعكس تطورات تكسرات ماء البحر، فكل موج هو ماء متشئن بحد وهو الانكسار فليس لهذه الأمواج وجودات استقلالية على الرغم من أن كلا منها ليس بحراً لكنها ليست منفصلة عن البحر أيضاً. فذات الماء بتكسر خاص هو موج، وهذا الموج هو أحد الأسماء، وموج آخر هو اسم آخر، وإذا أردنا أن نضع لهذه الأسماء الشؤونية لبحر الألفاظ بما تقتضيه خواص الماء في هذه المظاهر، وبحسب غلبة وصف من أوصافها فإن هذه الألفاظ هي أسماء لتلك الأسماء الشؤونية والّتي هي أسماء الأسماء.

ولزيادة التبصر والفهم نرى من الصواب أن ننقل بعضاً من أقوال أساطين فن العرفان في تعريف الاسم. قال عبدالرزاق القاساني في الاصطلاحات: «ان الاسم باصطلاحهم هو اللفظ بل هو ذات المسمى باعتبار صفة وجودية، كالعليم والقدير، أو سلبية كالقدوس والسلام.«

قال القيصري في الفصل الثاني من مقدمات شرح فصوص الحكم:

»والذات مع صفة معينة، واعتبار تجل من تجلياته تسمى بالاسم فإنّ الرحمن ذات لها الرحمة، والقهار ذات لها القهر. وهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الأسماء. ومن هنا يعلم أن المراد بأن الاسم عين المسمى ما هو»(9) انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

متى ما أخذ عين الذات يعني حقيقة الوجود مع صفة معينة من صفاته الكمالية فهو اسم ذاتي، ومتى ما أخذ الذات مع اعتبار تجل خاص من تجلياته فهو اسم فعلي. وفي هذا المجال يُنقل الكثير من التحقيقات والتوضيحات المستفيضة من كلام المتأله السبزواري .ولقد ذكرنا في تعبيراتنا العين والمتن لغرض التمييز بينها وبين الاسم المشتق المستخدم في العلوم الرسمية، فتبصّر.

وتأتي أهمية الّذي فعله القيصري بعد تعريف الاسم انّه قال: «ومن هنا يعلم أن المراد أن الاسم عين المسمى ما هو» بسبب ما كان موجوداً من نزاع كلامي متجذّر في المؤلفات حول ما إذا كان اسم العين مسمى أو غير ذلك، ولهذا السبب أيضاً طُرحت أسئلة على الأئمة الهداة المهديين بخصوص هذا الباب وهو هل ان الاسم عين المسمى أم غير ذلك .وفي

المجامع الروائية ـ مثلا ـ في باب معاني الأسماء في كتاب التوحيد في أُصول الكافي روى باسناده.

»عن هشام بن الحكم انّه سأل أبا عبدالله(عليه السلام) عن أسماء الله واشتقاقها، الله مما هو مشتق؟ فقال: يا هشام الله مشتق من اله واله يقتضي مألوها، والاسم غير المسمى فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً. ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين. ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد. أفهمت يا هشام؟ قال :قلت زدني. قال: لله تسعة وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمّى لكان لكلّ اسم منها الهاً ولكن الله معنىً يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلها غيره. يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله به وثبتك يا هشام. قال: فهو الله ما قهرني أحد في التوحيد متى قمت مقامي هذا.«

قال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في الفص الشيثى من «فصوص الحكم.«

»وعلى الحقيقة فما ثمة إلاّ حقيقة واحدة تقبل جميع هذه النسب والإضافات الّتي كنّى عنها بالأسماء الإلهية.«

## قال صدر المتألهين في شرح آية الكرسي

»والتكثّر في الأسماء بسبب تكثر الصفات، وذلك التكثّر أنما يكون باعتبار مراتبها الغيبية الّتي هي مفاتيح وهي معان معقولة في عين الوجود الحقّ بمعنى أن الذات الإلهية بحيث لو وجد في العقل أو أمكن أن يلحظها الذهن لكان ينتزع منه هذه المعاني ويصفها به فهو في نفسه مصداق لهذه المعاني» انتهى.

## قال الفيض المقدس في علم اليقين

»إنما يفيض الله سبحانه الوجود على هياكل الموجودات بواسطة أسمائه الحسنى قال عزّ وجلّ (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) والاسم هو الذت من حيث تقيده بمعنى، أي الذات الموصوفة بصفة معينة كالرحمن، فإنه ذات لها الرحمة، والقهار ذات لها القهر، ومن هنا قال (سبّح اسم ربّك) فاسمه سبحانه ليس بصوت فإنه لا يسبّح بل يسبّح به، وقال: (تبارك اسم ربّك ذو الجلال والاكرام) فوصفه بذلك يدلّ على أنه حيّ لذاته فالاسم هو عين المسمّى باعتبار الهوية والوجود وإن كان غيره باعتبار المعنى والمفهوم فهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الأسماء. سئل الإمام الرضا(عليه السلام (عن الاسم ماهو؟ قال: «صفة لموصوف» وعن الصادق(عليه السلام) : «من عبد الله بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته

الّتي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه به ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلانيته فأولئك هم المؤمنون حقّاً»(10.(

قال المتألّه السبزواري في شرح الأسماء (بند 56 يا من له الأسماء الحسنى:(

»الاسم عند العرفاء هو حقيقة الوجود مأخوذة بتعين من التعينات الصفاتية من كمالاته تعالى، أو باعتبار تجلّ خاص من التجليات الإلهية (وهذا اسم فعل والأوّل اسم ذاتي .وهذا ظهور على الماهية الإمكانية كماهية العقل الكلي، والأوّل ظهور بمفهوم الصفة الواجبة الذاتية) . فالوجود الحقيقي مأخوذاً بتعين الظاهرية بالذات والمظهرية للغير الاسم النور، وبتعين كونه ما به الانكشاف لذاته ولغيره الاسم العليم، وبتعين كونه خيراً محضاً وعشقاً صرفاً الاسم المربد، وبتعين الفياضية للنورية عن علم ومشية الاسم القدير، وبتعين الدراكية والفعالية الاسم الحي، وبتعين الاعراب عمّا في الضمير المخفي والمكنون الغيبي الاسم المتكلم وهكذا . وكذا مأخوذاً بتجل خاص على ماهية خاصة بحيث يكون كالحصة الّتي هي الكلي المضاف إلى خصوصية تكون الاضافة بما هي اضافة وعلى سبيل التقيد لا على سبيل كونها قيداً داخلة والمضاف إليه خارجاً لكن هذه بحسب المفهوم، والتجلي بحسب الوجود اسم خاص، والمقصود أنه كما أنّ مغايرة الكلي والحصة اعتبارية اذ التغاير ليس إلاّ بالاضافة وهي اعتبارية والمضاف إليه خارج كذلك التجلي ليس إلاّ ظهور المتجلى وظهور الشيء لا يباينه، إلاّ أن الكلي والحصة يطلقان في عالم المفاهيم والمتجلي والتجلي يطلقان على الحقيقة.

فنفس الوجود الّذي لم يلحظ معه تعين ما بل بنحو اللا تعين البحت هو المسمى، والوجود بشرط التعين هو الاسم، ونفس التعين هو الصفة، والمأخوذ بجميع التعينات الكمالية اللائقة به المستتبعة للوازمها من الأعيان الثابتة الموجودة، بوجود الأسماء كالأسماء بوجود المسمى هو مقام الأسماء والصفات الّذي يقال له في عرفهم المرتبة الواحدية كما يقال للموجود الّذي هو اللاتعين البحت: المرتبة الأحدية. والمراد من اللاتعين عدم ملاحظة التعين الوصفي (قد يطلق التعين ويراد به التشخص أي ما به يمنع عن الصدق على الكثرة، ويقال له الهوية ولا هو إلاّ هو، وقد يطلق ويراد به الحد والضيق، واللاتعين هنا بهذا المعنى ومنه:

وجود اندر كمال خويش سارى است *** تعيّنها امور اعتبارى است(11(

وأما بحسب الوجود والهوية فهو عين التشخص والتعيّن والمتشخص بذاته والمتعين بنفسه .وهذه الألفاظ ومفاهيمها مثل الحي العليم المريد القدير المتكلم السميع البصير وغيرها أسماء الأسماء.

إذا عرفت هذا عرفت أنّ النزاع المشهور المذكور في تفسير البيضاوي وغيره من أن الاسم عين المسمّى أو غيره مغزاه ماذا، فإنّ الاسم علمت أنه عين ذلك الوجود الّذي هو المسمى، وغيره باعتبار التعيّن واللاتعين، والصفة أيضاً

وجوداً ومصداقاً عين الذات ومفهوماً غيره، فظهر أنّ بيانهم في تحرير محل النزاع غير محرر بل لم يأتوا ببيان، حتى ان شيخنا البهائي أعلى الله مقامه قال في حاشيته على ذلك التفسير: قد تحيّر نحارير الفضلاء في تحرير محل البحث على نحو يكون حرباً بهذا التشاجر حتى قال الإمام في التفسير الكبير: ان هذا البحث يجري مجرى العبث وفي كلام المؤلف ايماءً إلى هذا أيضاً انتهى كلامه رفع مقامه.

)قوله: «حتى قال الإمام...» لانه ان اريد به اللفظ فلا ريب انّه غير المسمى، أو المعنى فلا شك أنه عينه، أو الصفة فهو مثلها في العينية والغيرية والواسطة عند الأشعري. والفرق بين الاسم والصفة كالفرق بين المشتق ومبدئه فالعليم والقدير مثلا اسم والعلم والقدرة صفة فالنزاع عبث لا طائل تحته.(

وأنا أقول: لو تنزلنا عمّا حرّرنا على مذاق العرفاء الشامخين نقول: يجري النزاع في اللفظ بل في النقش إذ لكلّ شيء وجود عيني وذهني ولفظي وكتبي والكل وجوداته وأطواره وعلاقتها معه أما طبيعية أو وضعية فكما أنّ وجوده الذهني وجوده، كذلك وجوده اللفظي والكتبي إذا جعلا عنوانين له آلتين للحاظه فإنّ وجه الشيء هو الشيء بوجه وظهور الشيء هو هو فإذا سمع لفظ السماء مثلا أو نظر إلى نقشه يستغرق في وجوده الذهني الّذي هو أربط وأعلق به ولا يلتفت إلى أنه كيف مسموع أو مبصر بل جوهر بجوهريته وظهور من ظهوراته وطور من أطواره، ومن ثم لا يمسّ نقش الجلالة بلا طهارة ويترتب على تعويذه وتعويذ أسماء الأنبياء والأئمة(عليهم السلام) الآثار.

)وكذا خطّ المصحف ومن ثم يصحّح قول المتكلم القائل بأن كلام الله قديم حتى ما بين الدفتين لأن القرآن له منازل عالية ومجالي شامخة إلى العلم العنائي حتى ان المشائين عندهم الصور العملية القديمة كلمات الله وكلّ واحدة منها كالكاف والنون لأنها علة لما يكون وخطاب لم يزل بما لا يزال ان الكلام لفي الفؤاد، والحروف في نقطة المداد.(

ثم انّه يمكن أن يراد بالأسماء الحسنى في هذا الاسم الشريف الأئمة الأطهار كما ورد عنهم(عليهم السلام) «نحن الأسماء الحسنى الذين لا يقبل الله عملا إلاّ بمعرفتنا «وفي كلام أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام): «إنا الأسماء الحسنى» فإن الاسم من السمة وهي العلامة ولا شك أنهم علائمه العظمى وآياته الكبرى كما قال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) : «من رآني فقد رأى الحقّ». ولأن مقام الأسماء والصفات مقامهم(عليهم السلام) وحقّ معرفته حاصل لهم والتحقق بأسمائه والتخلّق بأخلاقه حقهم فهم المرحومون برحمته الصفتية، والمستفيضون بفيضه الأقدس كما أنهم مرحومون برحمته الفعلية والفيض المقدس، وأما معرفة كنه المسمّى والمرتبة الأحدية فهي مما استأثرها الله لنفسه) .قولنا ولأن مقام الأسماء والصفات مقامهم أي الأسماء والصفات الّتي في المرتبة الواحدية كما يقال لها «سدرة المنتهى» لأنها منتهى مسير الكمل وظهور الذات بها رحمته الصفتية كما أن أشراقه على الماهيات الإمكانية

رحمته الواسعة الفعلية ولا يقبل الله عملا بمعرفتنا لأنا وسائط الحادث بالقديم والأسماء الحسنى روابط ومخصصات لفيضه المطلق ولولاها لم يتحقق عالم الكثرة) »(12.)

وخاتمة كلام المرحوم الحاجي في شرح الأسماء مع تعليقاته ما نقلناه بين هلالين، ولهذه الشخصية مطالب مفيدة في تبيين مراتب وجود الشيء في «اللئالي المنظومة» في المنطق وكذلك في الشرح والحواشي حيث يقول:

وإنّ في وجودات الأُمور رابطة *** ترشدكم صناعة المغالطة

وتلك عيني وذهني طبع *** ثمة كتبي ولفظي وضع

ويقول الشيخ البهائي في الكشكول:

»اعلم أن أرباب القلوب على أن الاسم هو الذات مع صفة معينة، وتجل خاص وهذا الاسم هو الّذي وقع فيه التشاجر مع إنه هو عين المسمى أو غيره، وليس التشاجر في مجرد اللفظ كما ظنّه المتكلمون فسوّدوا قراطيسهم وأفعموا كراديسهم بما لا يجدي بطائل ولا يفوق العالم به على الجاهل»(13.)

كانت تلك بعضاً من مقولات أساتيذ هذا الفن بخصوص تعريف الاسم والصفة رأينا أن ننقلها لغرض المزيد من التبصر في رفع أي ابهام في معنى الاسم والّذي يعتبر من أهم الأُمور في مسائل موضوع الرسالة.

وخلاصة القول ان وحدة الظاهر وكثرة وتعدد المظاهر والّتي هي في الواقع من شؤون وظهورات وبروزات وتجليات الهوية المطلقة أي نفس تلك الوحدة الحقة الحقيقية، يلزم تدقيق الفكر وتلطيف السريرة وكذلك هو ما نقله العلاّمة الشيخ البهائي في الكشكول.

»قال السيدالشريف في حاشية شرح التجريد:إن قلت:ما تقول في من يرى أن الوجود مع كونه عين الواجب وغير قابل للتجزّي والانقسام قد انبسط على هياكل الموجودات وظهر فيها فلا يخلو منه شيء من الأشياء بل هو حقيقتها وعينها وإنما امتازت وتعينت بتقيدات وتعينات وتشخصات اعتبارية ويمثل بالبحر وظهوره في صورة الأمواج المتكثرة مع أنه ليس هناك إلاّ حقيقة البحر فقط؟

قلت: هذا طور وراء طور العقل لا يتوصل إليه إلاّ بالمجاهدة الكشفية دون المناظرات العقلية وكلّ ميسر لما خلق له»(14.)

## ان الاسم الّذي يكون موجباً لارتقاء واعتلاء الجوهر الإنساني هو اسم عيني

ان الاسم الّذي يكون موجباً لارتقاء واعتلاء الجوهر الإنساني والّذي بارتقائه درجة درجة يصل إلى منزلة يكون قادراً فيها على التصرف بمادة الكائنات هو الاسم العيني حيث ان الإنسان وبحسب الوجود والعين إذا اتصف بأي اسم من

الأسماء الإلهية والّتي هي كلمات «كن» الباري فإن سلطان ذلك الاسم وخواصه العينية تظهر فيه، فيصبح هو الاسم، وعندها يمكنه أن يفعل ما كان يفعله المسيح.

وهذا حديث شريف رواه الصدوق بإسناده في معاني الأخبار عن أبي إسحاق الخزاعي عن أبيه عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «دخلت مع أبي عبدالله(عليه السلام)على بعض مواليه يعوده، فرأيت الرجل يكثر من قوله آه، فقلت: يا أخي أذكر ربّك واستغث به، فقال أبو عبدالله(عليه السلام): «وان آه من أسماء الله عزّوجلّ فمن قال آه فقد استغاث بالله تبارك وتعالى»(15).

## التجليات الأسمائية وغاية الحركة الوجودية والايجادية

لقد عبّر القرآن الكريم وروايات أهل العصمة والوحي(16) عن التجليات والّتي هي الظهورات نفسها بتعبير اليوم: (كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأن)(17) هذه التجليات والظهورات، هي عبارة عن انفطار الموجودات عن ذات الواجب تعالى، وان اشتقاق هذه الكلمات الوجودية يكون من مصدرها والّذي هو الوجود الواجب، والجميع قائم به على نحو قيام الفعل بالفاعل، والمعلول بالعلة، والفرع بالأصل، كما يقال: (انفطر النور من الشجر.(

ان الأسماء الالهية تعريف للصفات الجمالية والجلالية للذات المقدسة للحقّ تعالى وهذه الأسماء باعتبار الجامعية يتميز بعضها على البعض الآخر بالفضل والمزية والمرتبة حتى تنتهي بكلمة الجلالة «الله» وهي الاسم الأعظم والكعبة لجميع الأسماء حيث الجميع طائف حولها، وكذلك فإن مظهر الاسم الأعظم وتجلّيه الأتم (الإنسان الكامل) هو كعبة الجميع، ولا يوجد فرد آخر أليق منه بذلك، بل هو في الحقيقة الاسم الإلهي الأعظم، وهو في زمان الغيبة خاتم الأولياء قائم آل محمّد المهدي الموعود (الحجة بن الحسن العسكري) صلوات الله عليهم أجمعين.

ولبقية الأوتاد والأبدال الكمّل، وكذا الأفراد غير الكمّل القرب المعنوي من مركز دائرة الكمال، كلٌّ حسب حظه ونصيبه من التحقق بالأسماء الحسنى والصفات الإلهية العليا وبالشكل الّذي سنوضحه لاحقاً في هذه الرسالة، بعد امداد الممدّ والمفيض وبالاعتماد على أولياء الحقّ والاستمداد من تلك الأرواح القدسية كالشمس في السماء الصاحية.

والأهم من ذلك هو اتصاف الإنسان وتخلقه بحقائق الأسماء الّتي تمثل الثروة الواقعية والسعادة الحقيقية له.

وإن كان معرفة لغات الأقوام وألسنتهم فضلا، إلاّ أن الّذي يكون منشأ للآثار الوجودية وموجباً لقدرة وقوة النفس الناطقة وسبباً لقربها من الجمال والجلال المطلق هو أن تكون مظهر الأسماء وتصير حقائقها الوجودية صفات وملكات في النفس.

فلو كان تعلّم الأسماء (وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا)(18) تعليماً للألفاظ واللغات فكيف يمكن أن يكون ذلك سبباً لتفاخر آدم

واعتلائه على الملائكة. ان المرحلة العليا الّتي يبلغها إنسان ما إذا كان مطلعاً وعارفاً بلغة أجنبية هي أن يكون بمستوى فلاّح عامي من أهل تلك اللغة، وقد لا يصل إلى هذه المرتبة. لذا قال أمين الإسلام الطبرسي في المجمع في تفسير هذه الآية: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا): أي علّمه معاني الأسماء إذ الاسم بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لإشارة الفضيلة بها». ثم يقول: «وقد رُوي عن الصادق(عليه السلام) أنه سُئل عن هذه الآية فقال: «الأرضين والجبال والشعاب والأودية. ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علمه.«

نستنتج من البيان الّذي قدمناه في الاسم والمسمى بأن هذه التجليات والظهورات هي انفطار الموجودات من الذات الواجبة، وان اشتقاق هذه الكلمات الوجودية يكون من مصدرها والّذي هو الوجود الواجب، والجميع قائم به بنحو قيام الفعل بالفاعل، والمعلول بالعلة، والفرع بالأصل كما يقال (انفطر النور من الشجر) وكم لحديث الاشتقاق من عذوبة في هذا المقام!

## حديث الاشتقاق وبعض الاشارات واللطائف المستفادة منه

من خلال المطالب الّتي قدمناها في بحث الاسم يمكن أن نفهم معنى اشتقاق الأسماء من الذات الواجبة تعالى وكذلك حديث «نحن الأسماء الحسنى» ونظائره المروية عنهم(عليهم السلام) في المجاميع الروائية عن الوسائط بين القديم والحادث.

ان الاشتقاق الصرفي والأدبي هو مظهر أو صورة لهذا الاشتقاق، فالسلسلة الطولية للعوالم وفي جميع أحكامها الوجودية تحكي بصورة رقيقة وحقيقية عن أحدها الآخر أن المرتبة العالية هي الحقيقة الدانية وأن المنزلة الدانية هي الرقيقة العالية.

وفي تفسير الصافي للمرحوم الفيض جاء ضمن تفسير الآية الكريمة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) ورد هذا الحديث الشريف الّذي نرجو التبرك بنقله:

»قال عليّ بن الحسين(عليه السلام) : حدّثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)قال: يا عباد الله ان آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبيّن الأشباح فقال يا ربّ ما هذه الأنوار؟ فقال عزّوجلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح. فقال آدم: يا ربّ لو بينتها لي، فقال الله عزّوجلّ: أُنظر يا آدم إلى ذروة العرش. فنظر آدم(عليه السلام (ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار

أشباحنا الّتي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ قال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبرياتي هذا محمّد وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي .

وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي .

وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يعيرهم ويشينهم، فشققت لها اسماً من اسمي.

وهذا الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل شققت اسميهما من اسمي.

هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسّل بهم إليَّ. يا آدم دهتك داعية فاجعلهم الي شفعاءك فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً إلاّ أُخيّب بهم أملا ولا أرد بهم سائلا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عزّوجلّ بهم فتيب عليه وغُفرت له.«

من هذا الحديث الشريف يظهر أن العرش مراتب ودرجات، ولذلك قال: «من ذروة العرش، من أشرف بقاع عرشي» وكم هو عظيم المنزلة تقابل الظهر والوجه وخاصة كلمة الظهر الّتي تشعر أيضاً ان ظهور تلك الأشباح في النشأة العنصرية هي في ظهر ووراء آدم اضافة إلى أنه أظهر آدم على أنه مرآة قابلة لانطباع الصور وحقائق الأنوار المجردة فاظهر بعد ذلك على أنه يملك جهازاً ومعملا لتمثيل الأنوار المجردة واظهارها على صورة أشباح )فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً)(19) فسبحان الله الّذي أعظم شأن الإنسان أي تعظيم.

في باب الروح من توحيد الكافي(20) باسناده عن محمّد بن مسلم قال:

سألت أبا جعفر(عليه السلام) عما يروون أن الله خلق آدم على صورته، فقال: «هي صورة محدثة مخلوقة واصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه فقال بيتي ونفخت من روحي.«

والحديث بعد ذلك عن «شققت له اسماً من اسمي» حيث قال: (شققت) ولم يقل (جعلت) أو تعبيرات أُخرى مشابهة فهذا الاشتقاق هو انشقاق وانفطار اسمي من الذات السبحانية الّتي لا نظير ولا قبيل لها. اسم بذلك المعنى السابق بخصوص الاسم الأسمى والكلمة العليا الّتي يكون ذاته وصفاته وأفعاله المصدر الأتم، والناطق بـ «أُوتيت جوامع الكلم» إذ يكون المصدر ومصدره في فعاله حميداً ومحموداً.

في الاشتقاق الأدبي الّذي هو ظل لهذا الاشتقاق كلّ صيغة مشتقة هي مصدر متعين بتعيّن خاص وصيغة لفعله تبين هيئة وكيفية الفعل والّتي هي صياغة خاصة، وإنما يطلق على الصائغ كذلك لأن عمله صياغة الذهب واظهاره بصيغ

وهيئات مختلفة.

فالاشتقاق الآخر هو اسم الوصيّ(عليه السلام) من الاسمين الأعظمين عليّ وعظيم.

الحديث الثاني من باب حدوث الأسماء من توحيد الكافي(21) مسنداً عن ابن سنان قال :سألت أبا الحسن الرضا(عليه السلام) هل كان الله عزّوجلّ عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت يراها ويسمعها؟ قال: «ما كان محتاجاً إلى ذلك لأ نّه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمّى نفسه ولكنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأ نّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف. فأول ما اختار لنفسه: العليّ العظيم، لأ نّه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله واسمه العليّ العظيم هو أول أسمائه علا على كلّ شيء.«

الملاحظة الأُخرى الملفتة للنظر هي ان اسمي الإمامين الحسن والحسين(عليهما السلام (كلاهما مشتقان من اسم محسن ومجمل أي أن الإمام الحسن(عليه السلام)محسن ومجمل في سيرته وكذلك الإمام الحسين(عليه السلام) سواء في ذلك الإمام الحسن(عليه السلام) في مواجهة بني أُمية لمصلحة الدين والأُمة، وثورة الإمام الحسين(عليه السلام)، قال النبيّ الأكرم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(22) وقال أبو جعفر(عليه السلام) إنّه «يعني الحسن(عليه السلام)» أعلم بما صنع لولا ما صنع لكان أمر عظيم «وقال الحسن(عليه السلام): «ما تدرون ما فعلت والله للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس»(23.(

كما سكت الإمام عليّ عن حقه حفاظاً على الإسلام والمسلمين ويمكن اعتبار الخطبة الشقشقية وثيقة مهمة في هذا المجال.

والاحسان على مراتب والإنسان الكامل حائز لهذه المراتب كلها. وقد تحدث الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في (الفتوحات المكية) باب أربعمائة وستون عن الإسلام والإيمان والإحسان، ومن جملة ما قاله ما يلي:

»ورد في الخبر الصحيح الفرق بين الإيمان والإسلام والإحسان فالإسلام عمل والإيمان تصديق والإحسان رؤية أو كالرؤية فالإسلام انقياد والإيمان اعتقاد والإحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت وظهرت عليه أحكامها عم تجلي الحقّ له في كلّ صورة.«

وله بحث مفيد في الباب 558 حول الاحسان قال فيه:

»قال جبرائيل(عليه السلام) لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : الاحسان أن تعبد الله كأ نّك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك. وفي رواية: فإن لم تكن تراه فإنه يراك فأمره أن يخيله ويحضره في خياله على قدر علمه به فيكون محصوراً له، وقال تعالى) :هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلاَّ الإحْسَانُ) فمن علم قوله: «ان الله خلق آدم على صورته»، وعلم

قوله عليه الصلاة والسلام: «من عرف نفسه عرف ربّه» ، وعلم قوله تعالى) :وَفِي أنفَسِكُمْ أ فَلا تُبْصِرُونَ) (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآ فَاقِ وَفِي أ نْفُسِهِمْ) علم بالضرورة أنه إذا رأى نفسه هذه الرؤية فقد رأى ربّه بجزاء الإحسان وهو أن تعبد الله كأنّك تراه إلاّ الاحسان وهو أنك تراه حقيقة كما أريته نفسك... الخ.

ذكر ابن الفناري في كتابه (مصباح الانس) في الفصل الأوّل لسورة الفاتحة بحثاً مفصلا حول الاحسان ومراتبه، ونقل شواهد نقلية في هذا المجال، وذكر العلاّمة القيصري خلاصة ذلك في شرح الفص الشعيبي (ص 282) وفي بداية الفص الإسحاقي (ص 189) وفي بداية الفص اللقماني من «فصوص الحكم:«

الإحسان لغة فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير بالمال والقال والفعل والحال كما قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «وإن الله كتب الإحسان على كلّ شيء فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، الحديث». وفي ظاهر الشرع: «أن تعبد الله كأنك تراه» كما في الحديث المشهور، وفي باطنه والحقيقة شهود الحقّ في جميع المراتب الوجودية إذ قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): كأنك تراه تعليم وخطاب لأهل الحجاب.

فللإحسان مراتب ثلاث:

أولها: اللغوي وهو أن تحسن على كلّ شيء على من أساء اليك وتعذره وتنظر على الموجودات بنظر الرحمة والشفقة.

وثانيها: العبادة بحضور تام كأنّ العابد يشاهد ربّه.

وثالثها: شهود الربّ مع كلّ شيء وفي كلّ شيء كما قال تعالى: (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى (أي مشاهد لله تعالى عند تسليم ذاته وقلبه إليه.

قال الوصيّ(عليه السلام): «قيمة كلّ امريء مايحسن» يقول الجاحظ في (البيان والتبيين)(24) بعد نقله النص المذكور: «فلو لم نقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّوجلّ قد ألبسه من الجلالة وغشّاه من نور الحكمة على حسب نيّة صاحبه وتقوى قائله.«

ومن النكت المهمة في حديث الاشتقاق المذكور هو ما جاء في آخره في وصف تلك الأنوار حيث يقول: «هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم أُعطي وبهم أُعاقب وبهم أُثيب.«

نفس هذا التعبير جاء بخصوص العقل أيضاً كما روى ذلك ثقة الإسلام الكليني في بداية أُصول الكافي وبداية الحديث هو: روى بسنده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أُحب، أما اني

إياك آمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أثيب.«

روي هذا الحديث في كتب الفريقين بأسانيد وصور متعددة، ونُقل بشكل مفصل ومبسوط في الباب الثالث والخمسين من إرشاد القلوب للديلمي، وهو الحديث الأوّل في ذلك الباب، وذُكرت فيه ملاحظات غاية في الدقة والأهمية.

والغرض من كلّ ذلك هو أن أوصاف وسائط الفيض الإلهي ذُكرت في حديث الاشتقاق، وفي هذا الحديث جاءت بخصوص العقل، ومن خلال التأليف بين هذين الحديثين نحصل على هذه النتيجة وهي ان الإنسان الكامل هو العقل، وكذلك فإن النتائج الكثيرة الأُخرى الّتي يصل إليها مستنتج الحقائق من التأليف بين هاتين المقدميتن أعني الحديثين المذكورين ـ هو أن الأحاديث كالآيات يفسر بعضها بعضاً، وبعضها شاهد على البعض الآخر وحاك عنه.

قال الصادق(عليه السلام): «أحاديثنا يعطف بعضها على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»(25.(

ان لسان ولغة السفراء الإلهيين كلها أسرار، نسأل الله أن يرزقنا توفيق فهم أسرارهم ورموزهم ويمكن الاستفادة من نكت أُخرى في حديث الاشتقاق المذكور ولكن الخوض في بحثها قد يؤدي بنا إلى الخروج عن موضوع هذه الرسالة.

## المراد من تعليم الأسماء مما أفاضه الفيض المقدس في تفسير تعليم الأسماء هو:

»المراد بتعليم آدم الأسماء كلها خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متبائنة حتى استعدّ لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وإلهامه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأُصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها والتميز بين أولياء الله وأعدائه فتأتي له بمعرفة ذلك كله مظهريته لأسماء الله الحسنى كلها وبلوغه مرتبة أحدية الجمع الّتي فاق بها سائر أنواع الموجودات ورجوعه إلى مقامه الأصلي الّذي جاء منها وصار منتخباً لكتاب الله الكبير الّذي هو العالم الكبير.«

هذا البيان يوضح ما ذكرناه من أن المراد من تعليم الأسماء هو امتلاك استعداد وجبلة تمكنان الإنسان أن يمثل الكون الجامع، وكان الحديث في أنّ دلالة الآية الكريمة) :إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) صريحة على استمرار وجود الخليفة المنصوب من قبل الله تعالى وأ نّه يجب أن يكون الخليفة وفقاً لصفات المستخلف عنه وبما أن واجب الوجود مستجمع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا فإن الخليفة أيضاً يجب أن يتصف بصفاته لذا قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ومثل هذا الشخص مطاع من قبل الملائكة.

## خليفة الله جامع لجميع أسماء الله

في هذه الآية الكريمة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) وبلحاظ تعدد الأسماء الإلهية وأتصاف الخليفة بصفات المستخلف

عنه، يتمّ وجوب استمرار وجوب الإنسان الكامل على الأرض الموجود دائماً في أفراد نوع الإنسان وهو الفرد الأكمل من جميع أفراد الكائنات في جميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية حتى يكون ممثلا لحضرة الاله تعالى.

فمثلا أن الحقّ واحد أحد مما يدل على اكمال وحدانية ذاته، وبناءً على ذلك فإنّه يجب أن يكون في أفراد النوع الإنساني (الّذي هو أكمل وأتم وأشرف الأنواع) من هو متميز عنهم ومنفرد في اتمام الكمال.

والحقّ جلّ وعلا عالم وعليم وأن ذلك يدل على احاطته بجميع ما سواه اذن يجب أن نجعل لله تعالى مظهراً وعلامةً في أفراد النوع الإنساني يكون علمه أتم من علم ما سواه، وهكذا في صفات القادر القدير السامع السميع البصير الخبير وبقية أسمائه اللامتناهية )وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا) وحتى في الأسماء الالهية المستأثرة بمعنىً.

*الله* ليس مكرراً في «الفاتحة«

ان الأسماء الالهية معرّفة للصفات الجمالية والجلالية للذات المقدسة للحقّ تعالى، وهذه الأسماء ـ باعتبار جامعيتها ـ لبعضها الفضل والمزية والمرتبة على البعض الآخر حتى تنتهي جميعها بكلمة الجلالة المباركة ألا وهي كلمة الله الذاتية «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وهذه الكلمة الذاتية (ببرهان التوحيد في الذات، وفي الالهية بحسب الوجود)، وصف وهو ربّ العالمين(الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ. (

لذا فإن «الله» ليس مكرراً في الفاتحة، واسم الجلالة هو الاسم الأعظم وكعبة جميع الأسماء، وأن الجميع طائف حوله، وكذلك الإنسان فهو مظهر الاسم الأعظم وتجليه الأتمّ وهو كعبة الجميع، ولا يوجد فرد آخر أولى منه بذلك.

اذن فالإنسان هو الاسم الإلهي الأعظم. وقال بعض العلماء بأنّ «علم» اسم أعظم وقال أحد أكابر أهل المعنى: لدي عقيدة بأن «اليقين» هو الاسم الأعظم. وكلها حقّ وإن تعددت من ناحية المفهوم إلاّ أنها ليست سوى شيء واحد بحسب الوجود العيني، وهذا منقوش في الفصل الآدمي الثمين ويا له من نقش لطيف بخط الحبيب ألا وهو:

»فسمي هذا المذكور ـ يعني الكون الجامع ـ انساناً وخليفةً: فأما إنسانيته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلها وهو للحقّ بمنزلة إنسان العين من العين الّذي به يكون النظر وهو المعبّر عنه بالبصر فلهذا سمّي إنساناً فإنه به نظر الحقّ إلى خلقه فرحمهم فهو الإنسان الحادث الأزلي والنشأ الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة الجامعة، فتمّ العالم بوجوده فهو من العالم كفصّ الخاتم من الخاتم الّذي هو محل النقش والعلامة الّتي بها يختم الملك على خزائنه وسمّاه خليفة من أجل هذا لأنه تعالى الحافظ به خلقه كما يحفظ بالختم الخزائن، فما دام ختم الملك عليها لا يجسر أحد على فتحها إلاّ بإذنه فاستخلفه في حفظ العالم فلا يزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل، ألا تراه إذا زال وفكّ من خزانة الدنيا لم يبق فيها ما اختزنه الحقّ فيها وخرج ما كان فيها والتحق بعضه ببعض وانتقل الأمر إلى الآخرة فكان ختماً

على خزانة الآخرة فكان ختماً على خزانة الآخرة ختماً أبدياً.

فظهر جميع ما في الصورة الالهية من الأسماء في هذه النشأة الإنسانية فحازت رتبة الاحاطة والجمع بهذا الوجود وبه قامت الحجة على الملائكة.

## الخلافة مرتبة جامعة لجميع مراتب العالم

لا جزم أن ذلك هو الّذي حوّل آدم إلى مرآة للمرتبة الإلهية حتى يكون قابل ظهور جميع الأسماء، وكانت تلك هي مرتبة الإنسان الكامل بالفعل لكي توصل الإنسان غير الكامل وحسب قابليته واستعداده في ظهور الأسماء من القوة إلى الفعل، علاوة على أن الإنسان هو فوق مقام الخلافة الكبرى كما أشار لذلك ابن الفناري في (مصباح الانس) حيث قال: »إن للإنسان أن يجمع بين الأخذ الأتمّ عن الله تعالى بواسطة العقول والنفوس بموجب حكم إمكانه الباقي، وبين الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة بحكم وجوبه فيحلّ مقام الإنسانية الحقيقية الّتي فوق الخلافة الكبرى«(26.(

الإنسان الكامل هو الاسم الالهي الأعظم:

تحدثنا بعض الشيء عن كلمة «الله» الذاتية والوصفية و «الاسم الأعظم» ويطلب برهان المطلب الأوّل من الفصل الأوّل إلى الثامن من بداية آلهيات الأسفار، حيث أن الموقف الأوّل هو في التوحيد ومعرفة الله الذاتية، وثامنه في التوحيد ومعرفة الله الوصفية، الّتي تعني بالالوهية الوصف العنواني للآله وربّ العالم كما يقول في افتتاحية الفصل: «في اثبات وجوده والوصول إلى معرفة ذاته» ويقول في افتتاحية الثامن: «في أن واجب الوجود لا شريك له في الإلهية وإن إله العالم واحد»(27) وكذلك فسر معنى الالوهية في الموقف الثاني للالهيات في نهاية الفصل الرابع.

والقصد من هذا التشعيب ان ذات واجب الوجود الأحد هو نفسه إله وربّ العالمين فافهم.

ويجب أن تطلب سلطان بحث الالوهية وبشكل مستوف في شرح خاتمة التمهيد(28) من كتاب )مصباح الانس) وفي شرح القيصري على (فصوص الحكم)(29) حول (الفص النوحي، والإبراهيمي(30) واليعقوبي)(31.(

ولابدّ من التدبر في قول الإمام الصادق(عليه السلام) في الوصول لهذا السر المقنع حيث يقول: «اسم الله غيره ... الخ»(32.(

ولأن موضوع الرسالة هو الإنسان الكامل نكتفي بهذه الإيماءة في المطلب الأوّل ونتحدث باختصار واجمال حول الاسم الأعظم فنقول:

اعلم بأن الأسماء اللفظية هي أسماء الأسماء وظلالها، والأساس هي نفس الأسماء، والّتي هي الحقائق النورية والأعيان الكونية، وقد أشاروا لهذا الظل وذي الظل بالقول »للحروف صور في عوالمها« كما ذكر الشيخ محي الدين

بن عربي ذلك في الدار المكنون والجوهر المصون في علم الحروف، وقال الشيخ مؤيد الجندي في شرح الفصوص: »اعلم أنّ الاسم الأعظم الّذي اشتهر ذكره وطاب خبره ووجب طيّه وحرم نشره من عالم الحقايق والمعاني وحقيقة ومعنى ومن عالم الصور والألفاظ صورة ولفظاً... الخ»(33.(

وكيف ما كان نقول في الاسترواح من هذا السر المقنع: أن سرّ كلّ شيء هو حقيقته اللطيفة المخفية والّذي يعبرون عنه أيضاً بـ «الحصة الوجودية» ونفس هذا السر والحصة الوجودية هو جدول الارتباط بالبحر اللامتناهي لمتن الاعيان.

واعلم الآن بأن الالوهية ربما انّها تمثل ظل حضرة الذات وان أُمهات أسماء الالوهية وهي الحي والعالم والمريد والقادر هي بمنزلة ظلالات أسماء الذات لذا فإن أعظم أسماء حقيقة الالوهية هو اسم (الله.(

والاسم الأعظم في مرتبة الأفعال هو عبارة عن أسماء «القادر» و «القدير» وهما من الأسماء الأُم، لأن أسماء «الخالق» «الباري» «المصور» «القابض» «الباسط» وأمثالها بمنزلة السدنة.

وتوجد مرتبة أُخرى أيضاً لأعظمية الأسماء وهي مختصة بالتعريف. لذا فإن كلّ اسم كان أتمّ من غيره في تعريف الحقّ سبحانه فإنّه أعظم منه، سواءً أكان التعريف بمرتبة اللفظ والكتابة أو في مرتبة خارجة عن ذلك حيث ستكون العين الخارجي، وهذا يعود لذلك السر والحصة المذكورة والّتي يختص الاسم الأعظم فيها بالإنسان الكامل «من رآني فقد رأى الله.«

وبالنتيجة فإن وجود خاتم الرسل هو أعظم أسماء الله وهكذا بالنسبة لبقية الكلمات التامة والأسماء الإلهية الحسنى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض )(34) (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْض)(35.(

وفي الكافي روى باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله(عليه السلام) «في قول الله عزّوجلّ (ولله الأسْمَاءُ الحُسْنَى فادعوه بها). قال: نحن والله الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله من العباد عملا إلاّ بمعرفتنا»(36.(

ان الاسم الأعظم لخاتم الرسل(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن أن يصبح من نصيب أي شخص آخر. نعم بالقدر الّذي يمكنك أن تقترب منه عينياً لا أينيّاً فإنك تقترب من الاسم الأعظم للحقّ تعالى، ولأنّ القرآن الّذي بين الدفتين هو الصورة الكتبية للخاتم، فإن هذا الاسم الكتبي هو الاسم الأعظم أيضاً، كما تمت معرفته.

من خلال هذا البيان التعريفي حصلت على المراد من جمع هذه الروايات العديدة حول الاسم الأعظم، والآن، ومع أخذ الأُصول المذكورة بنظر الاعتبار يستحسن النظر بدقّة إلى هذه الروايات المنقولة:

أ ـ في تفسير الاخلاص في «مجمع البيان» روى:

»عن أميرالمؤمنين(عليه السلام) أنه قال: رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له: علّمني شيئاً أنتصر به على الأعداء. فقال، قل: يا هو يا من لا هو إلاّ هو، فلمّا أصبحت قصصت على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا عليّ علّمت الاسم الأعظم... الحديث.«

ب ـ والكافي بإسناده، عن أبي جعفر(عليه السلام:(

»أن اسم الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم»(37.(

ج ـ وفي الباب التاسع عشر من مصباح الشريعة:

»سئل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عن اسم الله الأعظم، فقال: كلّ اسم من أسماء الله أعظم ففرّج قلبك عن كلّ ما سواه وادعه بأي اسم شئت فليس في الحقيقة لله اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهّار.«

إن مخاطبة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث المعراجي بـ يا أحمد يا أحمد كان أمراً منه تعالى بـ «عظّم اسمائي» وكأن عارف البسطامي قد اقتبس من هذه الكلمة السامية حين سأله أحد الأشخاص ما هو الاسم الأعظم؟ قال: بيّن لي الاسم الأصغر حتى أُبيّن لك الاسم الأعظم، فاحتار ذلك الشخص فقال له: كلّ أسماء الحقّ عظيمة.

د ـ قال باقر علوم الأولين والآخرين(عليه السلام) في دعاء السحر العظيم لشهر الله المبارك وغيره: «اللّهمّ إنّي أسألك من أسمائك بأكبرها وكلّ أسمائك كبيرة.«

هـ ـ في تفسير أبي الفتوح الرازي:

»سئل الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) عن أهم أسماء الله الأعظم فقال: ادخل إلى هذا الحوض البارد، فدخل في ذلك الماء وكلما أراد أن يخرج منعه حتى قال: «يا الله أغثني «فقال: هذا هو الاسم الأعظم، فالاسم الأعظم يرتبط بحالة الإنسان نفسه.«

و ـ «وفي البحار بإسناده إلى أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أنا محمّد(عليه السلام)يقول :بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها»(38 (وقريب من هذا الحديث جاء في تفسير الصافي في بداية الفاتحة «العياشي عن الرضا(عليه السلام): انها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، ورواه في التهذيب عن الصادق(عليه السلام.«(

ر ـ نقل السيد الأجل عليّ خان الشيرازي المدني في كتاب (الكلم الطيب) أن الاسم الأعظم لله تعالى هو ذلك الاسم الّذي يفتتح بـ «الله» وختامه «هو» ولا توجد نقاط في حروفه »ولا تَتغير قراءته أعرب أم لم يعرب» ويوجد ذلك في ذلك في آيات مباركة في خمس سور من القرآن المجيد هي: البقرة، آل عمران، النساء، طه، التغابن.

يقول الراقم: انّها ست آيات في ست سور واحد منها في سورة النمل أيضاً:

)اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) إلى آخر آية الكرسي.

)اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ* نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَـيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ *مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ)(39.(

اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً)(40.(

)اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ لَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى)(41.(

)لا إلَهَ إلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ)(42.(

)اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وَعَلَى اللهِ فَـلْيَـتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ)(43.(

بل يجب أن نقول بأنّ الاسم الأعظم موجود في سبع آيات من القرآن الكريم حيث ان الآية 63 من سورة «غافر» المباركة ـ والّتي هي سورة المؤمن من جملة تلك الآيات (ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.( هذه الآية الكريمة هي نفس الآية الّتي أشار إليها العالم الجليل محمود دهدار الملقب بالعياني في كتاب (كنوز الأسماء) في تحصيل الاسم الأعظم.

ح ـ وفي غالب مقامات مقالات بين الوحي الّتي تناولت الاسم الأعظم في زبور آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) نرى لها اشتراكاً في (الحَيُّ القَيُّومُ) يقول في كتاب (الفتوحات المكية) الباب 73 من جواب السؤال 131:

»ما رأس أسمائه الّذي استوجب منه جميع الأسماء؟ الجواب: الاسم الأعظم الّذي لا مدلول له سوى عين الجمع وفيه الحي القيوم»(44.(

ان الحياة شرط لكل اسم من أسماء الذات والصفات والأفعال، وان أُمهات الأسماء والصفات سبع: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والّتي يسمونها بالأئمة السبعة. والحياة إمام أئمة الصفات. وإمام أئمّة الأسماء هو الحي والّذي هو درّاك فعّال، فتبصّر.

ان الاسم المفرد المحلى بالألف واللام يفيد الاستغراق والشمول، والجملة الاسمية بخصوص الخبر المحلى بالألف واللام وخاصة إذا كان كناية بين الفواصل فإنّه يفيد الانحصار بشكل تام فافهم القيّوم فوق القائم، كمثل حاكمية كثرة

المبانى والّذي هو قائم بذاته وحافظ لغيره، أي ان ما سواه قائم به. هذا المعنى الّذي هو متن الاعيان، والاعيان هي شؤون وأطوار الله سبحانه عما يصفون إلاّ عباد الله المخلصين.

»فهو سبحانه قيّوم كلّ شيء مما في السموات والأرض، الممسك لهما أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد بعده.«

يقول الخواجه نصيرالدين الطوسي في تفسير ذلك في آخر النمط الرابع من شرح إشارات الشيخ الرئيس:

»القيوم بريٌ عن العلائق أي عن جميع أنحاء التعلّق بالغير، وعن العهد أي عن أنواع عدم الإحكام والضعف والدرك وما يجري مجرى ذلك، يقال في الأمر عهدتي لم يُحكم بعد، وفي عقل فلان عهدة أي ضعف، وعهدته على فلان أي ما أدرك فيه من درك فاصلاحه عليه، وعن المواد أي الهيولي الأُولى وما بعده من المواد الوجودية، وعن المواد العقلية كالماهيات، وعن غيرها مما يجعل الذات بحال زائدة أي عن المشخصات والعوارض الّتي يصير المعقول بها محسوساً أو مخيّلا أو موهوماً.«

هذا التفسير ليس خالياً من الاشكال، علماً بأنّه حسب أُصول التوحيد لدى المتأخرين يعتبر من المشائية والّذي هو تنزيه في عين التشبيه (سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ) فتدبّر.

والغرض من ذلك هو بما أن الذات الواجبية هي الحي القيّوم، والحي إمام الأئمة، والقيّوم قائم بالذات ومقيم لما سواه ، لذا فإن الحي القيوم هو الاسم الأعظم (اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ.(

ط ـ يقول في كتاب (خشبتان وصخرة واحدة): التقرير المهم الّذي قرره بعض العظماء هو قولهم بأن العلم هو الاسم الإلهي الأعظم، وسمعت أن بعض أكابر أهل المعنى قد تخيل في أطراف الاسم الأعظم ثم قال: عندي اعتقاد بأن »اليقين» هو الاسم الأعظم ولكن بشرط اليقين. واليقين قسمان طريقي وموضوعي وكذلك فعلي وأفعالي، فليتدبر.

والمرحوم الكفعمي في المصباح أورد اليقين في عداد أسماء الحقّ تعالى وفي الحرف أو الفصل الثاني والثلاثين المختص بخواص الأسماء الحسنى وشرحها يقول «اللّهمّ إنّي أسألك باسمك يا يقين يا يد الواثقين يا يقظان لا يسهو... الخ.«

اذن ما حكي عن بعض الأكابر في كتاب «خشبتان وصخرة واحدة» هو وفق هذا المعنى الرصين .وما قاله: ولكن بشرط اليقين لأنّ اليقين نفسه هو وزين ورصين جداً. أُنظروا بدقة في هذين الحديثين الشريفين:

الحديث الأوّل في الكافي(45) عن أبي الحسن الرضا(عليه السلام) وساق الحديث إلى أن قال: فقال (أي رجل من الزنادقة) : أوجدني كيف هو وأين هو؟ فقال: ويلك ان الّذي ذهبت إليه غلط هو أيّن الأين، الكيّف الكف بلا كيف فلا

يعرف بالكيفوفية ولا بأينونية ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء.«

فقال الرجل: فإذاً انّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس، فقال أبو الحسن(عليه السلام): «ويلك لما عجزت حواسك عن ادراكه نكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن ادراكه أيقنا أنه بخلاف شيء من الأشياء.«

اذن فاعلم بأن اليقين هو اسم الحقّ تعالى باعتبار خروجه عن حد التشبيه ووجوده بخلاف شيء من الأشياء فتدبر.

الحديث الثاني: في الكافي بإسناده عن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول:

»إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) صلّى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله مُوقناً، فعجب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله، وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأ نّي أنظر إلى عرشي ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأ نّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذَّبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: هذا عبدٌ نور الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر»(46).

يستفاد من ظاهر هذا الحديث أن الشاب المذكور هو (حارثة بن مالك) حيث قال في هذا الحديث لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة، وكأني أسمع عواء أهل النار في النار.«

وهذه الحادثة مسندة في كتاب المثنوي لعارف الرومي إلى زيد بن حارثة.

ان الأسماء الالهية تنتهي أحياناً بـ (هو) أو (ذو الجلال والاكرام) وأحياناً بـ (الله (و (تبارك وتعالى) وأحياناً بـ (هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن) والأوّل جاء في الحديث المذكور عن الخضر(عليه السلام) والثاني في سورة الرحمن والثالث في بداية سورة الحديد، وأحياناً بالأئمة السبعة (الحي العالم المريد القادر السميع البصير المتكلم) وأحياناً بتسع وتسعين (المأثور عن الفريقين بصور عديدة): «ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة اسماً مائة إلاّ واحداً من أحصاها دخل الجنّة» وأحياناً بألف، وألف وواحد كما في دعاء الجوشن الكبير وأحياناً بأربعة آلاف كما روي عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ لله أربعة آلاف اسم، الحديث»(47) وأحياناً (وَلا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ)(48).

ويمكن الرجوع إلى الكافي(49) باب ما أُعطي الأئمة(عليهم السلام) من اسم الله الأعظم من المجلد 19 من

البحار(50) حيث أن الروايات الصادرة عن مخزن الولاية في الاسم الأعظم كلها نور.

وفي كتاب (مصباح الانس) في المقام الثالث من الفصل الثاني (تمهيد الجمل)(51) . من المنصف أن نقول بأنه يحتوي على تحقيق دقيق وشريف وعميق حول الاسم الأعظم وقد يكون لدفتري العاشق في هذا المقام نصيب من هذا اللطف، وكذا في الأسف ار ج 4 ص 168 ط 1 والله سبحانه ولي التوفيق.

---

(1)نهج البلاغة: الحكمة 47.

(2)مصباح الانس: 333 ط حجرية.

(3)فصوص الحكم: 62 ط 1 ط حجرية.

(4)تمهيد القواعد: 78 ط حجرية.

(5)الرحمن: 31.

(6)البقرة: 33.

(7)الاسراء: 112.

(8)الشورى: 11.

(9)شرح فصوص القيصري: 13.

(10)علم اليقين: 311 ط حجرية.

(11)أي أن الوجود سار في كماله الذاتي وان التعينات أُمور اعتبارية.

(12)شرح الأسماء للسبزواري: 214 ط الحجرية.

(13)كشكول الشيخ البهائي: 542 الدفتر الخامس ط 1.

(14)معاني الأخبار: 101 ط حجرية.

(15)فافهم المراد من هذه الرواية.

(16)والّتي هي المرتبة النازلة للقرآن وبدنه والقرآن مرتبتها الصاعدة وأصلها وروحها.

(17)الرحمن:31.

(18)البقرة: 32.

(19)مريم: 17.

(20)اصول الكافي: 134/1.

(21)اصول الكافي: 88/1.

(22)بحار الأنوار: 101/10.

(23)الإمامة والسياسة للدينوري: 203.

1/83 (24)ط مصر.

(25)الخصائص الفاطمية: 25.

(26)مصباح الانس: 33 ط حجرية.

3/19 (27)ط 1.

(28)مصباح الانس: 119 ط حجرية.

(29)فصوص الحكم: 148 ط 1.

(30)فصوص الحكم: 173.

(31)فصوص الحكم: 217.

(32)اصول الكافي: 88/1.

(33)فصوص الحكم: 70 ط 1.

(34)البقرة: 254.

(35)الاسراء: 56.

(36)الكافي أُصول الكافي: 111/1.

(37)أُصول الكافي المعرب: 179/1.

(38)بحار الأنوار: ط كمپاني 18/19.

(39)آل عمران: 2 - 4.

(40)النساء: 88.

(41)طه: 9.

(42)النمل: 27.

(43)التغابن: 14.

(44)الفتوحات المكية: 133/2 ط بولاق.

(45)الحديث الثالث باب حدوث العالم واثبات المحدث من كتاب التوحيد في أُصول الكافي: 61/1.

(46)أُصول الكافي المعرب: 44/2 باب حقيقة الإيمان واليقين من كتاب الإيمان والكفر.

(47)بحار الأنوار: 164/2 ط كمپاني.

(48)المدثر: 32.

(49)اصول الكافي: 179/1.

18 (50)ط 1.

(51)مصباح الانس: 115 - 117 ط 1.

# الباب الثالث

## الإنسان الكامل قطب الزمان

)ج) والإنسان الكامل هو قطب الزمان: «ان محلي منها محل القطب من الرحى»(1) ولذا لا يمكن تعدد ذلك في زمان واحد.

ان الرحى تدور حول القطب وهو ثابت ومحكم، وكذلك الخلافة الإلهية قائمة بالإنسان الكامل الّذي هو قطب عالم الإمكان، وإلاّ فإنّها ليست بالخلافة الإلهية.

التعدد في القطب لا طريق له:

انّ مقام القطب هو نفس مرتبة الإمامة ومقام الخلافة، بحيث انّه لا طريق لا للتعدد فيه ولا الانقسام إلى ظاهر وباطن ولا انشقاق إلى أعلم وأعقل وغيرها.

ان انقسام الخلافة إلى ظاهر وباطن هو حقّ سكوتي يظهر اقتناع ورضاء أوهام الموهومين بهذه القسمة الضيزى.

ومع بسط الآية الكريمة (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) يتضح لنا ان الإمام في كلّ عصر لا يمكن إلاّ أن يكون شخصاً واحداً.وهوالقطب وخليفة الله وأن مجيء كلمة خليفة بلفظ الواحد في الآية الكريمة: (إنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ

خَلِيفَة) إشارة إلى وجوب وحدة الخليفة في كلّ عصر.

لقد تفوّه بهذا السر في المقام الرابع من (سر العالمين) المنسوب إلى الغزالي بالقول: «والعجب من حقّ واحد كيف ينقسم ضربين والخلافة ليست بجسم ينقسم ولا يعرض يتفرق ولا بجوهر يحدّ فكيف توهب أو تُباع .«

وفي الكافي بإسناده عن الحسين بن أبي العلاء قال: «قلت لأبي عبدالله(عليه السلام)تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا، قلت يكون إمامان؟ قال: لا إلاّ وأحدهما صامت»(2.(

# الباب الرابع

## الإنسان الكامل مصلح برية الله

د ـ ومثل هذا الإنسان هو مصلح لبرية الله «إنّما الأئمّة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه»(3) وان كان الواسطة في الفيض ومكمل النفوس المستعدة لذلك، قال الإمام الباقر(عليه السلام:(

»إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم.«

وفي تفسير العياشي عن باب الحوائج إلى الله (الإمام السابع) قوله: «لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلاّ وحَّد الله.«

وأعظم فوائد السفراء الإلهيين(عليهم السلام) تكميل القوة العلمية والعملية للخلق.

**بقاء كلّ العالم مرتبط ببقاء الإنسان الكامل**

والبرية هي بمعنى الخلق «أولئك هم خير البرية» وإصلاح البرية بمعنى آخر أدقّ هو :بما أن الإنسان هو الكون الجامع ومظهر الاسم الجامع وإن أزمّة كلّ الأسماء بيد قدرته وإن صورة المجتمع الإنساني غاية الغايات لتمام الموجودات الإمكانية، بناءً على ذلك فإنّ دوام مبادئ الغايات هو دليل على استمرار بقاء العلة الغائية. اذن فبقاء الإنسان الكامل الفرد هو بقاء للعالم أجمع.

»في الكافي بإسناده عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبدالله(عليه السلام) : أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»(4.(

# الباب الخامس

## الإنسان الكامل معدن كلمات الله

**)هـ) ومثل هذا الإنسان هو معدن كلمات الله «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن»(5.)**

**وجاء التعبير عنه في صحف أتباع الولاية بصاحب المرتبة العمائية والّتي تضاهي المرتبة الإلهية. والمرتبة العمائية هي تعبير آخر عن مرتبة الإنسان الكامل والّتي تجمع جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة في مصطلح أهل الله وحتى آخر التنزلات والتطورات في الوجود وهي الفرق والتمييز بين الربوبية والمربوبية كما صرح ونص على ذلك قائم آل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) في توقيع شهر الولاية (رجب.)**

**بيان نكتة فى توقيع الناحية**

**روى السيد ابن طاووس التوقيع المبارك في الاتصال بسلسلة الرواية المسندة: «ومن الدعوات في كلّ يوم رجب ما رويناه عن جدّي أبي جعفر الطوسي(رضي الله عنه) فقال :أخبرني جماعة عن ابن عيّاش قال: مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد(رضي الله عنه) من الناحية المقدسة ما حدثني به خير بن عبدالله قال :كتبته من التوقيع الخارج إليه:**

**بسم الله الرحمن الرحيم ادع في كلّ يوم من أيام رجب: «اللّهمّ اني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك. وأسألك بما نطق فيهم من مشيئتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك الّتي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلاّ أ نّهم عبادك وخلقك... الخ.«**

**الضميران (بينها إلاّ أ نّهم) مثل الضميرين في الآية الكريمة (وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّها ثم عرضهم) وتوقيعه الشريف هو آية من آيات الإنسان الكامل ومتن تام فى أُصول وأُمهات مسائل الولاية والإمامة. وفي الصحف الكريمة لأرباب العقول لطائف حول هذه اللطيفة الالهية، ومن ذلك جملة العلاّمة القيصري في أواخر الفصل الأوّل من مقدمات شرح فصوص الحكم حيث يقول:**

»ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة (يعني طبيعة الوجود) إلى آخر تنزلاّت الوجود وتسمى بالمرتبة العمائية أيضاً فهي مضاهة للمرتبة الإلهية ولا فرق بينهما إلاّ بالربوبية والمربوبية ولذلك صار خليفة الله»(6.(

ويقول أيضاً في بداية شرح الفص الآدمي:

»والكون الجامع هو الإنسان المسمى بآدم، وغيره ليس له هذه القابلية والاستعداد»(7.(

# الباب السادس

## الإنسان الكامل حجة الله

)و) ومثل هذا الإنسان هو حجة الله:

»اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة امّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»(8) «والحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.«

وان كانت الحكمة المتعالية قد برهنت على أنه لا يوجد زمن من الأزمنة خال من النفوس المكتفية وان كلّ نفس من النفوس المكتفية والّتي هي أتم وأكمل من سائر النفوس سواء المكتفية أو غير المكتفية هي حجة الله، اذن لا يمكن أن يخلو زمن من الأزمنة من حجة الله.

في الدعاء السابع والأربعين من أدعية الصحيفة السجادية المعروف بدعاء عرفة تقرأ ما يلي: «اللّهمّ انّك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك، والذريعة إلى رضوانك...الخ.«

وهذه الحجة شاهد سواء أكان ظاهراً أم غائباً وهو شاهد قائم لا قعود له مطلقاً وجاء في تعبير باقر علوم الأولين والآخرين: «إذا قام قائمنا» وجاء في تفسير صادق آل البيت(عليهم السلام) لقوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ): «من أقر بقيام القائم(عليه السلام) إنّه حقّ » وجاء في كلام ثامن الحجج(عليه السلام) : «لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهر أو خاف» وهكذا في الروايات الأُخرى الّتي تتحدث عن القائم. وعليك أن تتعمق وتتدبر في السبب من كون إمام الزمان قائمنا.

**الانتفاع بالحجة في زمان الغيبة:**

اعلم ان فائدة وجود الإمام لا تنحصر بالاجابة عن أسئلة الناس بل ان الموجودات وكمالاتها الوجودية مرتبطة بوجوده وإن افاضاته واستفاضته مستمرة في حال غيبته فافتح بصيرتك في حل هذا اللغز من لسان قائم آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وافهم ذلك من توقيع ثاني الوكلاء الأربعة محمّد بن عثمان العمري في جوابه لإسحاق بن يعقوب كما جاء في الاحتجاج للطبرسي حيث يقول: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب.«

ونفس هذا البيان في غيبة خاتم الأئمة (عجّل الله فرجه) قاله الإمام الصادق(عليه السلام) لسليمان بن مهران الأعمش بل قاله خاتم الأنبياء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)لجابر الأنصاري. وما يجب أن تدركه أيضاً هو هل ان خليفة الله غائب أم اننا غير حاضرين وفي حجاب ثم نسمي أنفسنا باسم ذلك الشاهد في كلّ مكان. اننا الذين نرى انّه لا حاجة للتمسك بالاقناعيات حول البراهين الايقانية العقلية والنقلية المتواترة عن بيت الوحي إلاّ ما نراه مفيداً في الاستيناس ورفع الاستيحاش عن بعض النفوس، نقول: ان (السلحفاة) ومن باب الأحجية قالوا بشأنها أنها تراقب بيوضها عن بعد وتعمل ذلك من أجل ايجاد سلحفاة مستعدة وجيدة، فهل ان النفس الكلية القدسية لخليفة الله وولي الله وحجة الله أقل عناية بالخلق في حالة الغيبة من عناية تلك السلحفاة ببيوضها؟!

## البرهان على إمكان دوام البدن العنصري

ان أهم المعارف في معرفة وسائط الفيض الإلهي هو معرفة النفس الإنسانية بل ان معرفة النفس هي قلب وقطب جميع المباحث الحكمية ومحور جميع مسائل العلوم العقلية والنقلية وأساس جميع الخيرات والسعادات، ومعرفتها أشرف المعارف، وإذا ما تمت معرفة جنس هذه الجوهرة النفيسة فانّها تبدّل صورة الإنكار في مثل هذه المسائل الضرورية في النظام الرباني الأحسن إلى دولة الاقرار والاعتراف.

والمطلب الرئيسي في ذلك هو أننا لم نتصفح هذا الكتاب الإلهي الأكبر، والمسمى بالإنسان بشكل حاذق، ولم نطالع بشكل جيد مطالع كلماته وآياته، وأدركنا منه حدّه العادي في أنه (غاذ ونام ومتحرك الإرادة.(

فمن أجل السير الصعودي في معارج المقامات الأنفسية والوقوف على موقف هذه الصحيفة الإلهية، لابدّ من قيام أُستاذ بذلك. أُستاذ من أهل السير والعرفان. وأنا أيضاً لا أدّعي بأن أكون المتعهد باعطاء التحديد الحقيقي والتعريف الواقعي لذلك. ولكني أُحاول ترسمه بالاستمداد من الأنفاس القدسية لأولياء الحقّ مع ما امتلكه من بضاعتي المزجاة، وفي حد الاستطاعة والوسع، وأُقدم في هذا الصدد وفيما يخص موضوع الرسالة الشريف ـ بعض الهدايا والّتي هي عبارة عن بعض نتائج البحث، إنّ الهدايا على مقدار مهديها.

الإنسان عبارة عن حقيقة ممتدة من الفرش إلى العرش (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُل مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)(9) ومرتبته النازلة بدنه وفيها نشأة بدنه العنصرية وبهذا الوصف العنواني فان البدن في الحقيقة عبارة عن روح متجسدة، وان شئت قلت: هو عبارة عن جوهرة جسمانية متصفة بأوصاف الجسم كالشكل والصورة والكيفية والكمية وغيرها، وروحه عبارة عن جوهرة نورانية منزهة عن شؤون الطبيعة. وتلك هي مراتب التجرد البرزخية والعقلانية وفوق التجرد العقلاني والّتي ليس لها حد الوقوف، وله حكم خاص في كلّ مرتبة، وفي نفس الوقت له أحكام جميع المراتب، وهي ظهور لأطواره الوجودية )مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً)(10.(

ان مرتبته النازلة محاكاة لمرتبته العالية كما في السلسلة الطولية، حيث ان وجود كلّ دان هو عبارة عن ظل للعالي، والنشأة الأُولى هي مثال للنشأة الأُخرى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ)(11.(

وفي المأثور عن صادق آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّ الله عزّوجلّ خلق ملكه على مثال ملكوته، وأسس ملكوته على مثال جبروته ليستدل بملكه على ملكوته وبملكوته على جبروته»(12.(

ان البدن العنصري هو من عالم الطبيعة وهو في تجدد دائماً وان صورة عالم الطبيعة بما في ذلك السموات والأرضين تتبدل دائماً بشكل مستمر وغير منقطع، لأن الطبيعة هي المبدأ القريب للحركة، وإن علة الحركة يجب أن تكون متجددة كما تمت برهنة ذلك في الحكمة المتعالية من أن:

»الحجة العمدة على الحركة في الجوهر هي ان جميع الحركات سواء كانت طبيعية أو ارادية أو قسرية مبدأها هو الطبيعة ومبدأ المتجدد يجب أن يكون متجدداً فالطبيعة يجب أن تكون متجدّدة بحسب الذات.«

والآيات القرآنية من قبيل: (بَلْ هُمْ فِي لَبْس مِنْ خَلْق جَدِيد)(13) ، (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)(14)، (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ)(15 (، هي بهذا المعنى. وبناءً على ذلك، فان للعالم غاية وهدفاً يصل من خلال تكميله، من الهيولا الأُولى والاتحاد بالصور البسيطة والمركزية الحيوانية والانسانية والعقلية إلى المراتب العالية وإلى الفناء المحض (كُلُّ شَيْء هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ)(16 (فان نهاية الحراك سكون.

لذا فان النفس تمتلك بواسطة الطبيعة جنبة التجدد والّتي ليس لها بقاء وثبات، وهذه بنفسها هي جنبة البقاء إذ: «خلقتم للبقاء لا للفناء» وبعبارة أُخرى: ان النفس وفق الجنبة الحسية في تبدّل ووفق الجنبة العقلية ثابتة.

ان صورة الشيء محفوظة بواسطة تجدد الأمثال في خضم حركة الطبيعة، فالإنسان من خلال الحركة الجوهرية وتجدد الأمثال دائماً في حال ترقٍّ ويبقى ثابتاً من جهة لطافة ورقة الحجاب، والحجاب هو نفس هذه المظاهر المتكثرة والّتي هي حجاب الذات تقدست أسماءه بمعنى من المعاني.

**يقول في الفص الشعيبي: «ومن أعجب الأمر أن الإنسان في الترقي دائماً ولا يشعر بذلك للطافة الحجاب ورقّته وتشابه الصور مثل قوله تعالى:(وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً)(17. (**

**وان لطافة الحجاب ورقته هي بمعنى أن الصانع وواهب الصور باسم «المصور» وبحكم (كلّ يوم هو في شأن) فانّه لحظة بلحظة وآن بآن يقوم بايجاد الأمثال بتلك الطريقة الّتي يتصور فيها المحجوب بأن هذه الصور هي نفس تلك الصور السابقة والقديمة، كمثل الشخص الواقف بجانب نهر سريع الجريان فانّه يرى صورته ثابتة ومستقرة طيلة ذلك الزمن، بينما هذه الصورة ناتجة عن انعكاس نور البصر في الماء، لا قرار له، ويحدث بصورة متوالية ومتتالية صورة جديدة كالصورة السابقة.**

**فالإنسان الثابت سيّال في نفس الوقت... سيّال في الطبيعة، وثابت في جوهر الروح المتغذي بالصورة النورية المجردة للحقائق العلمية (فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إلَى طَعَامِهِ)(18.(**

**ان الإنسان من حيث هو إنسان فان طعامه مسانخ لغذائه، قال باقر علوم النبيين لزيد الشحام في تفسير الطعام «علمه الّذي يأخذه عمن يأخذه.«**

**ان الغذاء باختلاف أنواعه وضروبه هو مظهر لصفة البقاء ومن سدنة الاسم القيّوم ومسانخ للمتغذي، والتغذي حسب دوام ظهور الاسم الظاهر وأحكامه .**

**ان الحقائق العلمية هي صور فعلية وصلت إلى الكمال ولا طريق للحركة فيها، وإلاّ فيجب أن تكون موجودة بالقوة، وهذا يلزم عدم تحقق أية صورة علمية وعدم وصولها إلى الفعل.**

**اذن: العلم ووعاء العلم مجرد ومنزّه عن المادة وأحكامها.**

**وبما أن الإنسان الثابت سيّال أيضاً، لذا فإن براهين تجرّد النفس وأدلة الحركة الجوهرية للطبيعة في صورتها الجسمانية تبقيان على قوتهما.**

**ونتيجة هذا البحث: ان العلم والعمل ليسا في العرض بل هما جوهران لبناء الإنسان، وإن النفس الإنسانية بقبولها للعلم والعمل تكتشف توسعها واشتدادها الوجودي وتتحول إلى جوهر نوراني.**

**ان العلم هو باني ومشخّص الروح الإنسانية، والعمل هو باني ومشخّص البدن الإنساني في النشأة الاخروية، والإنسان عبارة عن أبدان في طول بعضها البعض ووفق النشآت، وان تفاوت الأبدان يكون في النقص والكمال.**

**ولأن روح الإنسان، وحسب ارتقائه واشتداد وجوده النوري يعتبر من سنخ الملكوت وعالم القدرة والسطوة، فإنه دائماً يسخّر طبيعته لصالحه ويتغلب عليها. وإن أحكام العقول القدسية وأوصاف أسماء الصقع الربوبية تظهر عليه بالحد**

**الّذي يصبح وعاء وجوده وجود المجرّدات القاهرة والبسائط النورية ويصبح متخلقاً بالأخلاق الربوبية.**

**وللصدر القنوي حديث في غاية الكمال من كتاب الفكوك في ان الإنسان واسطة لفيض حيث يقول:**

**»الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه، وبين صفات الحدثان وهو الواسطة بين الحقّ والخلق وبه، ومن مربته يصل فيض الحقّ والمدد الّذي هو سبب بقاء ما سوى الحقّ في العالم كلّه علواً وسفلا، ولولاه من حيث برزخيته الّتي لا تغاير الطرفين لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الواحداني لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل المدد إليه.«**

**ان النتيجة الحالية من اللبس المستحصلة من هذا التحقيق هو ان امكان دوام مثل هذا الإنسان الكامل الحقيقي والّذي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان، يكون في النشأة العنصرية.**

**يقول الخواجة الطوسي في كتاب النفائس في صفات الذهب: «امّا صورة معدن الذهب فانّها لا تفسد بأي من كيفيات العناصر الأربعة ولا تتمكن أية قوة ان تبطل عنصره وان أكثر الفلزات الّتي تخلط معه وتحرقه فالذهب يبقى على حاله ونقاوته وينفصل عنه الغش، وإذا ما أُخفي الذهب الخالص لأزمنة مديدة تحت الأرض فلا ينقص منه أي شيء مع انّه لا يتغير منه أي شيء بخلاف بقية الجواهر» ويقول في صفات الفضة: «ان الفضة أيضاً ذهب ولكن ثباتها ليس كثبات الذهب، ويتأثر بسرعة عند معاملتها بالأدوية حيث تفترق وتصبح عديم القيمة وتحول بمرور الزمن إلى رماد إذا ما بقيت تحت الأرض.«**

**كان هذا كلام الخواجة في الكتاب المذكور وغرضي من نقله هو إذا كان الكيميائي يتمكن من تحويل الفضة إلى ذهب خالص بواسطة علمه وصناعته حيث تتحول بذلك الفضة المتغيرة إلى ذهب ثابت وغير متغير، فما هو المانع في أن يتمكن الإنسان الكامل الكيميائي ولو بواسطة علم الكيمياء من ابقاء خلقة بدنه العنصري ولقرون طويلة ثابتاً وراسخاً؟**

**يقول المرحوم الحاج زين العابدين الشيرواني في كتابه الشريف المسمى «بستان السياحة «في ذكر صاحب الزمان (عجل الله فرجه): «ولقد منحه واهب العطايا تعالى الحكمة في طفولته كما منحها ليحيى(عليه السلام) في طفولته وجعله إماماً للأنام في صغر سنه وكعيسى بن مريم الّذي أوصله إلى ذلك المقام العظيم في صباه، وانّه لمن دواعي العجب أن يقول بعض الأشخاص ببقاء الخضر والياس من الأنبياء، ومن الأعداء الشيطان والدجال على قيد الحياة وينكرون وجود ذي الوجود وصاحب الزمان في الوقت الّذي هو أفضل من أنبياء السلف وهو ولد صاحب النبوة المطلقة والولاية الكلية.**

**والأعجب من ذلك ان بعض المتصوفة الذين يعدون أنفسهم من أهل العلم وأرباب النظر يقولون بانّه في بلاد الهند يوجد**

بين البراهمة واليوغيين بعض المرتاضين الذين عاشوا ويعيشون لآلاف من السنين بسبب استخدامهم لبعض الأساليب الرياضية كحبس النفس وقلة الأكل ومع ذلك نراهم ينكرون وجود صاحب الزمان.

يقول الفقير: ان انكار وجوده المبارك هو في الحقيقة انكار لقدرة البارئ تعالى، ان المنّة الإلهية الّتي منّها الله على هذا الفقير رؤيتي الأمر كالشمس الساطعة بأ نّه كقدرة ذلك الكيميائي في صنع مادة نادرة من تأليف الأجزاء المتفرقة وإضافة تلك المادة على الفضة وتحويل تلك الفضة إلى ذهب أحمر، وعلى العكس من الفضة الّتي تتلف وتباد خلال مدة قصيرة، فان الذهب لا يُمحى بل يبقى على منوال واحد لعدة آلاف من السنين. فإذا تمكن وليّ الله كمثل ذلك الكيميائي أن يجعل من اكسير التفاتة بدنه عاملا لانسجام وتجانس بدنه مع روحه فإنه ليس ببعيد من أن يجعل بدنه باقياً ودائماً وخالداً، وأُولئك الذين ينكرون وجوده المبارك ويؤولون لفظ المهدي وصاحب الزمان انما يعبرون عن عمى بصيرهم، وإلاّ فلو كان هناك قليل من الشعور لما بقي لديهم ذرة من الانكار (والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم)»(19.(

كان هذا الكلام للمرحوم الشيرواني في كتاب بستان السياحة والّذي رأيته مفيداً لمزيد من البصيرة في هذا الموضوع، مضافاً إلى أن أعاجيب التأثيرات الكونية للنفس من قبيل حبس الدم والرياضات والمجاهدات الأُخرى (حتى من قبل طوائف مع كفرهم) خارجة عن العدّ والاحصاء، وإن كثيراً منها مسطورة في الزبر المرتبطة بها، فما بالك بخواص النفس القدسية وهي العقل الفعّال المصادف للوجود الطبيعي.

وقد ذكرت قدرات بعض المرتاضين في الباب 39 من كتاب «غاية المراد في وفق الاعداد «وهي من أُمهات وأُصول كتب هذا العلم الشريف (علم الأوفاق) وتثير العجب حقاً، وقد أعرضنا عن ذكرها هنا تحاشياً للاطالة والاطناب.

## أثر الكيمياء والمومياء ونفس الإنسان الكامل

تقوم الكيمياء بتبدبل المعدن وتغييره إلى معدن آخر وتمنحه عمراً طويلا. اما المومياء فتحفظ الحبوبات والأجسام الميتة من الفساد.

المومياء شيء شبيه القبر بل هو القبر في كماله النهائي، والمومياء كلمة يونانية تعني حافظ الأجساد ويقال لها بالعربية (عرق الجبال) لأ نّها تخرج من شقوق بعض الجبال من قبيل جبل (داراب) من توابع فارس واصطهبات ونواحيها حيث تقطر من الجبل وكأنها عرقُه. فإذا كان المومیائي يستطيع حفظ أجساد الموتى من التفسخ بواسطة المومياء، فلماذا لا تستطيع المومیائية وهي الاسم الإلهي الأعظم أن تصون الجسد الحي من الزوال والبوار؟

## تاريخ الأهرام في مصر ودوام الحنطة

يقوم في أهرام مصر هرمان كبيران بالخصوص بإحكام بقية الاهرامات وتثبيتها واستقامتها فاعتبروا تأريخيهما

سماوياً لا أرضياً، لأن التواريخ الأرضية معرضة للزوال والنسيان عبر مرور الأيام وكرور الأعوام، ولا تسع تاريخ الاهرامات لهذا قيل في تأريخ ذينك الهرمين «قد بُني الهرمان والنسر الطائر في السرطان .«

النسر الطائر من الثوابت البيضاء وهو من أكبر القدر الثاني على هيئة عقاب والّذي هو من الصور الشمالية والنسر بين منكبيه وطوله في تاريخ (الزيج البهادري) للدلو 16 دقيقة وعرضه 29 درجة و15 دقيقة وهو من شظايا عنكبوت الاسطرلاب في التأريخ أعلاه لم يذكر في أية درجة السرطان وورد في الزيج المذكور: (ان سرعة حركة الكواكب الثابتة مختلفة فيما بينها فأسرعها يقطع الدرجة خلال 61 سنة و8 أشهر و8 أيام قمرية وسطى، وأبطأها يقطع الدرجة الواحدة خلال 82 سنة و3 أشهر و17 يوم قمري أوسط، وسرعة بقية الكواكب ما بين هاتين.

في منتهى الأرب في مادة (هرم)، ورد تأريخ الهرمين من دون ذكر كلمة الطائر، هكذا: «وقد بني الهرمان والنسر في السرطان» وعلى هذا الاحتمال يمكن أن يكون المقصود هو النسر الواقع لا النسر الطائر، والنسر الواقع على هيئة (شلياق) من القدر الأوّل وهو من الصور الشمالية ويستقر على (الخرفقة) الحاملة له، طوله في الزيج المذكور الجدي 14 درجة و25 دقيقة وعرضه 62 درجة والنسر الواقع كذلك من شظايا العنكبوت وقد صرح الصوفي بكلتا الصورتين:

»النيّر المشهور الّذي يرسم على الاصطلاب وهو النسر الطائر من القدر الثاني من أعظمه فيما بين المنكبين.«

وفي هذا قال: «النسر المشهور من القدر الأوّل وهو الّذي يرسم على الاصطرب ويسمى النسر الواقع.«

وكيف كان، فإن مبدأ (الزيج البهادري) هو يوم الثلاثاء الغرة الوسطى لمحرم 1251 ناقصة (هجري) واليوم الثلاثاء 15 شوال المكرم 1400 هـ قمري الموافق لـ 4 شهريور 1359هـ ش حيث قام هذا المتمسك بذيل ولاية سرّ الأنبياء والعالمين أجمعين، أميرالمؤمنين(عليه السلام) (حسن حسن زاده الطبري الآملي) تأليف هذه الصحيفة المكرمة حول (الإنسان الكامل في نهج البلاغة) بمناسبة الذكرى الألفية لنهج البلاغة، فلو أخذنا المعدل بين السرعتين الآنفتين واعتبرنا كلّ 70 سنة درجة واحدة، وأول السرطان بداية الحساب، فإن النسر الطائر المذكور لم يكمل أية دورة لحد الآن خلال هذه الفترة البالغة (14840) سنة، وان النسر الواقع هو الآن في حدود (13580) سنة.

الغرض مما تقدم من الاطالة والازعاج هو أ نّهم وجدوا في الأهرام المذكورة حبات من الحنطة المعالجة بالمومياء وقاموا بزرعها فاخضرت، ولم تكن قد فسدت. فإذا كان حال حبات الحنطة هذا ـ حيث لم تفقد قابليتها طيلة هذه الفترة المتمادية ـ فما هو مجال الطعن والقدح في أن تحفظ الروح الّتي هي المظهر الأتم والأكمل للولاية الالهية الكلية اعتدال مزاج جسدها الطاهر ليظل سنوات طويلة في النشأة العنصرية.

**حفظ الكافور في ظل الشعير وحفظ الجسد في ظل الروح**

**يقول مؤلف (مخزن الأدوية) لما كان الكافور يتبخر سريعاً ولا يبقى، خاصة في أيام الحر وفي البلدان الحارة، فان طريقة حفظه هي ان يغلق عليه جيداً في وعاء زجاجي سميك ذي غطاء محكم بعد ملئه بعدّة حبات من الشعير والفحم أو الفلفل ويحكم غلقه. وقد أورد محمّد بن عبدالله الإسكافي شعراً:**

**»نفسي فداوك لا لقدري بل أرى *** ان الشعير وقاية الكافور«**

**فإذا كانت حبة الشعير والفلفل والفحم الخالية من الروح حافظة لموجود عنصري تفترق عنها ومن غير نوعها، فإن الوسوسة والتشكيك في بقاء الجسد العنصري، والّذي هو المرتبة النازلة للنفس برعاية وتصرف الروح الكلية لعيبة الأسرار الالهية، هو من عمى البصيرة (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور)(20.(**

**ان الروايات الواردة في أن الأرض لا تخلو أبداً من حجة لله، وذلك في طرق العامة والخاصة خارجة عن العدّ والاحصاء، وإن كلام أميرالمؤمنين لكميل والّذي ورد في النهج: «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة» رواه الفريقان مع ذكر السند .وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أمرين لمحض التبصرة وتزيد البصيرة في غيبة (حضرة بقية الله وتمام النبوة إمام العصر قائم آل محمّد صلوات الله عليهم.(**

**الأمر الأوّل في غيبة إدريس(عليه السلام:(**

**الباب الثاني في (كمال الدين) هو في غيبة النبيّ إدريس صلوات الله عليه وحديثه مروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) ان غيبة النبيّ إدريس وظهوره محيّرة حالها حال الأُمور الإلهية جميعها.**

**إدريس في العبرية (هرمس) ويطلقون عليه (هرمس الهرامسة.(**

**ان الروايات الّتي تتحدث عن غيبة النبيّ إدريس وظهوره تحمل أسرار لطيفة جداً، كما أن تعبيرات صحف مشائخ أهل العرفان في هذا المجال حول ذلك النبيّ شريفة هي الأُخرى، وكتب قصص الأنبياء وتذكرة الحكماء والسير والتواريخ تحوي مطالب عجيبة في هذا المجال أيضاً.**

**ورد في القرآن الكريم: (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)(21) وكذلك: (وَإسْمَاعِيلَ وَإدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ)(22) وكذلك (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإسْمَاعِيلَ وَاليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاّ فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ)(23) ، (وَإنَّ إلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ أ تَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخَالِقِين اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آ بَائِكُمُ الأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إلاَّ عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ)(24.(**

**والغرض من نقل هذه الروايات حول إدريس الياس(عليه السلام) هو انّه جاء في العديد من الروايات ان الياس هو إدريس نفسه، وقد نقل بعض الروايات العارف عبد الغني النابلسي في شرح الفص الياسي من خصوص الحكم للشيخ الأكبر ابن عربي، وكان الشيخ قد أطلق على الف ص الرابع (أي الإدريسي) هكذا «فص الحكمة القدسية في الكلمة الإدريسية» والفص الثاني والعشرين (أي الالياسي) هكذا (فص الحكمة القدسية في الكلمة الادريسية) والفص الثاني والعشرين (الفص الإدريسي) هكذا «فص الحكمة الايناسية في الكلمة الالياسية «فالعنوان الأوّل يناسب حال النبيّ قبل الظهور فيما العنوان الثاني حاله بعد الظهور لقد صرح الشيخ ونص في عدة موارد من الفص الالياسي على أن الياس هو إدريس نفسه. قال في أوله:**

**»الياس وهو إدريس(عليه السلام) كان نبياً قبل نوح ورفعه الله مكاناً علياً فهو في قلب الأفلاك ساكن ثم بُعث إلى قرية بعلبك وبعل اسم صنم وبك هو سلطان تلك القرية، وكان هذا الصنم المسمى بعلا مخصوصاً بالملك، وكان إلياس الّذي هو إدريس قد مثل له انفلاق الجبل المسمى لبنان من اللبانة وهي الحاجة عن فرس من نار وجميع آلاته من نار، فلمّا رآه ركب عليه فسقطت عنه الشهوة فكان عقلا بلا شهوة فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية... الخ.«**

**وقال في آخره :**

**»فمن أراد العثور على هذه الحكمة الإلياسية الإدريسية الّذي أنشأه الله تعالى نشأتين وكان نبيّاً قبل نوح(عليه السلام) ثم رفع فنزل رسولا بعد ذلك فجمع الله له بين المنزلتين فلينزل من حكم عقله إلى شهوته ليكون حيواناً مطلقاً حتى يكشف ما تكشفه كلّ دابة ما عدا الثقلين، فحينئذ يعلم أ نّه قد تحقّق بحيوانيته... الخ.«**

**والغرض الرئيس للشيخ في هذا الفص هو اثبات ظهور شخص واحد في صورتين لأن ظهور إدريس(عليه السلام) في صورة الياس مع بقاء الأوّل على حاله من دون ضرورة النسخ والفسخ وقد بيّن الشيخ في أول (فصوص الحكم) أنه حصل على الكتاب المذكور في مكاشفة على يد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقام يأخذه ونشره بين الناس.**

**»أمّا بعد فإنّي رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم لسنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده(صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكحم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ... الخ.«**

**يقول العارف عبدالرزاق في (شرح فصوص الحكم) في شرحه للفص الإدريسي المذكور:**

**»وقد بالغ إدريس(عليه السلام) في التجريد والتروح حتى غلبت الروحانية على نفسه وخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانيات الأفلاك وترقى إلى عالم القدس وأقام على ذلك ستة عشر عاماً لم ينم ولم يطعم شيئاً، لأنّ الشهوة**

قد سقطت عنه وتروّحت طبيعته وتبدّلت أحكامها بالأحكام الروحية، وانقلبت بكثرة الرياضة وصار عقلا مجرداً ورفع مكاناً علياً في السماء الرابعة.«

المقصود من النشأتين في كلام الشيخ إذ قال: (الّذي أنشأه الله تعالى نشأتين) هو نشأة النبوة ونشأة الرسالة كما أوضح ذلك بعد العبارة الآنفة حيث قال: انّه كان نبياً قبل نوح ثم نزل بعد ذلك وصار رسولا بل ان القرآن صرّح بذلك وقال:(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً) وقال: (إنَّ إلْيَاسَ كانَ من المُرْسَلِينَ) فينبغي أن تحلّ كلّ مشكلة عن طريقها الخاص بها، فكما ان لكلّ نتيجة صغرى وكبرى خاصة، ولكلّ مقدمات ارتباطاً خاصاً بمطلوبها، فكذلك فهم مسائل الإمامة والوصول إلى ادراك مثل هذه الأُصول في العقائد الّتي هي من غوامض أسرار المعارف الالهية الحقة، يجب أن يتوصل إليها عن طريقها الخاص بها ومن أهلها، وقد وردت بتوفيقات الله سبحانه في هذه الرسالة اشارة إلى بعض منها (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أمْراً.(

ينقل الجندي في بيان المقام الإدريسي الإلياسي للإنسان الكامل كلاماً ينقله عن ابن الفناري في الفصل الخامس من (مصباح الانس)، فبعد تقديم عدة أُصول في إمكان أن يكون شيء واحد مظهراً وظاهراً باعتبارين يقول: «فالإنسان الكامل مظهر له من حيث الاسم الجامع، ولذا كان له نصيب من شأن مولاه، فإذا تحقق بمظهرية الاسم الجامع كان التروّح من نصيب حقائقه اللازمة فيظهر في صور كثيرة من غير تقيد وانحصار فتصدق تلك الصور عليه وتتصادق لاتّحاد عينه كما تتعدّد لاختلاف صوره، ولذا قيل في إدريس انّه هو الياس المرسل إلى بعلبك، لا بمعنى أن العين خلع تلك الصورة وليس الصورة الإلياسية وإلاّ لكان قولا بالتناسخ بل إنّ هوية إدريس مع كونها قائمة في انيته وصورته في السماء الرابعة ظهرت وتعينت في إنية الياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدة ومن حيث التعين الشخصي اثنين كنحو جبرئيل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد من مائة ألف مكان بصور شتى كلّها قائمة بهم وكذلك أرواح الكمّل وأنفسهم كالحق المتجلي بصور تجليات لا تتناهى كما ذكره الجندي»(25.(

اذن فنتيجة الحديث أن أمر إدريس(عليه السلام) وبقية الله قائم آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) الّذي هو صاحب أعدل الأمزجة في عالم الإنسان الكامل بفضل الله سبحانه والمؤيد بروح القدس وجامع حقائق ورقائق ـ أسماء الله الحسنى هو وفق الموازين العقلية والعلمية، وان الاستبعاد والاستيحاش في مثل هذه المسائل هو من نصيب العوام الغافلين عن العالم الإنساني سواءً كانوا قد قالوا شيئاً من العلوم الطبيعية والمادية الرسمية أم لا.

**الأمر الثاني: واقعة النبيّ خالد:**

روى الصدوق في هذا الباب بإسناده عن معاوية بن عمار قال الصادق(عليه السلام): «بقي الناس بعد عيسى(عليه

السلام) خمسين ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة» وباسناد أخرى روى عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله(عليه السلام): «كان بين عيسى(عليه السلام) ومحمّد صلوات الله عليه خمسمائة عام. منها مائتا وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى(عليه السلام) قلت: فما كانوا؟ قال :كانوا مؤمنين: ثم قال(عليه السلام) : ولا يكون الأرض إلاّ وفيها عالم.«

ان قيد «ظاهر» و «ظاهرة» في هذه الرواية هو انّه لا تخلو الأرض أبداً من حجة الهية وإن لم يكن ظاهراً كما قال في آخر الحديث الثاني «ولا تكون الأرض إلاّ وفيها عالم» وعن عليّ(عليه السلام) لكميل: «اللّهمّ انّك لا تُخلي الأرض من قائم بحجة امّا ظاهر أو خاف مغمور كيلا تبطل حججك وبيناتك.«

سنتعرض لحديث الإمام(عليه السلام) لكميل بالتفصيل فيما بعد، وفي الدعاء السابع والأربعين للإمام سيد الساجدين المعروف بدعاء عرفة يقول الإمام: «اللّهمّ انّك أيدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك مناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك والذريعة إلى رضوانك.«...

لدي نسخة من (المصباح الصغير) وهو خلاصة (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي(قدس سره) مما كتب في حاشيته «والأنبياء الذين كانوا زمن الفترة بين عيسى(عليه السلام) ونبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) جرجيس(عليه السلام) من أهل فلسطين بعثه الله بعد المسيح(عليه السلام)إلى بلد الموصل، وخالد بن سنان العبسي من العرب بعد عيسى(عليه السلام (وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة بين عيسى ونبينا(صلى الله عليه وآله وسلم «(انتهى.

ومن الأنبياء الذين كانوا في الفترة بين المسيح(عليه السلام) ونبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) النبيّ شمعون الصفا وصيّ عيسى كما ذكر في الروايات، وقال المرحوم الصدوق في الباب الأوّل من (كمال الدين) في مقدمة الكتاب: «ومثل عيسى(عليه السلام) كان وصيه شمعون الصفا وكان نبياً... الخ»(26.(

وبعض الأنبياء المذكورين في زمن الفترة ورد ذكرهم في الدعاء المعروف (الاستفتاح) في عمل أُم داود من أعمال شهر رجب نقله الطوسي في مصباح المتهجد:

»اللّهمّ صل على أبينا آدم بديع فطرتك... اللّهمّ صل على أُمّنا حواء المطهرة من الرجس... اللّهمّ صلّ على هابيل وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ولوط وشعيب وأيوب وموسى وهارون ويوشع وميشا والخضر وذي القرنين ويونس وإلياس واليسع وذي الكفل وطالوت وداود وسليمان وزكريا وشعيب ويحيى وتورخ ومتّى وأرميا وحبقوق ودانيال وعزير وعيسى وشمعون وجرجيس والحوارين والأتباع وخالد وحنظلة ولقمان، اللّهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين «...الخ.

**ووجه تسمية الدعاء المذكور بدعاء أم داود ـ كما في عمدة الطالب ـ هو ان دواد هذا ابتلي بسجن المنصور الدوانيقي وتخلص من السجن ببركة هذا الدعاء الّذي علّمه الإمام الصادق(عليه السلام) إلى أُمّ داود فتخلص ابنها من السجن(27.(**

**من بين أنبياء زمن الفترة تحظى قصة النبيّ خالد(عليه السلام) بالعجب ويفتح منها لأهل السر باب من أسرار الإنسان الكامل المنعَّم بنعم حقائق الأسماء الالهية.**

**في روضة الكافي لثقة الإسلام الكليني وفي المجلد الخامس من البحار (النبوة) نقلا عن الكافي وقصص الأنبياء وكمال الدين والاحتجاج(28) وكذلك في الوافي(29) للفيض المقدس نقلا عن الكافي باب باسم (قصة خالد بن سنان العبسي(عليه السلام)) حيث شرح أحوال ذلك النبيّ بالتفصيل كما ان الشيخ الأكبر (ابن عربي) جعل الفص السادس والعشرين من (فصوص الحكم) باسم (الفص الخالدي) أو (الحكمة الصمدية في الكلمة الخالدية) ثم ختم كتابه بالفص المحمّدي وقد نقل الشرّاح (كالعارف الملا عبدالرزاق والعارف القيصري والجامي والبالي وعبدالغني النابلسي وغيرهم) قصة ذلك النبيّ وورد اختلاف بسيط في بعض التعابير مع الكتب الروائية الآنفة الذكر. وذكروا لطائف ثمينة وقيّمة في شرح الفص المذكور في الأطوار الوجودية للإنسان الكامل، ونحن نكتفي بنقل قسم من كلام الشيخ فقط. قال:**

**»امّا حكمة خالد بن سنان فإنّه أظهر بدعواه النبوّة البرزخية فإنّه ما ادّعى الإخبار بما هنالك إلاّ بعد الموت فأمر أن ينبش عليه ويسأل فيخبر أن الحكم في البرزخ على صورة الحياة الدنيا، فيعلم بذلك صدق الرسل كلّهم فيما أُخبروا به في حياتهم الدنيا، فكان غرض خالد إيمان العالم كله بما جاءت به الرسل ليكون خالد رحمة للجميع، فإنّه شرف بقرب نبوته من نبوة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلم خالد أن الله أرسله رحمة للعالمين، ولم يكن خالد برسول فأراد أن يحصل من هذه الرحمة في الرسالة المحمّدية على حظّ وافر ولم يؤيد بالتبليغ، فأراد أن يحظى بذلك في البرزخ ليكون أقوى في العلم في حقّ الخلق، فأضاعه قومه ولم يصف النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قومه بأ نّهم ضاعوا وإنّما وصفهم بأ نّهم أضاعوا نبيّهم حيث لم يبلغوه مراده.«**

**يقول الشيخ البهائي(قدس سره) في الكشكول:**

**»أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن العزيز خمسة وعشرون نبيّاً: محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، يونس، داود، سليمان، إلياس، اليسع، زكريا، يحيى، عيسى، وكذا ذا الكفل عند كثير من المفسرين»(30.(**

**في دعاء أم داود المشار إليه ورد ذكر كلّ هؤلاء الأنبياء الخمسة والعشرين، قال الله في كتابه:**

)وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)(31)، وكذلك قال: (وَلَـقَدْ أَرْسَلْـنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَـقْصُصْ عَلَيْكَ)(32.(

وفصوص الحكم المذكورة إنّما هي 27 فصاً باسم 27 شخصاً، لم يذكر صاحبها من الـ (25 (نبيّ المذكورين في القرآن اليسع وذي الكفل فيكون قد ذكر 23 اسماً من الأنبياء الـ (25)الذين ذُكروا في القرآن اضافة إلى (4) أنبياء انفرد بذكرهم عن القرآن وهم شيث وعزير ولقمان وخالد.

ان للشيخ في تسمية الفصوص باسم كلّ واحد من أولئك الأنبياء وفي ترتيب الفصوص غرضاً عرفانياً في المقامات الإنسانية النوعية الرفيعة في الأطوار والأدوار لا أن تكون ترجمة شخصية خاصة في كلّ فص، إذ يمكن أن يكون إنسان عيسوي المشرب أو موسوي المشرب وإن لم يكن حائزاً لرتبة النبوة التشريعية كما أن (بقية الله قائم آل محمّد ( أرواحنا فداه ليس حائزاً على درجة النبوة.

---

(1)نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

(2)أُصول الكافي: 136/1.

(3)نهج البلاغة: الخطبة 150.

(4)أُصول الكافي: 137/1.

(5)نهج البلاغة: الخطبة 152.

(6)شرح الفصوص القيصري: 11 ط 1.

(7)شرح الفصوص القيصري: 62.

(8)نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام) لكميل.

(9)الأحزاب: 4.

(10)نوح: 13 و14.

(11)الواقعة: 62.

(12)الإنسان الكامل لعزيز النسفي: 375 ط 1.

(13)ق: 15.

(14)النمل: 88.

(15)إبراهيم: 48.

(16)القصص: 88.

(17)البقرة: 25.

(18)عبس: 24.

(19)بستان السياحة: 539 ط حجرية.

(20) : .

(21)مريم: 58.

(22)الأنبياء: 86.

(23)الأنعام: 86 و87.

(24)الصافات: 124 - 133.

(25)مصباح الانس: 37 ط حجرية.

(26)كمال الدين:17 ط حجرية.

(27)عمدة الطالب: 178 ط النجف.

(28)البحار: 376/5 ط كمپاني.

(29)الوافي: 94/14.

(30)كشكول البهائي: 38 مطبعة نجم الدولة.

(31)النساء: 165.

(32)غافر: 79.

# الباب الرابع

## الإنسان الكامل مصلح برية الله

د ـ ومثل هذا الإنسان هو مصلح لبرية الله «إنّما الأئمّة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنّة إلاّ من

عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه»(3) وان كان الواسطة في الفيض ومكمل النفوس المستعدة لذلك، قال الإمام الباقر(عليه السلام:(

»إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم.«

وفي تفسير العياشي عن باب الحوائج إلى الله (الإمام السابع) قوله: «لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلاّ وحَّد الله.«

وأعظم فوائد السفراء الإلهيين(عليهم السلام) تكميل القوة العلمية والعملية للخلق.

بقاء كلّ العالم مرتبط ببقاء الإنسان الكامل

والبرية هي بمعنى الخلق «أُولئك هم خير البرية» وإصلاح البرية بمعنى آخر أدقّ هو :بما أن الإنسان هو الكون الجامع ومظهر الاسم الجامع وإن أزمّة كلّ الأسماء بيد قدرته وإن صورة المجتمع الإنساني غاية الغايات لتمام الموجودات الإمكانية، بناءً على ذلك فإنّ دوام مبادئ الغايات هو دليل على استمرار بقاء العلة الغائية. اذن فبقاء الإنسان الكامل الفرد هو بقاء للعالم أجمع.

»في الكافي بإسناده عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبدالله(عليه السلام) : أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»(4.(

# الباب الخامس

## الإنسان الكامل معدن كلمات الله

)هـ) ومثل هذا الإنسان هو معدن كلمات الله «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن»(5.(

وجاء التعبير عنه في صحف أتباع الولاية بصاحب المرتبة العمائية والّتي تضاهي المرتبة الإلهية. والمرتبة العمائية هي تعبير آخر عن مرتبة الإنسان الكامل والّتي تجمع جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة في مصطلح أهل الله وحتى آخر التنزلات والتطورات في الوجود وهي الفرق والتمييز بين الربوبية والمربوبية كما صرح ونص على ذلك قائم آل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) في توقيع شهر الولاية (رجب.(

**بيان نكتة فى توقيع الناحية**

**روى السيد ابن طاووس التوقيع المبارك في الاتصال بسلسلة الرواية المسندة: «ومن الدعوات في كلّ يوم رجب ما رويناه عن جدّي أبي جعفر الطوسي(رضي الله عنه) فقال :أخبرني جماعة عن ابن عيّاش قال: مما خرج على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد(رضي الله عنه) من الناحية المقدسة ما حدثني به خير بن عبدالله قال :كتبته من التوقيع الخارج إليه:**

**بسم الله الرحمن الرحيم ادع في كلّ يوم من أيام رجب: «اللّهمّ اني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك. وأسألك بما نطق فيهم من مشيئتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك الّتي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلاّ أ نّهم عبادك وخلقك... الخ.«**

**الضميران (بينها إلاّ أ نّهم) مثل الضميرين في الآية الكريمة (وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاءَ كُلَّها ثم عرضهم) وتوقيعه الشريف هو آية من آيات الإنسان الكامل ومتن تام فى أُصول وأُمهات مسائل الولاية والإمامة. وفي الصحف الكريمة لأرباب العقول لطائف حول هذه اللطيفة الالهية، ومن ذلك جملة العلاّمة القيصري في أواخر الفصل الأوّل من مقدمات شرح فصوص الحكم حيث يقول:**

**»ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة (يعني طبيعة الوجود) إلى آخر تنزلاّت الوجود وتسمى بالمرتبة العمائية أيضاً فهي مضاهة للمرتبة الإلهية ولا فرق بينهما إلاّ بالربوبية والمربوبية ولذلك صار خليفة الله»(6.(**

**ويقول أيضاً في بداية شرح الفص الآدمي:**

**»والكون الجامع هو الإنسان المسمى بآدم، وغيره ليس له هذه القابلية والاستعداد»(7.(**

# الباب السادس

# الإنسان الكامل حجة الله

**)و) ومثل هذا الإنسان هو حجة الله:**

»اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة امّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً»(8) «والحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.«

وان كانت الحكمة المتعالية قد برهنت على أنه لا يوجد زمن من الأزمنة خال من النفوس المكتفية وان كلّ نفس من النفوس المكتفية والّتي هي أتم وأكمل من سائر النفوس سواء المكتفية أو غير المكتفية هي حجة الله، اذن لا يمكن أن يخلو زمن من الأزمنة من حجة الله.

في الدعاء السابع والأربعين من أدعية الصحيفة السجادية المعروف بدعاء عرفة تقرأ ما يلي: «اللّهمّ انّك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك، والذريعة إلى رضوانك...الخ.«

وهذه الحجة شاهد سواء أكان ظاهراً أم غائباً وهو شاهد قائم لا قعود له مطلقاً وجاء في تعبير باقر علوم الأولين والآخرين: «إذا قام قائمنا» وجاء في تفسير صادق آل البيت(عليهم السلام) لقوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ): «من أقر بقيام القائم(عليه السلام) إنّه حقّ » وجاء في كلام ثامن الحجج(عليه السلام) : «لا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهر أو خاف» وهكذا في الروايات الأُخرى الّتي تتحدث عن القائم. وعليك أن تتعمق وتتدبر في السبب من كون إمام الزمان قائمنا.

## الانتفاع بالحجة في زمان الغيبة:

اعلم ان فائدة وجود الإمام لا تنحصر بالاجابة عن أسئلة الناس بل ان الموجودات وكمالاتها الوجودية مرتبطة بوجوده وإن افاضاته واستفاضته مستمرة في حال غيبته فافتح بصيرتك في حل هذا اللغز من لسان قائم آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وافهم ذلك من توقيع ثاني الوكلاء الأربعة محمّد بن عثمان العمري في جوابه لإسحاق بن يعقوب كما جاء في الاحتجاج للطبرسي حيث يقول: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب.«

ونفس هذا البيان في غيبة خاتم الأئمة (عجّل الله فرجه) قاله الإمام الصادق(عليه السلام) لسليمان بن مهران الأعمش بل قاله خاتم الأنبياء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)لجابر الأنصاري. وما يجب أن تدركه أيضاً هو هل ان خليفة الله غائب أم اننا غير حاضرين وفي حجاب ثم نسمي أنفسنا باسم ذلك الشاهد في كلّ مكان. اننا الذين نرى انّه لا حاجة للتمسك بالاقناعيات حول البراهين الايقانية العقلية والنقلية المتواترة عن بيت الوحي إلاّ ما نراه مفيداً في الاستيناس ورفع الاستيحاش عن بعض النفوس، نقول: ان (السلحفاة) ومن باب الأحجية قالوا بشأنها أنها تراقب بيوضها عن بعد وتعمل ذلك من أجل ايجاد سلحفاة مستعدة وجيدة، فهل ان النفس الكلية القدسية لخليفة الله وولي الله وحجة الله أقل

عناية بالخلق في حالة الغيبة من عناية تلك السلحفاة ببيوضها؟!

## البرهان على إمكان دوام البدن العنصري

ان أهم المعارف في معرفة وسائط الفيض الإلهي هو معرفة النفس الإنسانية بل ان معرفة النفس هي قلب وقطب جميع المباحث الحكمية ومحور جميع مسائل العلوم العقلية والنقلية وأساس جميع الخيرات والسعادات، ومعرفتها أشرف المعارف، وإذا ما تمت معرفة جنس هذه الجوهرة النفيسة فانّها تبدّل صورة الإنكار في مثل هذه المسائل الضرورية في النظام الرباني الأحسن إلى دولة الاقرار والاعتراف.

والمطلب الرئيسي في ذلك هو أننا لم نتصفح هذا الكتاب الإلهي الأكبر، والمسمى بالإنسان بشكل حاذق، ولم نطالع بشكل جيد مطالع كلماته وآياته، وأدركنا منه حدّه العادي في أنه (غاذ ونام ومتحرك الإرادة.(

فمن أجل السير الصعودي في معارج المقامات الأنفسية والوقوف على موقف هذه الصحيفة الإلهية، لابدّ من قيام أُستاذ بذلك. أُستاذ من أهل السير والعرفان. وأنا أيضاً لا أدّعي بأن أكون المتعهد باعطاء التحديد الحقيقي والتعريف الواقعي لذلك. ولكني أُحاول ترسمه بالاستمداد من الأنفاس القدسية لأولياء الحقّ مع ما امتلكه من بضاعتي المزجاة، وفي حد الاستطاعة والوسع، وأُقدم في هذا الصدد وفيما يخص موضوع الرسالة الشريف ـ بعض الهدايا والّتي هي عبارة عن بعض نتائج البحث، إنّ الهدايا على مقدار مهديها.

الإنسان عبارة عن حقيقة ممتدة من الفرش إلى العرش (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُل مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)(9) ومرتبته النازلة بدنه وفيها نشأة بدنه العنصرية وبهذا الوصف العنواني فان البدن في الحقيقة عبارة عن روح متجسدة، وان شئت قلت: هو عبارة عن جوهرة جسمانية متصفة بأوصاف الجسم كالشكل والصورة والكيفية والكمية وغيرها، وروحه عبارة عن جوهرة نورانية منزهة عن شؤون الطبيعة. وتلك هي مراتب التجرد البرزخية والعقلانية وفوق التجرد العقلاني والّتي ليس لها حد الوقوف، وله حكم خاص في كلّ مرتبة، وفي نفس الوقت له أحكام جميع المراتب، وهي ظهور لأطواره الوجودية )مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَـقَكُمْ أَطْوَاراً)(10.(

ان مرتبته النازلة محاكاة لمرتبته العالية كما في السلسلة الطولية، حيث ان وجود كلّ دان هو عبارة عن ظل للعالي، والنشأة الأُولى هي مثال للنشأة الأُخرى (وَلَـقَدْ عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ)(11.(

وفي المأثور عن صادق آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّ الله عزّوجلّ خلق ملكه على مثال ملكوته، وأسس ملكوته على مثال جبروته ليستدل بملكه على ملكوته وبملكوته على جبروته»(12.(

ان البدن العنصري هو من عالم الطبيعة وهو في تجدد دائماً وان صورة عالم الطبيعة بما في ذلك السموات والأرضين

تتبدل دائماً بشكل مستمر وغير منقطع، لأن الطبيعة هي المبدأ القريب للحركة، وإن علة الحركة يجب أن تكون متجددة كما تمت برهنة ذلك في الحكمة المتعالية من أن:

»الحجة العمدة على الحركة في الجوهر هي ان جميع الحركات سواء كانت طبيعية أو ارادية أو قسرية مبدأها هو الطبيعة ومبدأ المتجدد يجب أن يكون متجدداً فالطبيعة يجب أن تكون متجدّدة بحسب الذات.«

والآيات القرآنية من قبيل: (بَلْ هُمْ فِي لَبْس مِنْ خَلْق جَدِيد)(13) ، (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)(14)، (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ)(15 (، هي بهذا المعنى. وبناءً على ذلك، فان للعالم غاية وهدفاً يصل من خلال تكميله، من الهيولا الأُولى والاتحاد بالصور البسيطة والمركزية الحيوانية والانسانية والعقلية إلى المراتب العالية وإلى الفناء المحض (كُلُّ شَيْء هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ)(16 (فان نهاية الحراك سكون.

لذا فان النفس تمتلك بواسطة الطبيعة جنبة التجدد والّتي ليس لها بقاء وثبات، وهذه بنفسها هي جنبة البقاء إذ:

«خلقتم للبقاء لا للفناء» وبعبارة أُخرى: ان النفس وفق الجنبة الحسية في تبدّل ووفق الجنبة العقلية ثابتة.

ان صورة الشيء محفوظة بواسطة تجدد الأمثال في خضم حركة الطبيعة، فالإنسان من خلال الحركة الجوهرية وتجدد الأمثال دائماً في حال ترقٍّ ويبقى ثابتاً من جهة لطافة ورقة الحجاب، والحجاب هو نفس هذه المظاهر المتكثرة والّتي هي حجاب الذات تقدست أسماءه بمعنى من المعاني.

يقول في الفص الشعيبي: «ومن أعجب الأمر أن الإنسان في الترقي دائماً ولا يشعر بذلك للطافة الحجاب ورقّته وتشابه الصور مثل قوله تعالى:(وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً)(17. (

وان لطافة الحجاب ورقته هي بمعنى أن الصانع وواهب الصور باسم «المصور» وبحكم (كلّ يوم هو في شأن) فانّه لحظة بلحظة وآن بآن يقوم بايجاد الأمثال بتلك الطريقة الّتي يتصور فيها المحجوب بأن هذه الصور هي نفس تلك الصور السابقة والقديمة، كمثل الشخص الواقف بجانب نهر سريع الجريان فانّه يرى صورته ثابتة ومستقرة طيلة ذلك الزمن، بينما هذه الصورة ناتجة عن انعكاس نور البصر في الماء، لا قرار له، ويحدث بصورة متوالية ومتتالية صورة جديدة كالصورة السابقة.

فالإنسان الثابت سيّال في نفس الوقت... سيّال في الطبيعة، وثابت في جوهر الروح المتغذي بالصورة النورية المجردة للحقائق العلمية (فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إلَى طَعَامِهِ)(18.(

ان الإنسان من حيث هو إنسان فان طعامه مسانخ لغذائه، قال باقر علوم النبيين لزيد الشحام في تفسير الطعام «علمه الّذي يأخذه عمن يأخذه.«

ان الغذاء باختلاف أنواعه وضروبه هو مظهر لصفة البقاء ومن سدنة الاسم القيّوم ومسانخ للمتغذي، والتغذي حسب دوام ظهور الاسم الظاهر وأحكامه .

ان الحقائق العلمية هي صور فعلية وصلت إلى الكمال ولا طريق للحركة فيها، وإلاّ فيجب أن تكون موجودة بالقوة، وهذا يلزم عدم تحقق أية صورة علمية وعدم وصولها إلى الفعل.

اذن: العلم ووعاء العلم مجرد ومنزّه عن المادة وأحكامها.

وبما أن الإنسان الثابت سيّال أيضاً، لذا فإن براهين تجرّد النفس وأدلة الحركة الجوهرية للطبيعة في صورتها الجسمانية تبقيان على قوتهما.

ونتيجة هذا البحث: ان العلم والعمل ليسا في العرض بل هما جوهران لبناء الإنسان، وإن النفس الإنسانية بقبولها للعلم والعمل تكتشف توسعها واشتدادها الوجودي وتتحول إلى جوهر نوراني.

ان العلم هو باني ومشخّص الروح الإنسانية، والعمل هو باني ومشخّص البدن الإنساني في النشأة الاخروية، والإنسان عبارة عن أبدان في طول بعضها البعض ووفق النشآت، وان تفاوت الأبدان يكون في النقص والكمال.

ولأن روح الإنسان، وحسب ارتقائه واشتداد وجوده النوري يعتبر من سنخ الملكوت وعالم القدرة والسطوة، فإنه دائماً يسخّر طبيعته لصالحه ويتغلب عليها. وإن أحكام العقول القدسية وأوصاف أسماء الصقع الربوبية تظهر عليه بالحد الّذي يصبح وعاء وجوده وجود المجرّدات القاهرة والبسائط النورية ويصبح متخلقاً بالأخلاق الربوبية.

وللصدر القنوي حديث في غاية الكمال من كتاب الفكوك في ان الإنسان واسطة لفيض حيث يقول:

»الإنسان الكامل الحقيقي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه، وبين صفات الحدثان وهو الواسطة بين الحقّ والخلق وبه، ومن مربته يصل فيض الحقّ والمدد الّذي هو سبب بقاء ما سوى الحقّ في العالم كلّه علواً وسفلا، ولولاه من حيث برزخيته الّتي لا تغاير الطرفين لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الواحداني لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل المدد إليه.«

ان النتيجة الحالية من اللبس المستحصلة من هذا التحقيق هو ان امكان دوام مثل هذا الإنسان الكامل الحقيقي والّذي هو البرزخ بين الوجوب والإمكان، يكون في النشأة العنصرية.

يقول الخواجة الطوسي في كتاب النفائس في صفات الذهب: «امّا صورة معدن الذهب فانّها لا تفسد بأي من كيفيات العناصر الأربعة ولا تتمكن أية قوة ان تبطل عنصره وان أكثر الفلزات الّتي تخلط معه وتحرقه فالذهب يبقى على حاله ونقاوته وينفصل عنه الغش، وإذا ما أُخفي الذهب الخالص لأزمنة مديدة تحت الأرض فلا ينقص منه أي شيء مع انّه

**لا يتغير منه أي شيء بخلاف بقية الجواهر» ويقول في صفات الفضة: «ان الفضة أيضاً ذهب ولكن ثباتها ليس كثبات الذهب، ويتأثر بسرعة عند معاملتها بالأدوية حيث تفترق وتصبح عديم القيمة وتحول بمرور الزمن إلى رماد إذا ما بقيت تحت الأرض.«**

**كان هذا كلام الخواجة في الكتاب المذكور وغرضي من نقله هو إذا كان الكيميائي يتمكن من تحويل الفضة إلى ذهب خالص بواسطة علمه وصناعته حيث تتحول بذلك الفضة المتغيرة إلى ذهب ثابت وغير متغير، فما هو المانع في أن يتمكن الإنسان الكامل الكيميائي ولو بواسطة علم الكيمياء من ابقاء خلقة بدنه العنصري ولقرون طويلة ثابتاً وراسخاً؟**

**يقول المرحوم الحاج زين العابدين الشيرواني في كتابه الشريف المسمى «بستان السياحة «في ذكر صاحب الزمان (عجل الله فرجه): «ولقد منحه واهب العطايا تعالى الحكمة في طفولته كما منحها ليحيى(عليه السلام) في طفولته وجعله إماماً للأنام في صغر سنه وكعيسى بن مريم الّذي أوصله إلى ذلك المقام العظيم في صباه، وانّه لمن دواعي العجب أن يقول بعض الأشخاص ببقاء الخضر والياس من الأنبياء، ومن الأعداء الشيطان والدجال على قيد الحياة وينكرون وجود ذي الوجود وصاحب الزمان في الوقت الّذي هو أفضل من أنبياء السلف وهو ولد صاحب النبوة المطلقة والولاية الكلية.**

**والأعجب من ذلك ان بعض المتصوفة الذين يعدون أنفسهم من أهل العلم وأرباب النظر يقولون بانّه في بلاد الهند يوجد بين البراهمة واليوغيين بعض المرتاضين الذين عاشوا ويعيشون لآلاف من السنين بسبب استخدامهم لبعض الأساليب الرياضية كحبس النفس وقلة الأكل ومع ذلك نراهم ينكرون وجود صاحب الزمان.**

**يقول الفقير: ان انكار وجوده المبارك هو في الحقيقة انكار لقدرة البارئ تعالى، ان المنّة الإلهية الّتي منّها الله على هذا الفقير رؤيتي الأمر كالشمس الساطعة بأ نّه كقدرة ذلك الكيميائي في صنع مادة نادرة من تأليف الأجزاء المتفرقة وإضافة تلك المادة على الفضة وتحويل تلك الفضة إلى ذهب أحمر، وعلى العكس من الفضة الّتي تتلف وتباد خلال مدة قصيرة، فان الذهب لا يُمحى بل يبقى على منوال واحد لعدة آلاف من السنين. فإذا تمكن وليّ الله كمثل ذلك الكيميائي أن يجعل من اكسير التفاتة بدنه عاملا لانسجام وتجانس بدنه مع روحه فإنه ليس ببعيد من أن يجعل بدنه باقياً ودائماً وخالداً، وأُولئك الذين ينكرون وجوده المبارك ويؤولون لفظ المهدي وصاحب الزمان انما يعبرون عن عمى بصيرهم، وإلاّ فلو كان هناك قليل من الشعور لما بقي لديهم ذرة من الانكار (والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم)»(19.(**

**كان هذا الكلام للمرحوم الشيرواني في كتاب بستان السياحة والّذي رأيته مفيداً لمزيد من البصيرة في هذا الموضوع، مضافاً إلى أن أعاجيب التأثيرات الكونية للنفس من قبيل حبس الدم والرياضات والمجاهدات الأُخرى (حتى من قبل**

طوائف مع كفرهم) خارجة عن العدّ والاحصاء، وإن كثيراً منها مسطورة في الزبر المرتبطة بها، فما بالك بخواص النفس القدسية وهي العقل الفعّال المصادف للوجود الطبيعي.

وقد ذكرت قدرات بعض المرتاضين في الباب 39 من كتاب «غاية المراد في وفق الاعداد «وهي من أُمهات وأُصول كتب هذا العلم الشريف (علم الأوفاق) وتثير العجب حقاً، وقد أعرضنا عن ذكرها هنا تحاشياً للاطالة والاطناب.

## أثر الكيمياء والمومياء ونفس الإنسان الكامل

تقوم الكيمياء بتبدبل المعدن وتغييره إلى معدن آخر وتمنحه عمراً طويلا. اما المومياء فتحفظ الحبوبات والأجسام الميتة من الفساد.

المومياء شيء شبيه القبر بل هو القبر في كماله النهائي، والمومياء كلمة يونانية تعني حافظ الأجساد ويقال لها بالعربية (عرق الجبال) لأ نّها تخرج من شقوق بعض الجبال من قبيل جبل (داراب) من توابع فارس واصطهبات ونواحيها حيث تقطر من الجبل وكأنها عرقُه. فإذا كان المومیائي يستطيع حفظ أجساد الموتى من التفسخ بواسطة المومياء، فلماذا لا تستطيع المومیائية وهي الاسم الإلهي الأعظم أن تصون الجسد الحي من الزوال والبوار؟

## تاريخ الأهرام في مصر ودوام الحنطة

يقوم في أهرام مصر هرمان كبيران بالخصوص بإحكام بقية الاهرامات وتثبيتها واستقامتها فاعتبروا تأريخيهما سماوياً لا أرضياً، لأن التواريخ الأرضية معرضة للزوال والنسيان عبر مرور الأيام وكرور الأعوام، ولا تسع تاريخ الاهرامات لهذا قيل في تأريخ ذينك الهرمين «قد بُني الهرمان والنسر الطائر في السرطان .«

النسر الطائر من الثوابت البيضاء وهو من أكبر القدر الثاني على هيئة عقاب والّذي هو من الصور الشمالية والنسر بين منكبيه وطوله في تاريخ (الزيج البهادري) للدلو 16 دقيقة وعرضه 29 درجة و15 دقيقة وهو من شظايا عنكبوت الاسطرلاب في التأريخ أعلاه لم يذكر في أية درجة السرطان وورد في الزيج المذكور: (ان سرعة حركة الكواكب الثابتة مختلفة فيما بينها فأسرعها يقطع الدرجة خلال 61 سنة و8 أشهر و8 أيام قمرية وسطى، وأبطأها يقطع الدرجة الواحدة خلال 82 سنة و3 أشهر و17 يوم قمري أوسط، وسرعة بقية الكواكب ما بين هاتين.

في منتهى الأرب في مادة (هرم)، ورد تأريخ الهرمين من دون ذكر كلمة الطائر، هكذا: «وقد بني الهرمان والنسر في السرطان» وعلى هذا الاحتمال يمكن أن يكون المقصود هو النسر الواقع لا النسر الطائر، والنسر الواقع على هيئة (شلياق) من القدر الأوّل وهو من الصور الشمالية ويستقر على (الخرفقة) الحاملة له، طوله في الزيج المذكور الجدي 14 درجة و25 دقيقة وعرضه 62 درجة والنسر الواقع كذلك من شظايا العنكبوت وقد صرح الصوفي بكلتا

الصورتين:

»النيّر المشهور الّذي يرسم على الاصطلاب وهو النسر الطائر من القدر الثاني من أعظمه فيما بين المنكبين.«

وفي هذا قال: «النسر المشهور من القدر الأوّل وهو الّذي يرسم على الاصطرب ويسمى النسر الواقع.«

وكيف كان، فإن مبدأ (الزيج البهادري) هو يوم الثلاثاء الغرة الوسطى لمحرم 1251 ناقصة (هجري) واليوم الثلاثاء 15 شوال المكرم 1400 هـ قمري الموافق لـ 4 شهريور 1359هـ ش حيث قام هذا المتمسك بذيل ولاية سرّ الأنبياء والعالمين أجمعين، أميرالمؤمنين(عليه السلام) (حسن حسن زاده الطبري الآملي) تأليف هذه الصحيفة المكرمة حول (الإنسان الكامل في نهج البلاغة) بمناسبة الذكرى الألفية لنهج البلاغة، فلو أخذنا المعدل بين السرعتين الآنفتين واعتبرنا كلّ 70 سنة درجة واحدة، وأول السرطان بداية الحساب، فإن النسر الطائر المذكور لم يكمل أية دورة لحد الآن خلال هذه الفترة البالغة (14840) سنة، وان النسر الواقع هو الآن في حدود (13580) سنة.

الغرض مما تقدم من الاطالة والازعاج هو أ نّهم وجدوا في الأهرام المذكورة حبات من الحنطة المعالجة بالمومياء وقاموا بزرعها فاخضرت، ولم تكن قد فسدت. فإذا كان حال حبات الحنطة هذا ـ حيث لم تفقد قابليتها طيلة هذه الفترة المتمادية ـ فما هو مجال الطعن والقدح في أن تحفظ الروح الّتي هي المظهر الأتم والأكمل للولاية الالهية الكلية اعتدال مزاج جسدها الطاهر ليظل سنوات طويلة في النشأة العنصرية.

حفظ الكافور في ظل الشعير وحفظ الجسد في ظل الروح

يقول مؤلف (مخزن الأدوية) لما كان الكافور يتبخر سريعاً ولا يبقى، خاصة في أيام الحر وفي البلدان الحارة، فان طريقة حفظه هي ان يغلق عليه جيداً في وعاء زجاجي سميك ذي غطاء محكم بعد ملئه بعدّة حبات من الشعير والفحم أو الفلفل ويحكم غلقه. وقد أورد محمّد بن عبدالله الإسكافي شعراً:

»نفسي فداوك لا لقدري بل أرى *** ان الشعير وقاية الكافور«

فإذا كانت حبة الشعير والفلفل والفحم الخالية من الروح حافظة لموجود عنصري تفترق عنها ومن غير نوعها، فإن الوسوسة والتشكيك في بقاء الجسد العنصري، والّذي هو المرتبة النازلة للنفس برعاية وتصرف الروح الكلية لعيبة الأسرار الالهية، هو من عمى البصيرة (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور)(20.(

ان الروايات الواردة في أن الأرض لا تخلو أبداً من حجة لله، وذلك في طرق العامة والخاصة خارجة عن العدّ والاحصاء، وإن كلام أميرالمؤمنين لكميل والّذي ورد في النهج: «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة» رواه الفريقان مع ذكر السند .وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أمرين لمحض التبصرة وتزيد البصيرة في غيبة (حضرة

بقية الله وتمام النبوة إمام العصر قائم آل محمّد صلوات الله عليهم.(

## الأمر الأوّل في غيبة إدريس(عليه السلام:(

الباب الثاني في (كمال الدين) هو في غيبة النبيّ إدريس صلوات الله عليه وحديثه مروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) ان غيبة النبيّ إدريس وظهوره محيّرة حالها حال الأُمور الإلهية جميعها.

## إدريس في العبرية (هرمس) ويطلقون عليه (هرمس الهرامسة.(

ان الروايات الّتي تتحدث عن غيبة النبيّ إدريس وظهوره تحمل أسرار لطيفة جداً، كما أن تعبيرات صحف مشائخ أهل العرفان في هذا المجال حول ذلك النبيّ شريفة هي الأُخرى، وكتب قصص الأنبياء وتذكرة الحكماء والسير والتواريخ تحوي مطالب عجيبة في هذا المجال أيضاً.

ورد في القرآن الكريم: (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً)(21) وكذلك: (وَإسْمَاعِيلَ وَإدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ)(22) وكذلك (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإسْمَاعِيلَ وَاليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاّ فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ)(23) ، (وَإنَّ إلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ أ تَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخَالِقِين اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آ بَائِكُمُ الأوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إلاَّ عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ)(24.(

والغرض من نقل هذه الروايات حول إدريس الياس(عليه السلام) هو انّه جاء في العديد من الروايات ان الياس هو إدريس نفسه، وقد نقل بعض الروايات العارف عبد الغني النابلسي في شرح الفص الياسي من خصوص الحكم للشيخ الأكبر ابن عربي، وكان الشيخ قد أطلق على الف ص الرابع (أي الإدريسي) هكذا «فص الحكمة القدسية في الكلمة الإدريسية» والفص الثاني والعشرين (أي الالياسي) هكذا (فص الحكمة القدسية في الكلمة الادريسية) والفص الثاني والعشرين (الفص الإدريسي) هكذا «فص الحكمة الايناسية في الكلمة الالياسية «فالعنوان الأوّل يناسب حال النبيّ قبل الظهور فيما العنوان الثاني حاله بعد الظهور لقد صرح الشيخ ونص في عدة موارد من الفص الالياسي على أن الياس هو إدريس نفسه. قال في أوله:

»الياس وهو إدريس(عليه السلام) كان نبياً قبل نوح ورفعه الله مكاناً علياً فهو في قلب الأفلاك ساكن ثم بُعث إلى قرية بعلبك وبعل اسم صنم وبك هو سلطان تلك القرية، وكان هذا الصنم المسمى بعلا مخصوصاً بالملك، وكان إلياس الّذي هو إدريس قد مثل له انفلاق الجبل المسمى لبنان من اللبانة وهي الحاجة عن فرس من نار وجميع آلاته من نار، فلمّا رآه ركب عليه فسقطت عنه الشهوة فكان عقلا بلا شهوة فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية... الخ.«

**وقال في آخره :**

**»فمن أراد العثور على هذه الحكمة الإلياسية الإدريسية الّذي أنشأه الله تعالى نشأتين وكان نبيّاً قبل نوح(عليه السلام) ثم رفع فنزل رسولا بعد ذلك فجمع الله له بين المنزلتين فلينزل من حكم عقله إلى شهوته ليكون حيواناً مطلقاً حتى يكشف ما تكشفه كلّ دابة ما عدا الثقلين، فحينئذ يعلم أ نّه قد تحقّق بحيوانيته... الخ.«**

**والغرض الرئيس للشيخ في هذا الفص هو اثبات ظهور شخص واحد في صورتين لأن ظهور إدريس(عليه السلام) في صورة الياس مع بقاء الأوّل على حاله من دون ضرورة النسخ والفسخ وقد بيّن الشيخ في أول (فصوص الحكم) أنه حصل على الكتاب المذكور في مكاشفة على يد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقام يأخذه ونشره بين الناس.**

**»أمّا بعد فإنّي رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم لسنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده(صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكحم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ... الخ.«**

**يقول العارف عبدالرزاق في (شرح فصوص الحكم) في شرحه للفص الإدريسي المذكور:**

**»وقد بالغ إدريس(عليه السلام) في التجريد والتروح حتى غلبت الروحانية على نفسه وخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانيات الأفلاك وترقى إلى عالم القدس وأقام على ذلك ستة عشر عاماً لم ينم ولم يطعم شيئاً، لأنّ الشهوة قد سقطت عنه وتروّحت طبيعته وتبدّلت أحكامها بالأحكام الروحية، وانقلبت بكثرة الرياضة وصار عقلا مجرداً ورفع مكاناً علياً في السماء الرابعة.«**

**المقصود من النشأتين في كلام الشيخ إذ قال: (الّذي أنشأه الله تعالى نشأتين) هو نشأة النبوة ونشأة الرسالة كما أوضح ذلك بعد العبارة الآنفة حيث قال: انّه كان نبياً قبل نوح ثم نزل بعد ذلك وصار رسولا بل ان القرآن صرّح بذلك وقال:(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً) وقال: (إنَّ إلْيَاسَ كانَ من المُرْسَلِينَ) فينبغي أن تحلّ كلّ مشكلة عن طريقها الخاص بها، فكما ان لكلّ نتيجة صغرى وكبرى خاصة، ولكلّ مقدمات ارتباطاً خاصاً بمطلوبها، فكذلك فهم مسائل الإمامة والوصول إلى ادراك مثل هذه الأُصول في العقائد الّتي هي من غوامض أسرار المعارف الالهية الحقة، يجب أن يتوصل إليها عن طريقها الخاص بها ومن أهلها، وقد وردت بتوفيقات الله سبحانه في هذه الرسالة اشارة إلى بعض منها (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أمْراً.(**

**ينقل الجندي في بيان المقام الإدريسي الإلياسي للإنسان الكامل كلاماً ينقله عن ابن الفناري في الفصل الخامس من (مصباح الانس)، فبعد تقديم عدة أُصول في إمكان أن يكون شيء واحد مظهراً وظاهراً باعتبارين يقول: «فالإنسان**

الكامل مظهر له من حيث الاسم الجامع، ولذا كان له نصيب من شأن مولاه، فإذا تحقق بمظهرية الاسم الجامع كان التروّح من نصيب حقائقه اللازمة فيظهر في صور كثيرة من غير تقيد وانحصار فتصدق تلك الصور عليه وتتصادق لاتّحاد عينه كما تتعدّد لاختلاف صوره، ولذا قيل في إدريس انّه هو الياس المرسل إلى بعلبك، لا بمعنى أن العين خلع تلك الصورة وليس الصورة الإلياسية وإلاّ لكان قولا بالتناسخ بل إنّ هوية إدريس مع كونها قائمة في انيته وصورته في السماء الرابعة ظهرت وتعينت في إنية الياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدة ومن حيث التعين الشخصي اثنين كنحو جبرئيل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد من مائة ألف مكان بصور شتى كلّها قائمة بهم وكذلك أرواح الكمّل وأنفسهم كالحق المتجلي بصور تجليات لا تتناهى كما ذكره الجندي»(25.(

اذن فنتيجة الحديث أن أمر إدريس(عليه السلام) وبقية الله قائم آل محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) الّذي هو صاحب أعدل الأمزجة في عالم الإنسان الكامل بفضل الله سبحانه والمؤيد بروح القدس وجامع حقائق ورقائق ـ أسماء الله الحسنى هو وفق الموازين العقلية والعلمية، وان الاستبعاد والاستيحاش في مثل هذه المسائل هو من نصيب العوام الغافلين عن العالم الإنساني سواءً كانوا قد قالوا شيئاً من العلوم الطبيعية والمادية الرسمية أم لا.

**الأمر الثاني: واقعة النبيّ خالد:**

روى الصدوق في هذا الباب بإسناده عن معاوية بن عمار قال الصادق(عليه السلام): «بقي الناس بعد عيسى(عليه السلام) خمسين ومائتي سنة بلا حجة ظاهرة» وباسناد أُخرى روى عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله(عليه السلام): «كان بين عيسى(عليه السلام) ومحمّد صلوات الله عليه خمسمائة عام. منها مائتا وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر قلت: فما كانوا؟ قال: كانوا متمسكين بدين عيسى(عليه السلام) قلت: فما كانوا؟ قال :كانوا مؤمنين: ثم قال(عليه السلام) : ولا يكون الأرض إلاّ وفيها عالم.«

ان قيد «ظاهر» و «ظاهرة» في هذه الرواية هو انّه لا تخلو الأرض أبداً من حجة الهية وإن لم يكن ظاهراً كما قال في آخر الحديث الثاني «ولا تكون الأرض إلاّ وفيها عالم» وعن عليّ(عليه السلام) لكميل: «اللّهمّ انّك لا تُخلي الأرض من قائم بحجة امّا ظاهر أو خاف مغمور كيلا تبطل حججك وبيناتك.«

سنتعرض لحديث الإمام(عليه السلام) لكميل بالتفصيل فيما بعد، وفي الدعاء السابع والأربعين للإمام سيد الساجدين المعروف بدعاء عرفة يقول الإمام: «اللّهمّ انّك أيدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك مناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك والذريعة إلى رضوانك.«...

لدي نسخة من (المصباح الصغير) وهو خلاصة (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي(قدس سره) مما كتب في حاشيته

«والأنبياء الذين كانوا زمن الفترة بين عيسى(عليه السلام) ونبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) جرجيس(عليه السلام) من أهل فلسطين بعثه الله بعد المسيح(عليه السلام)إلى بلد الموصل، وخالد بن سنان العبسي من العرب بعد عيسى(عليه السلام (وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة بين عيسى ونبينا(صلى الله عليه وآله وسلم «(انتهى.

ومن الأنبياء الذين كانوا في الفترة بين المسيح(عليه السلام) ونبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) النبيّ شمعون الصفا وصيّ عيسى كما ذكر في الروايات، وقال المرحوم الصدوق في الباب الأوّل من (كمال الدين) في مقدمة الكتاب: «ومثل عيسى(عليه السلام) كان وصيه شمعون الصفا وكان نبياً... الخ»(26.(

وبعض الأنبياء المذكورين في زمن الفترة ورد ذكرهم في الدعاء المعروف (الاستفتاح) في عمل أم داود من أعمال شهر رجب نقله الطوسي في مصباح المتهجد:

»اللّهمّ صل على أبينا آدم بديع فطرتك... اللّهمّ صل على اُمّنا حواء المطهرة من الرجس... اللّهمّ صلّ على هابيل وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ولوط وشعيب وأيوب وموسى وهارون ويوشع وميشا والخضر وذي القرنين ويونس وإلياس واليسع وذي الكفل وطالوت وداود وسليمان وزكريا وشعيب ويحيى وتورخ ومتّى وأرميا وحبقوق ودانيال وعزير وعيسى وشمعون وجرجيس والحوارين والأتباع وخالد وحنظلة ولقمان، اللّهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين...» الخ.

ووجه تسمية الدعاء المذكور بدعاء أم داود ـ كما في عمدة الطالب ـ هو ان دواد هذا ابتلي بسجن المنصور الدوانيقي وتخلص من السجن ببركة هذا الدعاء الّذي علّمه الإمام الصادق(عليه السلام) إلى اُمّ داود فتخلص ابنها من السجن(27.(

من بين أنبياء زمن الفترة تحظى قصة النبيّ خالد(عليه السلام) بالعجب ويفتح منها لأهل السر باب من أسرار الإنسان الكامل المنعَّم بنعم حقائق الأسماء الالهية.

في روضة الكافي لثقة الإسلام الكليني وفي المجلد الخامس من البحار (النبوة) نقلا عن الكافي وقصص الأنبياء وكمال الدين والاحتجاج(28) وكذلك في الوافي(29) للفيض المقدس نقلا عن الكافي باب باسم (قصة خالد بن سنان العبسي(عليه السلام)) حيث شرح أحوال ذلك النبيّ بالتفصيل كما ان الشيخ الأكبر (ابن عربي) جعل الفص السادس والعشرين من (فصوص الحكم) باسم (الفص الخالدي) أو (الحكمة الصمدية في الكلمة الخالدية) ثم ختم كتابه بالفص المحمّدي وقد نقل الشرّاح (كالعارف الملا عبدالرزاق والعارف القيصري والجامي والبالي وعبدالغني النابلسي وغيرهم) قصة ذلك النبيّ وورد اختلاف بسيط في بعض التعابير مع الكتب الروائية الآنفة الذكر. وذكروا لطائف ثمينة

وقيّمة في شرح الفص المذكور في الأطوار الوجودية للإنسان الكامل، ونحن نكتفي بنقل قسم من كلام الشيخ فقط. قال:

»امّا حكمة خالد بن سنان فإنّه أظهر بدعواه النبوّة البرزخية فإنّه ما ادّعى الإخبار بما هنالك إلاّ بعد الموت فأمر أن ينبش عليه ويسأل فيخبر أن الحكم في البرزخ على صورة الحياة الدنيا، فيعلم بذلك صدق الرسل كلّهم فيما أُخبروا به في حياتهم الدنيا، فكان غرض خالد إيمان العالم كله بما جاءت به الرسل ليكون خالد رحمة للجميع، فإنّه شرف بقرب نبوته من نبوة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلم خالد أن الله أرسله رحمة للعالمين، ولم يكن خالد برسول فأراد أن يحصل من هذه الرحمة في الرسالة المحمّدية على حظّ وافر ولم يؤيد بالتبليغ، فأراد أن يحظى بذلك في البرزخ ليكون أقوى في العلم في حقّ الخلق، فأضاعه قومه ولم يصف النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قومه بأ نّهم ضاعوا وإنّما وصفهم بأ نّهم أضاعوا نبيّهم حيث لم يبلغوه مراده.«

يقول الشيخ البهائي(قدس سره) في الكشكول:

»أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن العزيز خمسة وعشرون نبيّاً: محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)، آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، يونس، داود، سليمان، إلياس، اليسع، زكريا، يحيى، عيسى، وكذا ذا الكفل عند كثير من المفسرين«(30.(

في دعاء أُم داود المشار إليه ورد ذكر كلّ هؤلاء الأنبياء الخمسة والعشرين، قال الله في كتابه:

)وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)(31)، وكذلك قال: (وَلَـقَدْ أَرْسَلْـنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْـهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْـهُمْ مَنْ لَمْ نَـقْصُصْ عَلَيْكَ)(32.(

وفصوص الحكم المذكورة إنّما هي 27 فصاً باسم 27 شخصاً، لم يذكر صاحبها من الـ (25 (نبيّ المذكورين في القرآن اليسع وذي الكفل فيكون قد ذكر 23 اسماً من الأنبياء الـ (25)الذين ذُكروا في القرآن اضافة إلى (4) أنبياء انفرد بذكرهم عن القرآن وهم شيث وعزير ولقمان وخالد.

ان للشيخ في تسمية الفصوص باسم كلّ واحد من أُولئك الأنبياء وفي ترتيب الفصوص غرضاً عرفانياً في المقامات الإنسانية النوعية الرفيعة في الأطوار والأدوار لا أن تكون ترجمة شخصية خاصة في كلّ فص، إذ يمكن أن يكون إنسان عيسوي المشرب أو موسوي المشرب وإن لم يكن حائزاً لرتبة النبوة التشريعية كما أن (بقية الله قائم آل محمّد ( أرواحنا فداه ليس حائزاً على درجة النبوة.

---

(1)نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

(2)أُصول الكافي: 136/1.

(3)نهج البلاغة: الخطبة 150.

(4)أُصول الكافي: 137/1.

(5)نهج البلاغة: الخطبة 152.

(6)شرح الفصوص القيصري: 11 ط 1.

(7)شرح الفصوص القيصري: 62.

(8)نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام) لكميل.

(9)الأحزاب: 4.

(10)نوح: 13 و14.

(11)الواقعة: 62.

(12)الإنسان الكامل لعزيز النسفي: 375 ط 1.

(13)ق: 15.

(14)النمل: 88.

(15)إبراهيم: 48.

(16)القصص: 88.

(17)البقرة: 25.

(18)عبس: 24.

(19)بستان السياحة: 539 ط حجرية.

. : (20)

(21)مريم: 58.

(22)الأنبياء: 86.

(23)الأنعام: 86 و87.

(24)الصافات: 124 - 133.

(25)مصباح الانس: 37 ط حجرية.

(26)كمال الدين:17 ط حجرية.

(27)عمدة الطالب: 178 ط النجف.

(28)البحار: 376/5 ط كمپاني.

(29)الوافي: 94/14.

(30)كشكول البهائي: 38 مطبعة نجم الدولة.

(31)النساء: 165.

(32)غافر: 79.

الباب السابع

الإنسان الكامل هو العقل المستفاد

الكمالات الفعلية للنفوس القدسية المكتفية متحققة بالفعل

)ز) ومثل هذا الإنسان هو عقل مستفاد: «إِنَّ ها هُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وَأَشَارَ إِلى صَدره) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً»(1.(

)وَكُلَّ شَيْء أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَام مُبِين)(2) . فهو واجد لجميع الحقائق الأسمائية وحائز على جميع المراتب الكمالية، لأن كلّ ماهو ممكن للباري تعالى والمفارقات النبوية بالإمكان العام فهو واجب لعدم وجود الحالة المنتظرة فيهم، فإن الحالة المنتظرة إنما توجد في شيء ذي إمكان استعدادي وهو من أحوال المادة. أما المفارقات النورية فهي تامة، وواجب الوجود فوق التمام (وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ.(

بناءً على هذا فمن جهة التجرد الروحاني للإنسان الكامل وكمال اعتداله الوجودي الّذي هو نفس مكتفية وكاملة بالفعل يجب أن تكون ـ بالفعل ـ المظهر التام لجميع الأسماء والصفات الإلهية، لأنّه حيث لا إمساك من ذلك الجانب وان النفس في كمال الاعتدال والاستواء من هذا الجانب، لهذا فالكمالات الإنسانية الممكنة للنفوس الناقصة تكون واجبة بالفعل بالنسبة للنفوس الكاملة.

هذه المنزلة الرفيعة للعقل المستفاد يسمى بالقلب في اصطلاح أرباب العقول، وكما يقول القيصري في شرح الفص الشعيبي من فصوص الحكم: «القلب يطلق على النفس الناطقة إذا كانت مشاهدة للمعاني الكليّة والجزئية متى شاءت وهذه المرتبة مسماة عند الحكماء بالعقل المستفاد.«

يقال لمثل هذا الشخص الإنسان، والإنسان الكامل، والمرآة الّتي تكشف العالم وتعكس الوجود، وأسماء كثيرة أُخرى.

وليس في الموجودات أعلم أو أعظم منه، فهو زبدة وخلاصة الموجودات، ويكون جميع عمال مصنع الوجود من الأعلى إلى الأسفل ومن الملائكة الكروبيين حتى القوى المنطبعة في الطبائع، ومن العقل الأولي حتى الهيولي الاولى خدمة له ويطوفون حوله.

اتحاد النفس وفناؤها في العقل الكلّ:

بما أن الإنسان الكامل هو العقل المستفاد فانّه يصدق عليه: «إذا شاؤا أن عُلّموا عُلِّموا (أو أُعلموا أو عَلموا) » ليس الارتباط بالعقل البسيط فحسب فهو العقل الكلّ بل متصل ومتحد معه، لا بل ان الاتحاد أيضاً من ضيق التعبير لانّ الموضوع أعلى من ذلك، وقد عُبّر عنه بالفناء من باب المسامحة، واللابد، ولكنه الفناء الّذي هو قرة عين العارفين.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل» والنكرة في سياق النفي تفيد العموم فتكون عبارة (لا يسعني) شاملة له(صلى الله عليه وآله وسلم) والحالة هذه، فتبصّر.

»وإنّما قال وقت ولم يقل مقام للفرق بين مرتبة الرسالة ومرتبة الولاية لأن دعوى الرسالة لا يلائم دعوى المقام هناك وإنما يلائم الدعوى الموقتية(3.(

فانّه مقام الشهود الدائم بخلاف الوقت، والفرق بين الوقت والمقام كالفرق بين الحال والملكية»(4.(

قال كشاف الحقائق الإمام بالحقّ الناطق صادق آل محمّد(عليه السلام): «لنا مع الله حالات هو نحن ونحن هو وهو هو ونحن نحن» وقال أيضاً: «ان روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»(5.(

»والإمام المبين في سورة يس هو الإمام عليّ(عليه السلام) فهو الإنسان الكامل.«

في المجالس بإسناده عن أبي الجارود عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر(عليه السلام (قال: لما نزلت هذه الآية: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قام رجلان من مجلسهما فقالا يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فالانجيل؟ قال: لا، قالا: فالقرآن؟ قال: لا، قيل: أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام)؟ فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): هذا الإمام الّذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء(6.(

من شأن كلّ شيء أن يكون معقول الإنسان، ومن شأن الإنسان أن يعقل كلّ شيء

ان من شأن كلّ موجود مادياً كان أو عارياً عن المادة وأحكامها أن يكون بذاته معلوماً ومعقولا للإنسان وكذلك للإنسان مثل هذه الشأنية والقابلية والاستعداد ـ وبافاضة محرج النفس القوة إلى الفعل ـ بأن يخرج من القوة إلى الفعلية ليكون

مصداق «أحصى الله فيه علم كلّ شيء» بل يكون كلّ الأشياء، كما ثبت بالبراهين القطعية للعقل والعاقل والمعقول والّذي هو العلم والعالم والمعلوم أو الإدراك والمدرِك(7 (والمدرَك نفس الحقيقة والهوية حسب الوجود لأن جامعية الإنسان الكامل الّذي «أحصى الله فيه علم كلّ شيء» يتمثل في لوح فؤاد كامل آخر.

فهي تظهر طبقاً لعرف الناس وعادتهم ولتقريب أذهانهم إلى الواقع على صورة قطيع الابل الممتد دون بداية أو نهاية ـ مثلا ـ حاملا لتلك الفضائل والمناقب كما أن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) رأى فضائل الوصيّ(عليه السلام) كذلك لكن رؤية النبيّ تمثلت في صقع نفس خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله وسلم) كما قال هو ليلة الاسراء: «مثل لي النبيون»، (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ ... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً)(8.(

كلّ الموجودات العينية بمثابة أعضاء، الإنسان الكامل وجوارحه

بما ان الإنسان ارتبط بالعقل البسيط بالنحو الّذي أُشير إليه، فانّ جميع شؤون العقل البسيط من أقصاه إلى أقصاه ومن سفلاه إلى علياه، ستكون بمنزلة أعضائه وجوارحه ويتصرف فيها جميعاً كتصرف النفس في الأعضاء والجوارح، وتكون كلّها مسخرة له.

فان السعيد الّذي صار عقلا مستفاداً قد استوفى جميع شؤون ما دون العقل كما إن صاحب مقام الولاية والإمامة يحب أن يكون حائزاً على جميع المعقولات كما نرى نحن المبصرات، وسمى بعض أرباب المعرفة ذلك المقام الشامخ بالفؤاد (مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأى)(9) فانّ للحقيقة الإنسانية في العالم الكبير والصغير مظاهر وأسماء مما تقال في الروح. وإن شئت قلت: إن الطبيعة يجب ان تستفيد من كلّ حقّ وحقيقة متصورة ومتحققة في طريق استكمالاتها الذاتية أي طريق سلوكها حتى الوصول إلى الغاية الجمعية لانّ الطبيعة ما لم تستوف كلّ حقّ من الحقوق الجمادية فانّ دخولها وورودها إلى أدنى درجة نباتية غير متصور، وكذلك من النباتية إلى الحيوانية إلى الإنسانية ثم إلى ما شاء الله، ومن هذا الحديث يتضح السر في أن الإنسان الكامل الخاتم هو الغاية في النظام الكلي الأعلى والجامع لجميع الحقائق العالية: (لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّة فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأرْضِ)(10.(

الطفرة محال مطلقاً:

وسبب الاستيفاء المذكور هو أن الطفرة محال مطلقاً سواء في الماديات أو في المعنويات. فما لم يتجاوز الشيء حدوده الجسمية والجمادية والنباتية لا يصل إلى أولى الدرجات العقلية، فالنقل من عالم الوجود المادّي للوصول إلى الوجود العقلي يتطلب النقل إلى عالم الحس أولا وبعده إلى عالم الخيال ومن ثم إلى عالم العقل. ومحال أن تصل النفس من

العقل الهيولاني إلى العقل بالفعل من دون أن تكون قد تخطّت وتجاوزت مرحلة العقل المستفاد من مرحلة العقل بالملكة ودون أن تقطع في أثناء سلكوها الاستكمالي مرحلة العقل بالفعل.

سبحان الله ان القوة المنطبعة في سلالة الطين تتحول بتجدّد الأمثال والحركة الجوهرية بإذن الله تعالى إلى إمام مبين فتكون نقطة باسم بذرة أكبر كتاب إلهي، واللوح المحفوظ لجميع حقائق الأسماء والصفات، وحبة صغيرة من شجرة طوبى الطيبة تكون فروعها جميع العوالم المادية والمعنوية (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ)(11(، )أ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أأَ نْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)(12.(

الباب الثامن

الإنسان الكامل ثمرة شجرة الوجود

وكمال العالم الكوني وغاية الحركة الوجودية والإيجادية

)ح) ومثل هذا الإنسان ثمرة لشجرة الوجود وكمال العالم الكوني وغاية للحركة الوجودية والإيجادية «نحن صنائع الله والناس (والخلق - خ ل) بعد صنائع لنا»(13) فالغاية القصوى من ايجاد العالم وتمامه وكماله هو خلق الإنسان، وغاية خلق الإنسان ووجوده وصول قوتي عقله النظري والعملي إلى الفعلية أي وصولهما من القوة إلى الفعل وإلى الكمال من النقص.

تفسير سورة «والعصر» عن الخواجة الطوسي:

للخواجة نصير الدين الطوسي بيان موجز ومفيد في تفسير سورة العصر المباركة يحسن نقله هنا وهو: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِوَالْعَصْرِ * إِنَّ الْاِنسَانَ لَفِي خُسْر) أي الاشتغال بالأمور الطبيعية والاستغراق بالنفوس البهيمية، ( إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا) أي الكاملين في القوة النظرية، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أي الكاملين في القوة العملية (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) أي الذين يكمّلون عقول الخلائق بالمعارف النظرية، (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) أي الذين يكمّلون أخلاق الخلائق ويهذّبونها.

ان العالم معمل عظيم لصناعة الإنسان فإذا لم ينتج مثل هذا الإنسان لزم العبث في الخلق، على ان خلق سائر المخلوقات متفرعة عليه.

كمال عالم الوجود وغرضه الإنسان

للشيخ الرئيس كلام في المبدأ والمعاد في بيان هذا الموضوع السامي يقول:

»كمال العالم الكوني أن يحدث منه إنسان وسائر الحيوانات والنباتات يحدث إمّا لأجله وإمّا لئلا تضيع المادة كما أن البنّاء يستعمل الخشب في غرضه فما فضل لا يضيعه بل يتخذه قسيّاً وخلالا وغير ذلك، وغاية كمال الإنسان أن يحصل لقوته النظرية العقل المستفاد ولقوته العملية العدالة وهاهنا يتختم الشرف في عالم المواد.«

والحاصل ان المقصود من الخلقة ينحصر في الإنسان الكامل وان خلق سائر الأكوان من الجمادات والنباتات والحيوانات إنّما هي في خدمته من جهة احتياجه في المعيشة والانتفاع بها.

وما لم تهمل المواد وتبدّد فهي تتحول إلى خالص وزبدة موادّ خلق الإنسان فانّ الحكمة الإلهية والرحمة الربانية تقتضي عدم ضياع أي حقّ من الحقوق بل ان كلّ مخلوق يصل إلى سعادته حسب استعداده وقابليته. كذلك فان للشيخ في آخر إلهيات الشفاء بياناً شافياً في هذا الغرض الأسنى حيث يقول:

»رؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ومجموعها العدالة وهي خارجة عن الفضيلة النظرية، ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير ربّاً إنسانياً وكاد أن تحل عبادته بعد الله تعالى وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه.«

الغرض: ان أشرف الموجودات وأعظم المخلوقات على حسب النوع هو الإنسان وبحسب الشخص فهو الفرد الكامل الّذي يكون كمال العالم الكوني وغاية الحركة الوجودية والإيجادية.

أقول: أمّا ان نعتقد بالسفسطائية الّتي تنكر الحقيقة والواقع، ولا يخفى على العاقل وهن هذا القول (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ)(14) والأدلة على رد مزاعمهم كثيرة جداً.

وأمّا أن نقول بوجود الواقع ونفس الأمر ولكنه ليس سوى المادة والطبيعة ولا وجود لشي فوق الطبيعة، وبديهي ان هذا القول هو الآخر تدحضه براهين تجرد النفس الناطقة والعلم ومعطى العلم الّذي هو مخرج النفوس من النقص إلى الكمال، ومن أن وعاء العلم موجود غير مادي، ووحدة الصنع و... و... و...، مما يكفي كلّ منها للرد على هذا الرأي أيضاً.

أو أن نقول ان الوجود لا ينحصر بالطبيعة وان هناك وجوداً لما فوق الطبيعة مما يعبر عنه بما وراء الطبيعة وما قبل الطبيعة أيضاً، وأن وحدة الصنع مثلا تدلّ على وحدة الصانع وان للعالم مبدأ، ولكن ننكر أن يكون له معاد بمعنى أن يكون الخلق بلا غرض وان هذا المعمل العظيم اللامتناهي والعجيب للوجود والّذي هو عبارة عن الحياة والعلم والإرادة والقدرة والأوصاف الجمالية والجلالية الأُخرى عبث في عبث وبديهي ان الشواهد دليل على رد مثل هذه الأساطير.

أو أن تعتبر الغاية والغرض وكمال العالم الكوني عناصر، والحال ان المعادن أفضل. وإذا كانت معادن فالنبات أفضل أو نبات فالحيوان أفضل أو حيوان فالإنسان أفضل ومن بين الناس يكون الّذي بلغت القوة النظرية والعملية فيه إلى الكمال هو الأفضل.

اذن لو أن العالم الكوني والنشأة العنصرية افتقد مثل هذا الإنسان دائماً فحريّ أن نعتبره بلا كمال كالشجر بلا ثمر، لهذا لا تخلو النشأة العنصرية (أي العالم الكوني (من الإنسان الكامل أبداً.

الحركة الوجودية والإيجابية

كانت هذه احدى المباني القويمة للحكيم في ان الإنسان الكامل هو غاية العالم الكوني والنشأة العنصرية، لكن في نظر العارف فان الحركة الوجودية والايجادية حسية مأخوذة من «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف.«

ان غاية الحركة الوجودية هي الكمال الحقيقي الحاصل للإنسان، أي ان الحركة الوجودية حركة استكمالية في أن يصل الإنسان إلى الكمال الحقيقي، فان الخلق ليس عبثاً وان كلّ نوع هو في طريق التكامل ويصل إلى كماله الممكن، وكذلك الإنسان فهو ليس مستثنى من هذا الإمكان، إذن فالوصول إلى الغاية الإنسانية ممكنة له، ولابدّ أن يبلغ المرحلة الفعلية ، وذلك البالغ إلى الفعلية هو الإنسان الكامل.

غاية الحركة الوجودية والإيجادية

وغاية الحركة الإيجادية ظهور الحقّ من المظهر التام المطلق الشامل لجميع جزئيات المظاهر وذلك هو الإنسان الكامل. وهذا الإطلاق للسعة الوجودية الحاوية لجميع الشؤون يقول عنها صائن الدين في (التمهيد) لهذا الأصل السديد والحكم الرشيد:

»غاية الحركة الإيجادية هو ظهور الحقّ في المظهر التام المطلق الشامل لجزئيات المظاهر والمراد بالإطلاق الّذي هو الغاية في الوصول هاهنا ليس هو الإطلاق الرسمي الاعتباري المقابل للتقييد بل الغاية هاهنا هو الإطلاق الذاتي الحقيقي الّذي نسبة التقييد وعدمه إليه على السوية إذ ذلك هو الشامل لهما شمول المطلق لجزئياته المقيدة»(15.(

وفي غاية الحركة الوجودية يقول في التمهيد أيضاً: «الغاية للحركة الوجودية هو الكمال الحقيقي الحاصل للإنسان» والمراد من المظهر التام في عبارة (ابن تركة صائن الدين) هو الإنسان الكامل.

اذن بحكم الحكيم وامضاء العارف يكون الإنسان الكامل هو كمال العالم الكوني وغاية الحركة الوجودية والايجادية.

وفي الحقيقة فمسلك هذا مسير ذاك ومبنى ذلك منهج هذا.

اذن نتيجة فصل الخطاب هذا هو أ نّه لا يخلو العالم الكوني (المعبر عنه أيضاً بالنشأة العنصرية) أبداً من الإنسان الكامل الّذي هو غاية وكمال العالم وحجة الله وخليفته، وما روي بشأن هذا البرهان الحكمي والعرفاني مستفيض من الفريقين وخارج عن حدود هذا البحث: «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة... أُولئك خلفاء الله في أرضه»(16).

ومن طرق العامة أخرج ابن عساكر عن خالد بن صفوان عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) قال» :لم تخل الأرض من قائم لله بحجة في عباده»(17).

الغرض من ايجاد الإنسان والسر المطلق للايجاد:

استناداً إلى تحقيق أهل الشهود أ نّى نزل سلطان الوجود كانت عساكر أسمائه وصفاته في معيته بل تحت راية عزته سبحانه وتعالى كما جاء في مصباح الانس: «أن كلّ شيء فيه الوجود ففيه الوجود مع لوازمه فكلّ شيء فيه كلّ شيء ظهر أثره أم لا»(18). وكذلك في مطلع «خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم» ورد: «أن لوازم الوجود موجود في كلّ ما له وجود إلاّ أنها ظاهرة الوجود في البعض وباطنة في الآخر»(19).

أقول: إذا كان رأي الأصحاب وفقاً لهذا الرأي السديد والقول الثقيل فنعم ما هو، ولا يبعد أن يكون قدماء الحكماء قد ساقوا حديثهم على هذا المحمل، ولكن المتأخرين أخذوا ظاهر قولهم واعترضوا عليه وأوردوا عليه الطعون كما أن نظائر ذلك كثيرة، والدخول في التفصيل يوجب التطويل والخروج عن موضوع الرسالة.

ان الأسماء الحسنى الخارجة عن حد الاحصاء هي تعينات الشؤون الإلهية وخصوصيات النسب العلمية والصور العينية له عزّوجلّ والعين ظاهرة والشأن باطنة، كما أن الحقّ بحسب العين الأحدي وبحسب الأسماء كثير، والكون في لسان صدق هذا الفريق هو الجمع بين ذينك الاثنين، والإنسان الكامل الجامع لآثار كلّ الأسماء هو الكون الجامع بين صفات القدم والحدثان أي البرزخ بين الوجوب والإمكان.

ان تجلّي الحقّ المتحقق بالكمال الذاتي متوقف على الظهور وان كان بحسب ذاته منزهاً عن الاستكمال بالمصالح والأغراض وغنياً عن العالمين، ومظهره الأتم هو لفظ الجلالة )الله) قبلة وقدوة جميع الأسماء وغاية الحركة الوجودية والايجادية وكمال العالم الكوني الطبيعي والمقصد النهائي لقوافل النشأة العنصرية، أعني الإنسان الكامل الّذي هو آخر المظاهر. ومن هنا يتضح الغرض وينكشف السر المذكور، فافهم.

ان الفيض الإلهي المنقسم إلى الأقدس والمقدس، والأخير يترتب على الأوّل والّذي هو عبارة عن التجلي الحبّي الذاتي

الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية كما قال هو نفسه «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف» والفيض المقدس عبارة عن التجليات الأسماءية الموجبة لظهور ما يقتضي استعدادات الأعيان الثابتة في الخارج، وبعبارة أُخرى: فان الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في الحضرة العلمية إنما تحصل بالفيض الأقدس، فيما يحصل بالفيض المقدس ما تقتضيه تلك الأعيان الثابتة في الخارج مع لوازمها وتوابعها، ولذا قيل في وجه تسمية الفيض بالأقدس انّه أقدس من جهة أنّ هذا الفيض غير مفيض أو أنه أقدس من شوائب الكثرة الأسمائية ونقائص الحقائق الإمكانية بخلاف الفيض المقدس، فافهم.

في اتحاد النفوس المكتفية بالنفس ، الرحمانية والعقل البسيط

اعلم انّه قد حقق في صحف أهل التحقيق أن الصادر الأوّل هو النفس الرحمانية، وذلك هو أصل الأُصول وهيولي العوالم اللامتناهية ومادة التعيينات، ويعبر عنه كذلك بالتجلي الساري والرقّ المنشور والنور المرشوش والوجود المنبسط. والصادر الأوّل هو الوجود العالم المفاض على أعيان المكوّنات ما وجد منها وما لم يوجد مما سبق العلم بوجوده، وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الّذي هو أوّل موجود، المسمّى أيضاً بالعقل الأوّل، وبين سائر الموجودات.

القلم الأعلى أو العقل الأوّل هو المخلوق الأوّل والّذي هو واحد من تعيّنات الصادر الأوّل ومظهر الاسم الشريف المدبر بل هو هكذا كما ورد في النفحات الإلهية:

»حقيقة القلم الأعلى المسمّى بالعقل الأوّل عبارة عن المعنى الجامع لمعاني التعيّنات الإمكانية الّتي قصد الحقّ افرازها من بين الممكنات الغير المتناهية ونقشها على ظاهر صفحة النور الوجودي بالحركة العينية الإرادية وبموجب الحكم العلمي الذاتي»(20.)

فأوّل ما خلق الله القلم وأوّل ما خلق الله العقل (الخلق بمعنى التقدير) ففي مصباح الفيومي: «الخلق التقدير يقال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرت له.«

يقول الزمخشري في الأساس: «خلق الخرّاز الأديم والخياط الثوب قدّره قبل القطع.«

ويقال للنفس الرحمانية بالحقيقة المحمّدية أيضاً لأ نّها نفس أعدل الأمزجة وهي النفس المكتفية وتعادل حسب الصادر الأوّل حسب الصعود وارتقاء الدرجات واعتلاء المقامات وان كانت من حيث بدء التكون والحدوث جسمانية كالنفوس العنصرية الأُخرى، بل وأكثر من العدل المذكور فهو يحصل له اتحاد وجودي مع الوجود المنبسط وتصبح في هذا المقام

جميع الكلمات شؤونا حقيقية.

ان للشيخ العارف ابن عربي في الباب 198 من (الفتوحات المكية) كلاماً مشهوراً في معرفة )النفس) بفتح الفاء وأسراره، وخلاصته: «الموجودات هي كلمات الله الّتي لا تنفد كما في قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي)(21) وقال تعالى في حقّ عيسى: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ )(22) وهو عيسى، فلهذا قلنا إن الموجودات كلمات الله - إلى أن قال: - وجعل النطق في الإنسان على أتم الوجوه، فجعل ثمانية وعشرين مقطعاً للنفس يظهر في كلّ مقطع حرفاً معيناً هو غير الآخر، ماهو عينه مع كونه ليس غير النفس. فالعين واحدة من حيث أنها نفس، وكثيرة من حيث المقاطع.«

هذه النفس الّتي هي وجود منبسط بما أنها أصل جميع التعينات والكلمات الوجودية يقال له من جهة كونها الأصل و (الفاعل) (ربّ الأكوان) كما هو عند أهل التحقيق، أو عالم الإمكان بلحاظ كونه هيولي التعيّنات الوجودية وهي قابلة ولما كانت النفس المكتفية في قوس الصعود قابلة للاتحاد الوجودي معه فقد اتصفت بأوصافه فصارت من الناحية الفاعلية أب الأكوان ومن الناحية القابلية أُم عالم الأكوان وهكذا في الأوصاف الكمالية الأُخرى. واعلم أيضاً أن المراد من سريان الولاية الّذي يدور على ألسنة أهل التحقيق هو نفس سريان الوجود المنبسط والنفس الرحمانية والفيض المقدس كما قالوا: ان وجود وحياة جميع الموجودات بمقتضى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْء حَيٍّ)(23) إنما هو بسريان ماء الولاية أي النفس الرحمانية الّتي هي بمنزلة الهيولي وبمثابة المادة السارية في جميع الموجودات.

ويقال للنفس الرحمانية هذه: الحقيقة الإنسانية أيضاً، فقد اعتبروا العالم صورة الحقيقة الإنسانية كما قال العلاّمة القيصري في الفصل الثامن من مقدمات شرح فصوص الحكم: «العالم هو صورة الحقيقة الإنسانية.«

وللوصول إلى هذا المطلب السامي ينبغي الاستمداد من مبحث اتحاد النفس مع العقل البسيط المبرهن عليه في الحكمة المتعالية: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَوَاءَ السَّبِيلِ.(

فمن هذا البحث في علم الإنسان الكامل (وَكُلَّ شَيْء أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَام مُبِين)(24) (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا)(25) وفي ضبط واحاطة جميع الحضرات في اصطلاح أهل التحقيق وفي تبيينه حقائق الأسماء ومن تصرفه في مادة الكائنات حيث تغدو جميع الموجودات العينية بمنزلة أعضائه وجوارحه وان التأثير في العالم السفلي لا يتحقق من دون التأييد من العالم العلوي بحيث يستطيع الإنسان الواجد للعالم العلوي من التأثير في السفلي... ومن كلّ ما مرّ ينبغي الحصول على الوعي ومعرفة الإنسان الكامل.

يعلم من سرّ النفس الرحمانية ان الكلام ليس زائداً على ذات المتكلم كما ان الكلمات الوجودية كلها تعيّنات النفس

الرحمانية وان للنفس المؤيدة المكتفية في مقام الارتقاء الوجودي بالنفس الرحمانية مرتبة فوق الخلافة الكبرى.

»إذا شاء الحقّ تعالى بسابق عنايته أن يطلع من اختاره من عبيده على حقائق الأشياء على نحو تعيّنها في علمه جذبه إليه بمعراج روحاني فيشاهد انسلاخ نفسه عن بدنه وترقّيه في مراتب العقول والنفوس متحداً بكلّ عقل ونفس طبقة بعد طبقة اتحاداً يفيده الانسلاخ عن جملة من أحكامه الجزئية وأحكامه الإمكانية في كلّ مقام حتى يتّحد بالنفس الكلية، ثم بالعقل الأوّل إن كمل معراجه، فيظهر جميع لوازم ماهيته من حيث إمكاناتها النسبية ما عدا حكماً واحداً هو معقولية كونه في نفسه ممكناً في العقل الأوّل فتثبت المناسبة بينه وبين ربّه، ويحصل القرب الّذي هو أول درجات الوصول ويصح له الأخذ عن الله بدون واسطة كما في شأن العقل الأوّل، وللإنسان أن يجمع بين الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة العقول والنفوس بموجب حكم إمكانه الباقي وبين الأخذ عن الله تعالى بلا واسطة بحكم وجوبه فيحل مقام الإنسانية الحقيقية الّتي فوق الخلافة الكبرى، هذا ما أبانه الصدر القونوي في الهادية.«

وكذلك نتبرك بنقل عدة جمل من الكلمات المكنونة لصدر المتألهين، يقول في كتاب المفاتيح: (إن الإنسان الكامل حقيقةً واحدة وله أطوار ومقامات ودرجات كثيرة في القيود وله بحسب كلّ طور ومقام اسم خاصّ.«

ويقول في موضع آخر:

»النفس الإنسانية من شأنها أن تبلغ إلى درجة يكون جميع الموجودات أجزاء ذاتها وتكون قوتها سارية في الجميع ويكون وجودها غاية الكون والخليقة.«

ويقول في موضع آخر: «واعلم ان الباري تعالى وحداني الذات في أول الأولين وخليفة الله مرآتي الذات في آخر الآخرين (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)(26). فالله سبحانه ربّ الأرض والسماء وخليفة الله مرآة يظهر فيها الأسماء ويرى بها صور جميع الأشياء.«

وبالجملة: فإن أهل التحقيق، واستناداً إلى الوحدة الشخصية للوجود، يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن مراتب جميع الموجودات في قوس النزول هي من تعيّنات النفس الرحمانية وحقيقة الولاية، وان لحقيقة النفس الإنسانية في قوس الصعود جميع المظاهر، وهي جامعة لجميع المراتب، اذن فجميع حقائقها العقائدية ورقائقها البرزخية الّتي يعبر عنها تارةً بالعقل وأحياناً بالشجرة وأُخرى بالكتاب المسطور وبعبارات وأسامي مختلفة، أ نّها جميعاً نفس حقيقة الإنسان الكامل والّتي تحصل حسب كلّ درجة من درجاتها ـ على تعيّن خاص واسم مخصوص. ومن هذه الجهة جاز لحقيقة الإنسان الكامل أن يسند آثار جميع تلك التعيّنات إلى حقيقته، كما ورد في الخطبة المنسوبة لأميرالمؤمنين وسيد الموحّدين: «أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا صاحب الصور، أنا ذلك النور الّذي

اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المُبتلى وشافيه» إلى غير ذلك من الأخبار والآثار.

وفي هذا الموضوع فانّ الفصل الثامن من مقدمات العلاّمة القيصري على شرح فصوص الحكم مطلوب. وقول الإمام «أنا آدم الأوّل... الخ» من هذا الباب الّذي بيّنه العلاّمة القيصري في أول شرح فص الإسحاقي من فصوص الحكم هو ان:

»العارف المطلع على مقامه هو على بينة من ربّه يخبر عن الأمر كما هو عليه كإخبار الرسل عن كونهم رسلا وأنبياء لا أ نّهم ظاهرون بأنفسهم، مفتخرون بما يخبرون عنه»(27.(

والتبصرة في هذا المرصد الأسنى يجب أن يأخذ هذا الأصل الرصين في الإنسان الكامل بنظر الاعتبار، كما قال المرحوم المتألّه السبزواري في تعليقة الأسفار:

»وقد قرّر أن العقول الكلية لا حالة منتظرة لها فكيف يتحول الروح النبوي الختمي(صلى الله عليه وآله وسلم) من مقام إلى مقام؟ فالجواب: أنّ مصحيح التحولات هو المادة البدنية، ففرق بين العقل الفعّال الّذي لم يصادف الوجود الطبيعي وبين الفعّال المصادف له، فالأوّل له مقام معلوم، والثاني يتخطى إلى ما شاء الله كما قال(صلى الله عليه وآله وسلم):(لي مع الله ... الحديث)، فما دام البدن باقياً كان التحول جائزاً... انتهى»(28.(

أقول: ماورد من ان:

»أنّ الأئمة(عليهم السلام) يزدادون في ليلة الجمعة» ولولا أنّ الأئمة(عليهم السلام (يزدادون لنفد ما عندهم» وما في كتاب الحجة أُصول الكافي يجب أن يتبين من خلال التدقيق في هذا الأصل ونحوه.

الباب التاسع

الإنسان الكامل مؤيد بروح القدس والروح

)ط) وهكذا يكون الإنسان مؤيّداً بروح القدس والروح (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ)(29.(

)نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ)(30)«أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.«

للروح كما للعقل والنفس «كونها مشتركة لفظياً» اطلاقات متعددة ابتداءً من الروح البخارية الّتي هي جسم لطيف سيال فتكون من أبخرة وصفوة ولطافة الأخلاط الأربعة، إلى الروح الحيوانية والطبيعية والنفسانية، وانتهاءً بروح القدس، والروح من أمره تعالى.

يستفاد من روايات الأئمة الأطهار(عليهم السلام) أن الروح(عليه السلام) هو أعظم الأرواح والمحيط بها. والأرواح هي مظاهر الاسم الشريف (الرب) لأن جميع مظاهر الحقّ تعالى مربوبة لله تعالى بهذه الأرواح. وترتقي النفس القدسية للإنسان الكامل من شدّة اعتدال المزاج بحسب الصعود إلى روح القدس لتتصل به، بل هو ـ كما أُشير إليه ـ فوق الوضع والمحاذاة والارتباط والاتصال والاتحاد، وقد عبّر عنه بالفناء لعدم وجود لفظة تناسب ذلك المعنى المقصود.

مثل هذا الشخص ونتيجة لكثرة حدّية ذهنه وشدة ذكائه وصفاء روحه يتحول بحكم: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى)(31) وبلا واسطة معلم بشري، إلى الكمال المطلق المؤيّد بروح القدس والروح.

فكما أ نّه غني عن التعلّم البشري فكذلك هو أبعد من الفكر البشري. فقوّة حدسه ـ كماً وكيفاً ـ من القوة بحيث يستغني عن التفكير والتأمل. والحدس هو الانتقال الدفعي من دون ترو، بل ان الحديث أبعد من هذا.

الفكر والحدس:

الفكر في مقابل الحدس نظري، لضعف النفس ووهن العقل، لأن الفكر حركة دورية من المراد الإجمالي للمبادئ ثم الوصول من هذه المبادئ بلحاظ الترتيب والأوضاع الخاصة إلى نفس المراد فيكون الأمر الأوّل هو نفس الأمر الأخير، والفرق في الاجمال والابهام في الأوّل، والتفصيل والبيان في الأخير. أما المؤيّد بروح القدس فهو مستغن عن هذا العناء وهذه الحركة الفكرية. والخلاصة ما قاله المير سيد شريف في رسالة المنطق الكبرى «ان ميزة الإنسان عن سائر الحيوانات هي أنه يمكنه الحصول على المجهولات عن طريق النظر والفكر وبالتالي يستطيع الحصول على المعلومات التصورية والتصديقية على الوجه الصحيح متى أراد أمّا أُولئك المؤيدون من عند الله بالنفوس القدسية فهم لا يحتاجون في معرفة الأشياء والعلم بها إلى فكر ونظر.»

ان النسبة بين الفكر والحدس عن طريق النظر وبين الاستدلال كالنسبة بين السلوك والجذبة في غير الطريق المذكور، والّذي هو طريق أهل الكشف والعرفان.

اثبات روح القدس:

بل ان مثل هذا الشخص ولأن الحقّ يكون عينه الّتي يرى وإذنه الّتي بها يسمع وعين جوارحه وقواه الروحية والجسمية، فان تصرفه الفعلي أيضاً يكون كالحدس والجذبة الروحية حتى يصير قوله وفعله واحداً، ولا يحتاج إلى الامتداد الزماني في حركاته وانتقالاته، بل يصير محلا لمشيئة الله ومظهراً لـ (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(32) حيث يتحد عندها القول والفعل بل في إطلاق الزمان لا يصح أيضاً إلاّ من باب المسامحة في التعبير (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَ نَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)(33).

وهذا الّذي صار فعله في ظرف الزمان كالحدس وجذبة الحكيم والعارف في صقع النفس، فكيف ستكون تصوراته وأفكاره في الحدس والجذبة والإرادة والمشيئة.

الشيخ الرئيس في الفصل 12 من النمط الثالث للإشارات في اثبات وجود القوة القدسية ابتدأ بالغبي وصولا للغني، الّذي هو الغني عن التعلم والتفكير (تنبيه: ولعلك تشتهي زيادة دلالة على القوة القدسية وإمكان وجودها ... الخ) وهكذا في الشفاء وفي عدة من كتبه ورسائله الأُخرى.

وهكذا بحث الحكماء والإلهيون منذ قديم الزمان في اثبات القوة القدسية وامكان وجودها في الصحف القيمة للحكمة المتعالية، فزيتون الكبير تلميذ أرسطو تحدث في اثبات القوة القدسية في رسالة النبوة الّتي قررها وحررها الفارابي وطبعت مع بقية رسائله في حيدرآباد الهند. والفارابي نفسه في رسالة الفصوص(34)والفخر الرازي في ج 1 ص 353 من )المباحث المشرقية) والشيخ الأكبر محي الدين في «الفصوص» و «الفتوحات» والمير في »القبسات» والسهروردي في «حكمة الاشراق» وصدر المتألهين في «مفاتح الغيب» و «شرح أُصول الكافي» و في «الأسفار» (الفصل 19 المسلك الخامس في اتحاد العاقل والمعقول)(35) وهكذا بقية أساطين الفن.

في النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) والوصيّ(عليه السلام (خمس أرواح:

ولأئمتنا الأطهار(عليه السلام) والّذين هم قدوة وأُسوة الحكماء الإلهيين كلمات وإشارات في روح القدس وخصائص نائلها. ففي الكتاب الموثوق (الكافي) للكليني باسناده» :عن جابر عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثم قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحَدثان، إلاّ روح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب.«

وكذلك روى بإسناده: «عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره. فقال: يا مفضّل إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة أرواح: روح الحياة، فبه دبّ ودرج، وروح القوّة، فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان، فبه آمن وعدل، وروح القدس، فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به.«

ان المقصود من هذه الأرواح ليس الأرواح المتعددة المتمايزة عن الأُخرى لأ نّه (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُل مِنْ قَلْبَيْنِ فِي

جَوْفِهِ) بل ان هذه الأرواح شعب وفروع وشؤون حقيقة واحدة ممتدة أحد طرفيها في النشأة العنصرية فيما يمتد طرفها الآخر إلى بطنان العرش «ان لكلّ بدن نفساً واحدة... الخ»(36.(

والبحث الأساس هو: «بروح القدس عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، وروح القدس لا يلهو ولا يلعب ولا ينام ولا يغفل ولا يزهو». ولأوصاف روح القدس هذه (المعروفة بمقام الإنسان الكامل وعلاماته) أهمية قصوى.

مراتب الناس من الغبي إلى الغني

يقول الشيخ الرئيس في الفصل المذكور في اثبات القوة القدسية وإمكان وجودها: «تنبيه :ولعلك تشتهي زيادة دلالة على القوة القدسية وامكان وجودها فاسمع اذن: ألا تعلم بوجود الحدس وإن للإنسان فيه وفي الفكر مراتب، فبعض غبي لا يفكر بشيء، وبعض ذكي إلى درجة ويمتع بالفكر. وبعض حاد الذكاء ويقال عنه انّه يحظى بالحدس؟! وليست حدة الذكاء واحدة في الجميع بل هي قليلة عند بعض، وكثيرة عند بعض، فهو ينتهي عند البعض إلى انعدام الحدس كما انّه قد ينتهي بزيادته عند البعض إلى الغني. حيث يستغني صاحبها غالباً عن الحاجة إلى التعلم والفكر.«

هذا الفصل مصدر بكلمة (إشارة) في النسخ المطبوعة غير انّه صحح إلى كلمة (تنبيه (طبقاً لعدة نسخ مخطوطة فإن الشيخ يصدر كلّ حكم يحتاج اثباته إلى برهان بكلمة )إشارة) ويصدر كلّ فصل يكتفي في اثبات حكمه بتجريد الموضوع والمحمول من اللاحق والنظر إلى البراهين السابقة بكلمة (تنبيه.(

وحسن صنيع الشيخ هو أ نّه شرع بالغبي وانتهى بالغني فيكون (الأوّل) مخدوعاً وليس له حظ من الفكر، ويكون (الأخير) على مستوى من الثقافة وحدة الذهن بحيث يكون مؤيداً بروح القدس وغنياً عن التعلم والفكر. وبين هذا وذاك مراتب، فشخص على درجة كبيرة من الغباء في حركة الفكر بحيث يستوجب اعادة موضوع ما له مراراً وضرب الأمثلة المختلفة له حتى يستطيع أن يفهم شيئاً بسيطاً منه فالغبي بحاجة لكي يفهم إلى التكرار والتمثيل والمطالعة وكثرة التفكير والمساعدات الفكرية، في حين لا يحتاج الآخر إلى التمثيل ولا إلى التكرار والأكثر من ذلك انّه ليس بحاجة لأن يسمع كلّ الموضوع الّذي يريده المتكلم، بل بمجرد أن يفتح المتكلم فاه، يفهم الغني ماذا يريد المتكلم قوله إلى النهاية. اذن فهذا الأخير مستغن عن كثير مما يحتاجه الآخرون لإدراك الموضوعات وهضم المطالب.

يقول الشيخ الرئيس في المباحثات: «الحدس هو فيض إلهي واتصال عقلي يكون بلا كسب البتة، وقد يبلغ بعضهم مبلغاً يكاد يستغني عن الفكر في أكثر ما يعلم وتكون له قوّة النفس القدسية، إذا شرفت النفس واكتسبت القوة الفاضلة وفارقت البدن كان نيلها ما ينال هناك عند زوال الشواغل أسرع من نيل الحدس فتمثّل لها العالم العقلي على ترتيب

حدود القضايا والمعقولات الذاتي دون الزماني ويكون ذلك دفعة وإنما الحاجة إلى الفكر لكدر النفس أو قلّة ثمرتها وعجزها عن نيل الفيض الإلهي» انتهى كلامه ملخصاً.

لا يخفى أن تعبير الاتصال العقلي (كما جاء في المباحثات والشفاء والإشارات) انّما هو بناءً على ممشى المشاء، وهو في الحقيقة اتحاد عقلي بل ان (الاتحاد) استعمل نتيجة قلة الألفاظ وعدم اسعافها المطلوب.

والاتحاد فناء النفس الناطقة في العالم القدسي، يقول الشيخ الرئيس في آخر الفصل السادس المقالة الخامسة من (الشفاء) نفسه وبعد تمهيده لمطالب معينة: «فجائز أن يقع للإنسان بنفسه الحدس وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا تعلم... الخ»(37.)

ان الحديث السابع والعشرين من كتاب العقل في كتاب الكافي للكليني مناسب جداً في هذا المجال وهو:

»باسناده عن إسحاق بن عمّار قال قلت لأبي عبدالله(عليه السلام) الرجل آتيه وأُكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه، ومنهم من آتيه فأُكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ثم يرده عليَّ كما كلّمته، ومنهم من آتيه فأكلمه فيقول: أعد عليَّ. فقال: يا إسحاق وما تدري لِمَ هذا؟ قلت: لا. قال: الّذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عُجنت نطفته بعقله، وأمّا الّذي تكلّمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الّذي ركّب عقله فيه في بطن أُمه، وأما الّذي تكلّمه بالكلام فيقول أعد عليَّ فذاك الّذي ركّب عقله فيه بعد ما كبر فهو يقول لك أعد عليَّ.«

والأقوى من ذلك الأخير والغني عن كثير من الاحتياجات يستطيع أن يمنح حدسه الثاقب انتقالة دفعية، والأقوى منه يستطيع أن يكون عالماً دون معلم بشري بل (عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى) و (عَلَّمَ الْاِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)و (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ* خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ. )

مثل هذا الشخص غني عن كلّ تلك الوسائط، هذا هو البيان الاجمالي في مراتب الفهم والادراك البشري من الغبي حتى الغني.

فهذا الغني هو صاحب الروح المقدسة والمؤيد بروح القدس، وقد ساق جُلّ الحكماء الشامخين والعرفاء الكاملين أدلّة في اثبات الإنسان الكامل بالبرهين والشهود العرفانية أيضاً ـ ولأهل البيت(عليهم السلام) ـ أيضاً عدة روايات تعضد برهان ووجدان أولئك العظماء وتؤيد أحكامهم العقلية وشهودهم العرفانية.

للعالم المادي امكان استعدادي، وأن الموجود المادي إذا أراد أن يبلغ كماله أمكنه ذلك بالتدريج، وانتقل من المرتبة النازلة صوب المرتبة الكاملة أي من النقص إلى الكمال ومن القوة المحضة إلى الكمال المطلق. وهذا الّذي نراه من احرازه القابليات انّما هو اكتساب للفيض حسب استعداده، ومحال أن يظل المستعد القابل بالفعل محروماً، ولا وجود

لأي امساك على الإطلاق من جهة المفيض، وليس في افاضته حالة الانتظار أبداً، وإلاّ لما كان تاماً في عليّته الذاتية وفعلية محضة في كمالاته الوجودية، والحال ان واجب الوجود بالذات من جميع الجهات، اذن ففيضه فائض دوماً، وما هو بالإمكان العام للممكن فهو وجوب وفعلية محضة في مقام واجب الوجود بالذات. ولو اتفق ان القابل لم يكن تاماً في استعداده وقابليته لتقبل الحقائق والعلوم والمعارف فإنه لن تكون لديه حالة الانتظار أبداً.

بناءً على هذا فإن صاحب الروح القدسية والمؤيد بروح القدس والّذي هو الغني مقابل الغبي، له محل القابل الكامل في القبول. ولهذا فإن مثل هذه الروح ينبغي أن تكون المظهر والمصداق التام للأسماء التعليمية والتكوينية لـ «علّم آدم الأسماء كلّها «وهو التام في الفاعلية والقابلية على السواء.

## الباب العاشر

## الإنسان الكامل موضع مشيئة الله

)ي) وهكذا يكون الإنسان الكامل موضع مشيئة الله بل ان مقام الإنسان الكامل أساساً مقام ومحل مشيئة الله. والآية الكريمة: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(38) والآيات الأُخرى المشابهة في المشيئة صادقة عليه. وان مظهر المشيئة والاختيار الإلهي هذا هو صاحب الولاية الكلية الحائز على رقائق صفات الحقّ تعالى وهو محل ظهور تجلّي جميع الأوصاف الكمالية الإلهية.

## تصرّف النفوس الكاملة للأعيان الخارجية

اذن وجود الإنسان الكامل هو ظرف لجميع الحقائق وخزائن أسماء الله، وهذه الأسماء هي أعيان الحقائق النورية للوجود، لا أسماء لفظية.

لا شك أن لصاحب هذا المقام الولاية التكوينية وهي امتلاكه مفاتيح الغيب أي أن نفس الحقائق النورية بيده ويستطيع بإذن الله ومشيئته أن يتصرف في الكائنات، بل وأن ينشئ ويوجد في الوعاء الخارج من بدنه، وأن تكون الموجودات الخارجية بمثابة أعضائه ويكون هو بمثابة روحها، لأن النفس الناطقة الإنسانية المجردة قائمة بذاتها وخارجة عن البدن والمحيط ومستولية على ذلك ولها التصرف في البدن والتعلق التدبيري فيه.

بناءً على هذا: ما هو الفرق بأن يتصرف في بدنه هو أو في الأعيان الخارجة الأُخرى .وان المعاجز والكرامات وكلّ خوارق العادات للأفراد الكمّل إنّما هي من هذه الجهة .وبما ان الأسماء حقائق والقرآن هو بيان الحقائق وان كلا كتابي

الله التكويني والتدويني متقارنان، فهذا حاك وذاك بيان، لهذا فالإنسان الكامل هو وعاء لحقائق القرآن وهو كلام الله الناطق.

لقد ثبت في الحكمة المتعالية ان شيئية الشيء بالصورة لا بالمادة. وعن الإمام الصادق(عليه السلام) الّذي تعتبر كلماته وأحاديثه كاشفة لرموز الأنبياء والأولياء وإشارات الحكماء والعرفاء، رواية تقول: «ان حقيقة الشيء بصورته لا بمادّته»(39 (وشأن جميع الموجودات هو هذا، بأن تكون معقول الإنسان، وللإنسان أيضاً هذه الشأنية بأن يكون عاقلها، والعقل والعاقل والمعقول بحسب الوجود حقيقة نورية واحدة.

اذن فبوسع الإنسان المؤيّد أن يكون المعقولات بالفعل، ويغدو خزانة الحقائق والمعارف النورية ومعهداً لأنواع العلوم السبحانية، فيكون هو العالم العقلي المضاهي للعالم العيني.

ان الإنسان الكامل والّذي هو إمام قافلة النوع البشري متّصف بهذه الأنوار الملكوتية، وهو مصباح وسراج منير تستمدّ منه الأرواح المستعدة الأُخرى.

من الكلمات القصار للشيخ(قدس سره) في المعاد في كتاب الشفاء قوله:

»إنّ النفس الناطقة كمالها الخاصّ بها أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكلّ والنظام المعقول في الكلّ، والخير الفائض في الكلّ مبتدئة من مبدأ الكل، سالكة إلى الجوهر الشريفة الروحانية المطلقة، ثم الروحانية المتعلقة نوعاً ما من التعلق بالأبدان، ثم أجسام العلوية بهيئاتها وقواها، ثم كذلك حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كلّه فتنقلب عالماً معقولا موازياً للعالم الموجود كله مشاهدة لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحقّ المطلق ومتحدة به ومنتقشة بمثاله وهيأته ومنخرطة في سلكه وصائرة من جوهرة، وإذا قيس هذا بالكمالات المعشوقة الّتي للقوى الأُخرى وجد في المرتبة بحيث يقبح معها أن يقال إنّه أفضل وأتم منها بل لا نسبة لها إليه بوجه من الوجوه فضيلة وتماماً وكثرة.«

بل ان الإنسان اضافة إلى مضاهاة العالم العقلي للعالم العيني، يصبح صاحب الولاية الكلية، وتكون جميع العوالم بمنزلة أعضائه وجوارحه «فيتصرف فيها كيف يشاء» لان السعة الوجودية والعظمة الروحية للأولياء الإلهيين المؤيد بروح القدس أوسع وأعظم من جميع ما سوى الله تعالى.

نهديكم عدة أحاديث وقصص عن آثار ومآثر عن بعض النوابغ لتكسر سورة جحود هذا الفريق الّذي لم نسمع عنه سوى الاستيحاش من مثل هذه الموضوعات:

حديث الجوزجاني حول أُستاذه ابن سينا:

يقول أبو عبيدة الجوزجاني وهو أحد تلامذة الشيخ في أول مدخل منطق الشفاء: ان الشيخ كتب طبيعيات وإلهيات الشفاء (باستثناء الحيوان والنبات) في مدة عشرين يوماً فقط بالاعتماد على طبعه دون أن يكون ثمة كتاب لديه: »فصادفت منه خلوة وفراغاً اغتنمته وأخذته بتميم كتاب الشفاء وأقبل هو بنفسه ـ يعني الشيخ الرئيس ـ على تصنيفه اقبالا بجدّ، وفرغ من الطبيعيات والإلهيات خلا كتابي الحيوان والنبات في مدّة عشرين يوماً من غير رجوع إلى كتاب يحضره وإنما اعتمد طبعه فقط... الخ.«

يقول النظامي في أوائل «ليلى والمجنون» في مدة نظم الكتاب: إن هذه الأربعة آلاف بيت ـ نظمت في أقل من أربعة أشهر، لو حرمت على نفسي الأعمال الأخرى ـ لتمّت في أربع عشرة ليلة.

وكتب سعدي ثمانية أبواب من «گلستان» في أقل من فصل واحد، كما ورد في ديباجته في تاريخ شروعه «لقد تكلمنا بحكم الضرورة وخرجنا للنزهة في فصل الربيع بعد سكون صولة البرد ووصول دولة الورد، وقد بقيت من ورود البستان وردة على اكمال كتاب «گلستان.«

العارف الشبستري محمود بن عبدالكريم بن يحيى المتوفى حوالي 732 هـ ق (عن 33 سنة على المشهور) اشتهر انّه نظر في غاية الاختصار (گلشن راز) في الثامنة عشرة في جواب 19 سؤالا للعارف الخراساني الكبير الأمير حسين الهروي في عام 717 هـ ثم أضاف على كلّ بيت أبياتاً فصار مجموعها 992 بيتاً.

واستطاع الصفي أن ينظم القرآن الكريم في فترة عامين، كما أشار إلى ذلك في نهاية منظومته.

وأما المير داماد فقد شرع في كتابه «القبسات» في ربيع الأوّل عام 1304 هـ يوم ميلاد النبيّ الأكرم وانتهى منه في السادس من شعبان من نفس السنة كما أشار لذلك أيضاً في الخاتمة «ولقد نجز بحمد الله سبحانه وتنجّز الفراغ منه هريعاً من ليلة الأربعاء لست مضين من شهر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) شعبان المعظم عام 1340 من هجرته المباركة القدسية ، وقد كان الأخذ فيه يوم ميلاده(عليه السلام) في شهر ربيع الأوّل من هذا العام.«

لعل البعض يندهش كيف ان هذه المؤلفات والآثار العلمية الثمينة لقد ألفت في تلك الفترة القصيرة.

فهذا ابن النديم نقل (240) كتاباً ورسالة من تأليفات الفيلسوف العربي ابن إسحاق الكندي في فنون علوم الفلسفة والمنطق والهندسة والموسيقى والنجوم والفلك والطب والجدل والنفس والسياسة والمعادن والحيوانات وغيرها.

وللشيخ الرئيس مؤلفات كثيرة في أنواع العلوم ومنها (الشفاء) و (القانون) و (النجاة (و (الإشارات) في حين أنّ (الشفاء) لوحده دائرة كاملة، ويعجز علماء عصرنا عن الاتيان بكتاب مثل المنطق ـ منه ـ فقط، بل اننا لا نعرف اليوم من يستطيع تدريس دورة الشفاء من الرياضيات بأنواعها والمنطقيات والطبيعيات والحيوان والنبات والالهيات

وغيرها.

أمّا الخواجة الطوسي فقد ألّف (113) كتاباً ورسالةً في اختصاصات مختلفة والّتي من جملتها (تحرير محسبطي بطليموس واكرمانا لاوس) في المثلثات الكروية وكشف القناع عن أسرار شكل القطاع وشرح اشارات الشيخ الرئيس و (الزيج الايلخاني) وتحرير أُصول اقليدس و (التذكرة في الهيئة) و (أساس الاقتباس) مما يعتبر كلّ منها معجزة لنا.

وللعلاّمة الحلي حوالي 500 جزءاً من المؤلفات العلمية والّتي منها (تذكرة الفقهاء (و (المنتهى) و (المختلف) و (القواعد) و (التحرير) و (شرح تجريد الخواجة) في علم الكلام باسم (كشف المراد) وشرح تجريد الخواجة من المنطق باسم (الجوهر النضيد.(

وللشيخ الأكبر محي الدين بن عربي 800 مجلد من كتب ورسائل قام عثمان بن يحيى بفهرستها في فرنسا بجزءين ومن جملتها (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) و(انشاء الدوائر) و(عنقاء المغرب) و(شق الجيب في المهدي(عليه السلام)) و(مفتاح الأسرار في علم الحروف والجفر) و(كتاب السهل الممتنع في الجفر الجامع) والّذي يسمى أيضاً بـ )الدر المكنون والجوهر المصون في علم الحروف والجفر) وقد عدّ شارح المناقب المنسوبة للشيخ وهو (السيد صالح الخلخالي والّذي هو حسب قول صاحب المآثار والآثار في ص 185 التلميذ المبرز للسيد أبي الحسن جلوة) بعضاً من مصنّفات الشيخ وقال: منها: التفسير الكبير وقد بلغ 90 مجلداً بل ان الوافي بالوفيات 95 مجلداً، واليوم فانّ الفهرسة العلمية للفتوحات تعد فناً للعالم المتبحر في صناعة العرفان. وهل ان فهم المفتاح وخاصة الدر المكنون أمر ميسور إلاّ للأوحدي من العلماء.

يقول عبدالرحيم صفي بوري في مادة (ز غ ل) في (منتهى الأرب في لغة العرب) الزاغوالي محمّد بنچديهي بن حسين بن محمّد بن حسين مصنّف كتاب (قيد الأوابد) في 400 مجلد مشتملا على التفسير والحديث والفقه واللغة.

ولمحمد بن مسعود العياشي أكثر من 200 مجلد مشتملا على التفسير والحديث والفقه واللغة.

ولمحمد بن مسعود العياشي أكثر من 200 مجلد في أصناف العلوم ذكر أكثرها ابن النديم في فهرسته وقد صرّح ابن بابويه الصدوق في مقدمة كتاب (من لا يحضره الفقيه) بـ 245 مجلداً من تأليفاته، وقال عنه الشيخ الطوسي في فهرسته (له نحو من ثلاثمائة مصنف.(

وكان لتوماس اديسون مكتشف الكهرباء قابليات خارقة فلم يتوقف ذهنه الفعّال أبداً، وقد قدّم خلال الأعوام 1871 م 1876 م (122) اختراعاً وقال: لقد ثبت لي بالتجربة ان العلم لا يتوقف أبداً.

وللملا جلال الدين السيوطي حوالي 500 مجلد، وهكذا بالنسبة لأساطين العلم والمعارف الأُخرى كالشيخ الطوسي

صاحب (التهذيب والتبيان) والسيد مرتضى علم الهدى صاحب )الشافي) و(الذريعة)، وأخيه الشريف الرضي جامع نهج البلاغة، والفخر الرازي صاحب التفسير و(المباحث المشرقية)، والملا عليّ القوشجي صاحب (زيج الغ بيك) وشرحه وشرح تجريد الخواجة، والملا صدرا صاحب (الأسفار)، و(شرح أُصول الكافي) و(المفاتيح)، وملا محسن فيض صاحب (الوافي)، (الصافي)، (المفاتيح)، و(احياء احياء الغزالي)، والمجلسي الثاني صاحب (البحار) ، و(مرآة العقول) ووو. ...

فانّ لكلّ واحد من هؤلاء العظماء في علومهم وفنونهم وأعمالهم العلمية نبوغاً خارجاً عن طاقة أكثر أهل العلم، وان آثارهم العلمية نحو من أنحاء الكرامة إلى حد اننا نرى ان هذه النطفة والعلقة والمضغة الفقيرة المعدمة، قفزت وصارت هكذا.

لماذا لا نعترض على كلّ هذا، ولكن عندما نقول انّها يجب أن ترقى أكثر، وبعد أن صارت صاحبة ثروة واستعداد وقابلية أكبر وطارت بالتوفيق وكثرة العطاء ممن «لا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً» وتتعالى وتسمو حتى لتكون خليفة الله بل حائزة على مرتبة فوق مقام الخلافة الكبرى، نحس في أنفسنا تشكيكاً. وهذا ليس إلاّ لأن اسسنا وقواعدنا العلمية ليست رصينة. وعلى حد قول (العرشي) والموجز الدقيق جناب الفارابي المعلم الثاني في الرسالة الثمينة (اثبات المفارقات) «والعقل الهيولاني ان كان قدسياً فإنه مستعد لأن يصير عقلا بالفعل أتم وإذا كان العقل الهيولاني قد يتصل بالمفارق من دون تعلم أعني من دون استعمال فكر وخيال فلأن يتصل به العقل بالفعل أوجب وأولى.«

فلو أن أحداً راجع في أوصاف وأحوال الجمادات وعالم النباتات وخواصها وآثارها التكوينية إلى الكتب المختصة وحصلت له المعرفة اليسيرة بأسرارها الفطرية، فان صولة اعتراضه في الاعتلاء الوجودي والاشتداد الروحي للإنسان الكامل ستبدل إلى دولة الاعتراف.

النمط الثامن والتاسع والعاشر من اشارات الشيخ الرئيس وشرح الخواجة عليها (وخاصة العاشر الّذي هو في أسرار الآيات).. كلّ منها باب للورود والوصول إلى البيان الواقعي لهذا اللغز، وكلّ من الفصوص والفتوحات المكية للشيخ الأكبر ـ لو فهمت من لسان الفهم ـ فهي حل لهذا الطلسم.

ننقل طياً واقعة عجيبة وقعت للشيخ الرئيس نقلها بقلمه في آخر الفصل الثاني من المقالة السابقة في الطبيعيات:

»حكي لي حال رجل ببيابان دهستان تحذر نفسه ونفخه الحيّات والأفاعي الّتي بها وهي قتالة جداً والحيات لا تنكفأ فيه باللسع ولا تلسعه اختياراً ما لم يقسرها عليه فإن لسعته حية ماتت. وحكى أن تنيناً عظيماً لسعته فماتت وعرض له حمى يوم ثم إني لما حصبت ببيابان دهستان طلبته فلم يعش وخلف ولداً أعظم خاصية في هذا الباب منه فرأيت منه

عجائب نسيت أكثرها فكان من جملتها أنّ الأفاعي تصدّ عن عزّه وتحيد عن تنفّسه وتخدر في يده»(40.(

ان عجائب المخلوقات من هذا القبيل كثيرة، وأين هي الذرة الخالية من العجائب في الوجود سوى أننا ألفنا بعضها فلا تبدو في نظرنا عجيبة، ومع وجود كلّ هذه العجائب في دنيا الوجود فانّ بعض الناس ينكرون الأسرار اللامتناهية لأكبر كتاب إلهي ... أعني ـ الإنسان ـ الّذي لا أحد يوقفه في أي مقام وهو أكبر من كلّ ما سوى الله.

يقول أُستاذي العلاّمة الشعراني(قدس سره) في طريق السعادة: لقد نقل عن كبار مشاهير العلم منذ بداية الحياة وحتى الآن عجائب لا يمكن انكارها، فمثلا ان الشاه إسماعيل الصفوي قاد جيشاً وهو في (الرابعة عشرة من عمره) إلى أذربيجان أو القفقاز وأصبح فاتحاً وأقام السلطنة. والاسكندر المقدوني هضم أكثر علوم زمانه في السادسة عشرة .

ويقول الفاضل الهندي في كشف اللثام: لقد فرغت في الثانية عشرة من العلوم الرسمية .وأصبح ابن سينا رئيس العلوم العقلية والطب في السادسة عشرة بلا معلم.

نعم فكلّ شخص وما هو وما سيصير معلوم منذ البداية. يقول الشاعر العربي:

في المهد ينطق عن سعادة جده *** أثر النجابة ساطع البرهان

هذا هو حال الناس العاديين الذين لا ولاية لهم ولا نبوة أمّا عن الأنبياء فقد ورد في قصة يحيى(عليه السلام): (وَآ تَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً) وعن عيسى المسيح(عليه السلام) قال تعالى: (إِنِّي عَبْدُ اللهِ آ تَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً.(

وكان الإمام الجواد(عليه السلام) حين وصلت إليه الإمامة في الثامنة أو التاسعة أمّا الإمام الهادي(عليه السلام) ففي السادسة أو السابعة، والإمام العسكري(عليه السلام (في الرابعة والعشرين، وكان الشيعة يعتبرونهم أصحاب علوم الشريعة والتوحيد والمعارف وقد نُقل عن الإمام المهدي(عليه السلام) عجائب وهو في سن الرابعة فإذا كان مقرراً لبعض الإلهيين المؤيّدين وأولياء الله أن يكون لهم ـ اضافة إلى الروح الإنسانية اتصال بروح أكبر وأن تكون لهم روابط مع موجودات عالم الغيب، فما هو المانع أن يكون ذلك منذ عهد الطفولة؟ وعلى أي حال فان الروح المرتبطة بالأئمة والأولياء وأعاظم الأنبياء هي قوة أُخرى غير الّتي يملكها الأفراد العاديّون عن بني البشر، ولا يلزم أن يكون بدء الاتصال والارتباط بها حين الكبر فانه خارق للعادة على كلّ حال سواءً كان في الصغر أم في الكبر، والّذي يعتبر خرق العادة ممكناً عليه أن يقبله في الحالتين(41.(

النفس المكتفية والنفس الناقصة:

نعود إلى موضوع بحثنا، كان يدور حول الإنسان المؤيّد بروح القدس: مثل هذا الإنسان ذو علم لدنّي ونفس مكتفية، ويقال لها مستكفية أيضاً، أي إنّه يكتفي بفطرته وبنفس ما وهبه الله، وبذاته وباطنه من علله الذاتية في خروجه من

النقص إلى الكمال، ولا يحتاج إلى مكمّل ومتمّم خارجي أو معلم بشري، خلافاً للنفس الناقصة المحتاجة لمكمل خارجي في تحصيل الكمالات والخروج من القوة إلى الفعل، وبعد الاستكمال يصل المرتبة التامة أي العقل التام ثم يكون خليفة لما فوق التمام أي لواجب لوجود تعالى:

»ولما كانت الحكمة في الايجاد المعرفة والعلم، والعلماء بحسب الاحتمال ثلاثة أقسام :أحدها تام في كماله بحسب الفطرة كالعقول المفارقة، وثانيها مستكف يحتاج إلى التكميل ولكن لا يحتاج إلى أُمور زائدة ومكمّل من خارج كالنفوس الفلكية، ومن هذا القسم نفوس الأنبياء(عليهم السلام) بحسب الفطرة ولكن بعد الاستكمال ربّما صاروا من القسم الأوّل، وثالثها ناقصة بحسب الفطرة تحتاج في التكميل إلى أُمور خارجة عن ذاتها من انزا الكتاب والرسل وغيرهما، فقد أوجد الله سبحانه جميع هذه الأقسام توفية للافاضة وتكميلا للأقسام المحتملة عند العقل وقد أشار إلى هذه الأقسام بقوله : )وَالصَّافَّاتِ صَفّاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً (وبقوله: (وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً * فَالمُدَبِّرَاتِ أمْراً) يحتمل أن يكون الترتيب في الآية الثانية على عكس الترتيب في الآية الأُولى أي من المسبّب إلى السبب بأن يكون السابحات إشارة إلى عالم الأفلاك كما في قوله) :كلّ في فلك يسبحون) والسابقات إلى نفوسها، والمدبّرات أمراً إلى عقولها الّتي من عالم الأمر الموجودة بأمر الله وقوله كن بل هي نفس الأمر الوارد منه تعالى»(42.)

ان فعلية النفس هي بالمعارف الالهية والملكات العلمية والعملية الصالحة، وهذه هي طينة العليين الّتي عجن منها السعداء، وان الإنسان في اصطلاح أهل العرفان هو الفرد الكامل لا الصورة الإنسانية، وفي الحديث القدسي: «الإنسان سرّي وأنا سرّه.«

الروح وروح القدس

ان مضمون روايات أهل بيت العصمة والوحي هو أن فوق روح القدس روحاً أُخرى وهي أعظم من جبرائيل وميكائيل.

في الكافي باسناده إلى الكناني عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله(عليه السلام) عن قول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمَانُ)؟ قال: خلق من خلق الله تبارك وتعالى أعظم من جبريل وميكائيل كان مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده صلوات الله عليهم»(43.)

وباسناده إلى أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله تعالى) :وَكَذَلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنَا) ؟ فقال: «منذ أنزل الله تعالى ذلك الروح على محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا.«

وبإسناده إلى أبي بصير قال سألت أبا عبدالله(عليه السلام) عن قول الله تعالى) :يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)؟ قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مع الأئمة وهو من الملكوت.»

وبإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مع الأئمة يسدّدهم وليس كلّ ما طلب وجد.

وبإسناده عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبدالله(عليه السلام) عن العلم أهو علم يعلّمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب أما سمعت قول الله عزّوجلّ : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمَانُ)، ثم قال: أيّ شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ أيقرّون انّه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون، فقال لي: بلى قد كان في حال لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان، حتى بعث الله تعالى الروح الّتي ذكر في الكتاب فلمّا أوحاها إليه علّم بها العلم والفهم وهي الروح الّتي يعطيها الله تعالى من شاء فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم.

وباسناده عن سعد الإسكاف قال: أتى رجل أميرالمؤمنين(عليه السلام) يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أميرالمؤمنين(عليه السلام)جبرئيل(عليه السلام) من الملائكة والروح غير جبرئيل. فكرّر ذلك على الرجل، فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحدٌ يزعم أن الروح غير جبرئيل فقال له أميرالمؤمنين: انّك ضال تروي عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ)(44) والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم.

وفيه بإسناده عن عليّ بن رئاب رفعه إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام) قال: إنّ لله نهراً دون عرشه ودون النهر الّذي دون عرشه نور نوره وانّ في حافتي النهر روحين مخلوقين روح القدس وروح من أمره... الحديث»(45.)

في هذه الروايات: الروح غير جبرائيل وأعظم منه ومن ميكائيل ومنذ نزوله على الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم) لم تخل الأرض منه أبداً، وهو مع الأئمة الذين من بعده، لأن الأرض لا تخلو من حجة، وان الحجج مؤيدون بالروح. وفي حديث عليّ بن رئاب ان روح القدس غير الروح من أمر الله، والأخير فوق الأوّل.

الاسم الأعظم 73 حرفاً

ان الرواية الّتي ذكرت ان الروح(عليه السلام) كان مع النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده مع الأئمة(عليهم

السلام) بيان لسرّ الروايات الّتي جاءت في باب «ما أُعطي الأئمة(عليهم السلام) عن اسم الله الأعظم.«

في الكافي وكتب الحديث الأُخرى ان الاسم الأعظم 73 حرفاً، حرف واحد منها كان عند آصف بن برخيا وحرفان عند عيسى(عليه السلام) وأربعة عند موسى و8 عند إبراهيم و15 عند نوح و25 عند آدم و72 عند محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) المحجوب من حرف فقط «ان اسم الله الاعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أُعطي محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) اثنين وسبعين وحُجب عنه حرف واحد»(46.(

مراتب الأنبياء والرسل والأولياء:

كذلك الحروف الاثنان والسبعون أعطيت للأئمة من بعده(عليهم السلام) كما في الكافي باسناده إلى عليّ بن محمّد النوفلي عن أبي الحسن صاحب العسكر(عليه السلام) قال سمعته يقول: «اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً كان عند آصف حرف فتكلّم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان ثم انبسطت الارض في أقلّ من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب»(47.(

فهذا الحرف حرف وليس بحرف فإذا ضُم هذا الحرف إلى الروايات الواردة في كتاب التوحيد في حدوث الأسماء والمعاني واشتقاقاتها فأي حرف سيتألف منها؟

ولو قرن إلى الآيات والروايات في الكلم والكلمات والآية والكتاب واللوح والقضاء ونظائرها فأية نتائج ستحصل من اقترانها؟ ولو أُلفت مع (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْض) أو مع (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض) فما هي الفوائد المتحققة؟ فللحرف من دون اسم ورسم بل أقل منه للنقطة من دون حرف وفيها شرح واشارات والحمد لله ربّ العالمين.

---

(1)نهج البلاغة.

(2)يس: 13.

(3)الأسفار: 62/3 ط 1.

(4)الأسفار: 84/3 ط 1.

(5)أُصول الكافي المعرب: 133/2.

(6)الفصول المهمة فى أُصول الأئمة(عليهم السلام) : ج 2 باب ان كلّ واقعة تحتاج إليها الأُمة لها حكم شرعي معين،

ولكلّ دليل قطعي مخزون عند الأئمة(عليهم السلام.(

(7)من تأليفات الفقير إلى ربّه رسالة في اتحاد العقل والعاقل والمعقول وقد بحثنا فيه تفاصيل ذلك.

(8)مريم: 16.

(9)النجم: 11.

(10)سبأ: 3.

(11)البقرة: 223.

(12)الواقعة: 63.

(13)نهج البلاغة.

(14)العنكبوت: 41.

159 (15)ط 1 حجرية.

(16)نهج البلاغة.

(17)رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين(عليه السلام): 501 ط 1.

(18)مصباح الانس: 305 ط حجرية.

(19)خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم: 384 ط حجرية.

(20)مصباح الانس: 27.

(21)الكهف: 109.

(22)النساء: 171.

(23)الأنبياء: 3.

(24)يس: 12.

(25)البقرة: 31.

(26)الأعراف: 29.

(27)فصوص الحكم: 189 ط حجرية.

(28)الأسفار: 437/3 ط 2.

(29)البقرة: 253.

(30)النمل: 102.

(31)النجم: 5.

(32)النحل: 40.

(33)النمل: 42.

(34)لقد قمت بشرح فصوص الفارابي في موسوعة كاملة بالتفصيل وقد بحثت في كثير من أُمهات وأُصول المسائل بالمشارب العقلانية والعرفانية المتعددة.

(35)الأسفار: 296/1 ط.

(36)الأسفار: 32/4 ط 1.

(37)الشفاء: 361 ط 1 الحجرية.

(38)القصص: 68.

(39)فلسفة الإمام الصادق(عليه السلام) : 26 للمرحوم الجزائري المتوفى سنة 1378 هـ ط بيروت.

(40)الشفاء: 417/1 ط الحجرية.

(41)طريق السعادة: 17 و18 ط 2.

(42)الأسفار: 322/1 ط 1 ب.

(43)كتاب الحجة باب الروح الّتي يسدّد الله بها الأئمة(عليهم السلام): 214/1.

(44)النحل: 2.

(45)بحار الأنوار: 329/14 طبع كمپاني.

(46)أُصول الكافي: 179/1.

(47)أُصول الكافي: 180/1.

الباب الحادي عشر

الإنسان الكامل صاحب مرتبة القلب

)ي) ومثل هذا الإنسان هو صاحب رتبة القلب «إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها»(1.(

وقد عُرف سابقاً أن صاحب مرتبة القلب في مشهد العرفاء هو نفس مرتبة العقل المستفاد في منظر الحكماء لكن

لأهمية شؤون القلب نقول:

»اللّهمّ نوَّر ظاهري بطاعتك، وباطني بمحبتك، وقلبي بمعرفتك، وروحي بمشاهدتك، وسرّي باستقلال اتّصال حضرتك، يا ذا الجلال والإكرام.«

تعريف القلب ووجه تسميته

ان الظاهر والباطن والقلب والروح والسر هي من مراتب النفس الناطقة وهي حقيقة ممتدة من الخلق إلى الأمر. في مرتبة القلب نشاهد معان كلية وجزئية، يقول العارف عن هذه المرتبة (القلب) ويقول عنها الحكيم (العقل المستفاد.(

ان جميع القوى الروحية والجسمية تتشعب وتتفرع عن القلب، ومن هنا كان قلباً، حيث لا يقرّ للحظة، وهو في تقلّب دائم وقبض وبسط مستمرين، كما أن مظهر الوصف اللحمي في البنية الإنسانية كذلك، فله في كلّ دقيقة عدة حالات في الانقباض والانبساط ولا سكون له للحظة. لهذا فالقلب هو المظهر الأتم لـ (كُلَّ يَوْم هُوَ فِى شَأْن.(

ان تقلّب القلب هو من الظهورات الإلهية والشؤونات الذاتية وان كمالات الروح وكليات العلم كلّها تستوي في هذا المحل. ومن هنا عُبر عنه بـ (مرآة العالم) والبرزخ بين الظاهر والباطن وإنسانية الإنسان. والقلب كالبدل والمبدل عنه، ففي القلب جميع التنزلات والترقيات والمدارج ومعارف الفيض الوجودي. يقول القيصري في ديباجة شرح فصوص الحكم:

»الإنسان إنّما يكون صاحب القلب إذا تجلّى له الغيب وانكشف له السر وظهرت عنده حقيقة الأمر وتحقق بالأنوار الإلهية وتقلّب في الأطوار الربوبية لأنّ المرتبة القلبية هي الولادة الثانية المشار إليها بقول عيسى(عليه السلام): «لن يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين»(2.(

أحد أسماء الله تعالى هو المؤمن، والّذي جاء في آخر سورة الحشر، والإنسان المؤمن مظهر له «المؤمن مرآة المؤمن» وقلبه من السعة بحيث لا وجود لمخلوق يسعه «قال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم): قال الله تعالى: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي» وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) : «كلّ تقي ونقي إليَّ» وقال: «سلمان منّا أهل البيت» فتبصّر.

العلم والعمل يصنعان الإنسان، والعلم ماء الحياة

ليس لوعاء القلب حد محدود (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ) ومهما يسكب فيه من العلم والّذي هو ماؤه فهو يتّسع أكثر. فماء الحياة هو العلوم والمعارف وهي غذاء الروح (فَلْيَنْظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) وان طعام الإنسان من حيث هو انسان هو ما يصنع الإنسان. لهذا قال الإمام أبو جعفر(عليه السلام) في تفسير الآية لزيد الشحام ان الطعام هو «علمه

الّذي يأخذه عمّن يأخذه»(3). والعلم والعمل صانعا الإنسان (إنّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِح) وان العلم والعمل جَنّة إذا كانا ملكوتين، ونار إذا كانت جذورهما في الدنيا.

الحكمة جنة:

اعتبر النبيّ الخاتم الحكمة جنّة، روى الشيخ الصدوق في المجلس 61 من أماليه بإسناده عن عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم» : (أنا مدينة الحكمة وهي الجنّة وأنت يا عليّ بابها، فكيف يهتدي المهتدي إلى الجنّة ولا يهتدي إليها إلاّ من بابها» إذن فالحكمة جنّة والحكمة طعام الإنسان وقلبه مزرعة لبذور المعارف.

»يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم»(4.(

معلّمو البشر (زرّاع(

ووصف الإمام في هذا الكلام معلمي البشر ووسائط الفيض الإلهي بالزرّاع ووصف القلوب المستفيضة بالمزارع «والمعرفة بذر المشاهدة» فالعلماء الكبار هم الذين يبذرون المعارف الإلهية في مزارع قلوبهم، وإذا أخضرت هذه البذور أي صارت المزارع مؤهلة والقلوب قابلة، فان هذه الحدائق الخضراء ستكون قرة عين الناظرين ونزهة أهل الولاية.

ألا ترى إنّه قال: ان الأرض السبخة لا تقبل ولايتنا؟ أُنظر إلى بذور الحكمة هذه أية جنات ستتحول.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) وقال أيضاً (أفرأيتم ما تحرثون أأ نْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (

.

ان سلسلة الكلام متصلة مع بعضها ولا تقبل الانفصال والمنافاة، فهناك عدد من السفراء الالهيين معروفين بالزراع، وفي كلام الإمام وفي هذه الآية أيضاً قال (نَحْنُ الزَّارِعُونَ) فافهم.

الله تعالى هو الزارع والإنسان الكامل سرّ الله وأسرار

الولاية بذور والقلوب مزارع

روى يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق انّه قال: «ان الله خلق قلوب المؤمنين مبهمة على الإيمان فإذا أراد استنارة ما فيها فتحها بالحكمة وزرعها بالعلم وزارعها والقيّم عليها ربّ العالمين» وكذلك عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندمة، ولكلّ زارع ما زرع»(5.(

وروى عمر بن يسع عن شعيب الحداد قال:

سمعت الصادق جعفر بن محمّد(عليه السلام) يقول: «إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة. قال عمرو فقلت لشعيب يا أبا الحسن وأي شيء المدينة الحصينة؟ قال: فقال سألت الصادق(عليه السلام) عنها، فقال لي: القلب المجتمع»(6).

ان القلب المجتمع هو المدينة الحصينة، وإن أسرار أهل الولاية لا تختفي في القرى المهجورة القديمة البوابات والأبراج، بل يجب ان تكون مدناً من المدن الّتي هي حصن الله. ليست أسرار الولاية أسلاكاً بلا روح مدفونة تحت التراب بل انّها الودائع الالهية الّتي ينبغي أن تعطى إلى أُمناء الله الذين هم مدن حصينة وصدور أمينة، في نهج البلاغة:

»إِنَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لاَ يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ»(7).

وعن بصائر الدرجات عن الصادق(عليه السلام) : «إن أمرنا سرّ وسرّ في سرّ وسرّ مستسر وسرّ لا يفيده إلاّ سرّ وسرّ على سرّ وسرّ مقنع بسرّ» وقال(عليه السلام): «هو الحقّ وحقّ الحقّ وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السرّ والسرّ المستسر وسرّ مقنع بالسرّ.«

وقال(عليه السلام): «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.«

في أُصول الكافي باب بهذا العنوان «فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب» في الحديث الأوّل عن أبي جعفر(عليه السلام) عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) : «ان حديث آل محمّد صعب مستصعب... الخ» وفي الحديث الثاني عن الصادق عن السجاد(عليهما السلام) «ان علم العلماء صعب مستصعب ... الخ» وفي الحديث الثالث عن الصادق(عليه السلام): «ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ صدور منيرة أو قلوب سليمة وأخلاق حسنة» وفي بصائر الدرجات عن الباقر(عليه السلام) جاء عن المفضل قال قال أبو جعفر(عليه السلام): «إن حديثنا صعب مستصعب ذكران أجرد ولا يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أمّا الصعب فهو الّذي لم يركب بعد، وأمّا المستصعب فهو الّذي يهرب منه إذا رؤي، وأمّا الذكران فهو ذكاء المؤمنين، وأمّا الأجرد فهو الّذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله: (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ)(8) فأحسن الحديث حديثنا ولا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه، لأن من حد شيئاً فهو أكبر منه والحمد لله على التوفيق والانكار هو الكفر.«

وفي البصائر أيضاً مسنداً عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) : انّ من حديثنا ما لا يحتمله ملك

مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبد مؤمن قلت: فمن يحتمله؟ قال :نحن نحتمله.«

اذن فأحاديث أهل البيت(عليهم السلام) كلّها علوم وأسرار، وسرّ كلّ شيء حقيقته المخفية. فالحقيقة العلمية سرّ وسرّ مستسر مقنع لا يفهمها كلّ سر، وتلك الحقائق فوق مرتبة البيان اللفظي والادراك الفكري بل تُنال بالمعرفة الشهودية. وكلّ في حد ينال مرتبة منها، لكن لا تنالها كلّ يد بل (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ). فلابدّ ان يكون القلب منيراً سليماً مجتمعاً أميناً حصيناً لينالـه ويدركه اضافة إلى أن حديث البصائر من غرر الأحاديث.

وهناك حديث آخر «ولا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحدّه لأ نّه من حدّ شيئاً فهو أكبر منه.«

أُنظر إلى بيان الإنسان الكامل فهو كامل أيضاً، فانّه لم يُنقل مثل هذه العبارات اللطيفة والمعاني الدقيقة عن غير الأئمة المعصومين لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من علماء الأعصار والأمصار.

وعاء العلم مجرد عن المادة

في بيان حقيقة وتعريف وعاء المعارف هذا، قال أميرالمؤمنين(عليه السلام): «كلّ وعاء يضيق بما جعل فيه، إلاّ وعاء العلم فانّه يتسع به.«

أي ان ظرف العلم الّذي هو النفس الناطقة الإنسانية ليس من جنس الموجودات الطبيعية والمادية بل هو موجود من عالم ما وراء الطبيعة بحيث يتسع لكلّ ما يوضع فيها ان له مقاماً فوق التجرد.

وبما ان قيمة الإنسان تقدَّر بمقدار معارفه اذن فان أفضل ظروف العلم (أي النفوس الإنسانية) هو ذلك الظرف الّذي سعته أكبر.

يقول الإمام المجتبى(عليه السلام) ما مضمون حديثه: لما رأى الله تعالى كبر قلب محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) اختاره. فكم هي سعة وعظمة قلب محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث يسع حقائق كتاب الله القرآن الفرقان (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ)(9) (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)(10.)

في سعة القلب

لقد رسم على افتتاحية الفص الشعيبي الخالي من العيب هذا الطلسم «قلب العارف بالله هو من رحمة الله وهو أوسع منها فانّه وسع الحقّ جلّ جلاله ورحمته لا تسعه.«

أي ان رحمة الحقّ تعالى لا تسعه، وقلب العارف بالله تسع الحقّ وأوسع منها.

وكذلك على فص الحكمة الحقّة في كلمة الاسحاق رقم هذا النقش.

»يقول أبو يزيد في هذا المقام لو ان العرش وما حواه ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به وهذا

وسع أبي يزيد في عالم الأجسام بل أقول لو أنّ ما لا يتناهى وجوده يقدّر انتهاء وجوده مع العين الموجودة له في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ بذلك في علمه فإنّه قد ثبت أن القلب وسع الحقّ ومع ذلك ما اتصف بالري فلو امتلى ارتوى.«

أقوال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) كلّها رموز مشحونة بالمعقول

ضمن كلام أميرالمؤمنين(عليه السلام): «كلّ وعاء يضيق ... الخ» يقول ابن أبي الحديد» :هذا الكلام تحته سرّ عظيم ورمز إلى معنى شريف غامض ومنه أخذ مثبتوا النفس الناطقة الحجة على قولهم»(11.)

نعم ان كلمات السفراء الإلهيين وحاملي الوحي مملوءة بالرموز والأسرار وروايات أهل البيت أفضل حجة على حجّيتهم وهم(عليهم السلام) أنفسهم براهين على إمامتهم كما الدليل دليل لنفسه.

يقول الشيخ الرئيس في الرسالة المعراجية وفي رسالة النبوة وفي الهيات الشفاء: ان أقوال النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) كلّها رموز مشحونة بالمعقول.

ان ابن أبي الحديد بعد نقله كلمة أميرالمؤمنين «كلّ وعاء يضيق...». يقول :

»ومحصول ذلك أنّ القوى الجسمانية يكلّها ويتعبها تكرار أفاعيلها عليها، كقوّة البصر يتعبها تكرار ادراك المرئيات، حتى ربما أذهبها وأبطلها أصلا، وكذلك قوّة السمع يتعبها تكرار الأصوات عليها، وكذلك غيرها من القوى الجسمانية، ولكنّا وجدنا القوة العاقلة بالعكس من ذلك، فإن الإنسان كلّما تكرّرت عليه المعقولات ازدادت قوّته العقلية سعة وانبساطاً واستعداداً لإدراك أُمور أُخرى غير ما أدركته من قبل، حتى كان تكرار المعقولات عليها يشحذها (يحدها ـ خ) ويصقلها فهي إذن مخالفة في هذا الحكم للقوى الجسمانية، فليست منها، لأ نّها لو كانت منها لكان حكمها حكم واحد من أخواتها، وإذ لم تكن جسمانية فهي مجردة، وهي الّتي نسميها النفس الناطقة»(12.)

ولكن الحقّ هو ان الكلام الكامل لأميرالمؤمنين(عليه السلام) دالّ على أن للنفس مرتبةً فوق التجرد لا أ نّها مجردة فقط كما ثبت بالبراهين القطعية: ان الإنسان هوية واجبة ذات مراتب بدءاً بمرتبة الطبع وانتهاءً إلى مرتبة ما فوق التجرد العقلي، وان له في كلّ مرتبة أحكاماً خاصة متعلقة بتلك المرتبة، في مقام الطبع تتجسم الروح بهذا المعنى اللطيف والشريف من أن البدن هو المرتبة النازلة لحقيقة الإنسان وهو في المرتبة الّتي فوقها مثال متّصل له تجرد برزخي، وان كثيراً من أدلّة تجرد النفس ناظرة إلى هذه المرتبة، كالأدلة الّتي يسوقها المرحوم الآخوند في الفصل السادس، الطرف الثاني، المسلك الخامس من الأسفار، يقول: «فصل في أن المدرك للصور المتخيلة أيضاً لابدّ أن يكون مجرداً

عن هذا العالم»(13.(

وفي رتبة العقل له تجرد عقلي، والكثير من أدلة تجرد النفس ناظرة إلى هذه المرتبة كأدلة الآخوند في الباب السادس من الأسفار بهذا العنوان يقول: «الباب السادس في بيان تجرّد النفس الناطقة الإنسانية تجرداً تاماً عقلياً... الخ»(14) والقيد العقلي التام هو لاخراج التجرد الخالي، وهو وإن كان مجرداً لكنه ليس تاماً، كما هو من أجل اخراج التجرد العقلي فوق التام الّذي هو بالاضافة إلى تماميته أتم، فإنّه ليس للنفس الإنسانية حد تقف عنده، إذ بالإضافة إلى تجردها لا يحدها من هذه الناحية شيء، فتبصّر.

هذا اضافة إلى أن القوة العاقلة شأن من شؤون النفس لا أن تكون هي النفس الناطقة .فقد بوّبنا هذه المسائل في دروس معرفة النفس الّتي هي قيد التأليف وأشبعناها برهاناً. وهذه المراتب الأربع للنفس (مرحلة ومرتبة الطبع، الخيال، مقام العقل، والشأن اللايقفي) هي من أُصول وأُمهات مسائل معرفة النفس، والله ولي التوفيق.

قلب عالم الإمكان وقلب القرآن وليلة القدر

الإنسان الكامل هو قلب عالم الإمكان وقلب البرزخ بين الظاهر والباطن، وجميع القوى الروحية والجسمية منشعبة منه، ومنه يصلها الفيض.

الإنسان الكامل الّذي هو واسطة الفيض، والّذي منه يصل الفيض إلى شعب القوى الروحية والجسمانية الأُخرى، منزله الحد المشترك بين عالم الملك والملكوت، وهو مشارك لكلّ منها بوجه، فهو كالملائكة مطلع على ملكوت السموات والأرض، وله نصيب من الربوبية، وهو كالبشر يأكل ويشرب وينكح، وإن كان لكلّ إنسان نصيب من الربوبية، لكن مرتبتها التامة هي للإنسان الكامل كما ان عبوديته أيضاً عبودية تامة.

إن ادراك المراتب الخمس للقلب ضروري في هذا المقام أي القلب النفسي والقلب الحقيقي المتولد من مشيمة جمعية النفس، والقلب متولد من مشيمة الروح، أي قلب التجلي الوجودي الباطني، والقلب الجامع مسخر بين الحضرتين أي حضرة الاسم الظاهر وحضرة الاسم الباطن والقلب الأحدي الجمعي المحمدي(صلى الله عليه وآله وسلم) المبين في الفصل الخامس من فصول فاتحة (مصباح الانس) في شرح مفتاح الغيب.

هذا الإنسان الكامل هو قلب عالم الامكان وهو صاحب مرتبة (كن.(

ان صاحب (الفتوحات المكية) في الباب 361 منه وبعد تمهيد مطالب يفيدنا في هذا المجال بقوله:

»فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة فهو قلب لجسم العالم الّذي هو كلّ ما سوى الله وهو بيت الحقّ الّذي قال فيه: «ووسعني قلب عبدي المؤمن» فكانت مرتبة الإنسان الكامل من حيث انّه قلب بين الله والعالم، وسمّاه بالقلب لتقليبه

وتصريفه واتساعه في التقليب والتصريف ولذلك كانت له هذه السعة الالهية لأ نّه وصف نفسه تعالى بأ نّه )كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأن) واليوم هنا هو الزمن الفرد فكل يوم فهو في شؤون وليست التصريفات والتقلبات سوى هذه الشؤون الّتي هو الحقّ فيها، ولم يرد نص عن الله ولا عن رسوله في مخلوق أ نّه أعطي «كن» سوى الإنسان خاصة، فظهر ذلك في وقت في النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك، فقال: كن أبا ذر، فكان أبا ذر.«

وورد في الخبر في أهل الجنّة: «انّ الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن عليهم في الدخول فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله وإذا في الكتاب لكلّ إنسان يخاطب به من الحي القيوم الّذي لا يموت إلى الحي القيوم الّذي لا يموت، أما بعد فإنّي أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون.«

ان ليلة القدر كما جاء في روايات أهل البيت(عليهم السلام) هي قلب شهر الله وليلة مباركة، وقد نزل فيها القرآن. قال تعالى:(إِنَّا أنزَلْنَاهُ فِي لَـيْلَة مُبَارَكَة) (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ.(

فقد نزل القرآن في قلب هذا الشهر على قلب النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم. (

)قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بإذن الله) (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لتكون من المنذرين.(

وقد ورد في الروايات أن (يس) قلب القرآن، كما في تفسير نور الثقلين للحويزي عن أنس بن مالك عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ان لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس» وكذلك في الجامع الصغير للسيوطي ومسند أحمد بن حنبل عن معقل بن يسار عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في ذيل حديث انّه(صلى الله عليه وآله وسلم (قال: «يس قلب القرآن»(15) وكذا في الروايات أن (يس) من أسماء رسول الله. وفي تفسير المجمع «يس معناه يا إنسان بلغة طي»، فتبصّر.

ان قلب شهر الله في أواخر الشهر.

في باب (إنا أنزلناه) في الكافي يروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) : «يا ابن رسول الله كيف أعرف أنّ ليلة القدر تكون في كلّ سنة؟ قال: إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كلّ ليلة مائة مرة فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنك ناظر إلى تصديق الّذي سألت عنه.«

وسورة (يس) المباركة في الجزء 23 من القرآن.

قال الصادق(عليه السلام:(

»علّموا أولادكم يس فإنها ريحانة القرآن»(16) . وفي الأمالي عن عليّ(عليه السلام)قال: «الحسن والحسين(عليهما السلام) ريحانتا رسول الله.«

ووردت كلمة ريحانة حول القرآن نفسه، اذن يس قلب القرآن والقرآن ريحانة نزل في قلب شهر الله على قلب عالم الإمكان مرةً واحدةً سواء أنزالا دفعياً أو تدريجياً.

اذن فالإمام قرآن والقرآن إمام وكلاهما ريحانة.

»وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض.«

ان ذات الحقّ غير متناهية كذلك صفاته وأفعاله وكتابه وكلّ كلماته (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَة أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُر مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(17) (قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً)(18. )

آيات القران خزائن إلهية

القرآن غير متناه، وكلّ آية وكلمة وسورة وحرف منه خزائن «إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة»(19) عن الزهري قال: سمعت عليّ بن الحسين(عليه السلام) يقول: «آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة تنبغي لك أن تنظر ما فيها»(20.)

لكلّ حرف من القرآن سبعون ألف معنى

روي عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) إنّه قال: «ما من حرف من حروف القرآن إلاّ وله سبعون ألف معنى»(21.)

الحكمة جنّة

القرآن غير متناه وله درجات وعوالم، والإنسان ظرف للعلم، وليس هناك حد يقف عنده، وهذا الظرف هو المظروف أي الحقائق القرآنية. فالقرآن حكيم (يس وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ)وعرفت ان الحكمة جنّة فالقرآن جنّة وحكيم، وحكم الحكيم مُحكمٌ (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ)(22) وبيان لكلّ شيء (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ)(23.)

تبيان مع التنزيل وهو التفصيل لا الانزال وهو الاجمال، والإمام الّذي هو الإنسان الكامل وقلب عالم الإمكان هو قرآن فيه تبيان كلّ شيء.

درجات الجنّة على عدد آيات القرآن

يوصي إمام الثقلين أبو الحسنين(عليه السلام) ابنه محمّد بن الحنفية قائلا: «عليك بتلاوة (بقراءة ـ خ ل) القرآن والعمل به... اعلم أنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق... الحديث»(24.)

هذا الدستور العظيم وبهذه الفصاحة والبلاغة من نهج البلاغة، وهل له من نظير؟

ان مفاد «اقرأ وارق» هو أ نّك أي مقام بلغت توقّف عنده، ثم اقرأ وارق، والوصول إلى ذلك المقام هو الوصول الادراكي والوجودي إليه. وما أدركته من مقامات القرآن بالحكم المحكم لاتحاد الإدراك والمدرِك والمدرَك، فبنفس المقدار من القرآن أُنظر مقدار حظك من القرآن، لأن حقائق القرآن درجات ذاتك ومدارج عروجك.

اذن فمعنى القراءة أيضاً قد عُلم بحسب النشآت، ولا تعجب أن يكون لكل حرف من حروف القرآن سبعون ألف معنى لأن هذه الحروف ليست حروفاً وفيها من الكلام الكثير.

هذه حروف المقامات الوجودية والمراتب الطولية للقرآن الكريم، هذه هي الثلاثة والسبعون حرفاً الّتي أُشير إليها سابقاً.

شكل القطاع ووجوه أحكامه الهندسية

القطاع شكل هندسي من أشكال المثلثات الكروية ولهذا الشكل 497664 حكماً هندسياً، وقد كتب الخواجة نصيرالدين الطوسي كتاباً باسم (كشف القناع عن أسرار شكل القطاع) في هذا المجال. قال أميرالمؤمنين(عليه السلام):«بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ !فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ»(25). وقال: «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن»(26.)

وللقرآن منازل كثيرة، وأحسنها منزلة القرآن الناطق (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) فأية أسرار تنطوي عليها؟

كلام في القرآن والعترة

لقد قام الكليني رضوان الله عليه بجمع الكافي من الأُصول الأربعة خلال 20 سنة، ولقد أجاد في ترتيب الكتب والأبواب مما يعكس منزلته في دراية وفهم الحديث، وقدّم الأصح على الصحيح، وجميع رواياته مسندة، ورجاله معروفون في كتب الرجال، وهذا الكتاب آية .لو أردنا أن نتحدث أكثر عن جلالة قدره ومنزلته لاحتجنا إلى رسالة أو كتاب.

كتابه الأوّل هو كتاب العقل والجهل، والثاني فضل العلم، والثالث كتاب التوحيد، والرابع الحجة، تأملوا في هذه الأبواب الافتتاحية الأربعة وانظروا تبحرّه العلمي.

ان جميع الكتب والأبواب والروايات في كلّ باب تجري على هذا النسق نفسه، فكتاب الحجة 130باباً، وكلّ باب منه يتضمن روايات خاصة في الحجة ويجمعها تقريباً نفس العنوان المتخذ من مضمونها. فمثلا الباب الأوّل «باب الاضطرار إلى الحجة» والباب الخامس «أن الأرض لا تخلو من حجة» وباب آخر هو «باب الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا» وباب آخر «باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار(عليه السلام)» وباب آخر «باب مولد الصاحب(عليه السلام)» وكتاب الكافي كاف للإمامية في الإمامة والغيبة، بل ان الصحاح والسنن وكتب الحديث العامة لوحدها تكفيهم

لذلك.

فإذا كان منكر الإمامة مسلماً فيجب التحدث معه عن طريق خاص وإذا لم يكن مسلماً فمن طريق آخر، كما ان الكتب الكلامية بشأن النبوة العامة موجهة إلى الدهريين والطبيعين والفرق المنكرة الأُخرى، وفي النبوة الخاصة تكون وجهة الحديث مع أصحاب الأديان كاليهود والنصارى والمجوس.

ان المؤمن برسالة خاتم الأنبياء مضطر للاعتراف بعصمة أميرالمؤمنين، والمعترف بعصمته(عليه السلام) لابدّ له من الاعتراف بعصمة الأئمة الاثني عشر واحداً واحداً، وبغيبة صاحب الأمر، لأنّ وصي المعصوم معصوم، ووصي الإمام إمام، ووصي حجة الله حجة الله، ولا أدخل في هذا المقام ببحث العصمة والإمامة، وإنّما أكتفي بمقولة عن ابن متويه وهو واحد من مشاهير علماء أهل السنّة.

قال الإمام أميرالمؤمنين(عليه السلام) في الخطبة 85 من نهج البلاغة في وصف وتعريف العترة: «بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.«

وقال ابن أبي الحديد في شرحها:

»فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن تحته سرّ عظيم وذلك أنه أمر المكلّفين بأن يجروا العترة في إجلالها واعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن.«

ثم قال: فإن قلت فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك؟ قلت :نصّ أبو محمّد بن متويه ـ رحمة الله عليه ـ في كتاب الكفاية على أن عليّاً(عليه السلام) معصوم وأدلّة النصوص قد دلّت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وأنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة»(27.)

كان هذا حديث ابن متويه في عصمة العترة الطاهرة(عليهم السلام) وهو حديث حقّ، فقد قال العالم المشهور من أهل السنّة في كتاب الكفاية بعبارته الشريفة: «أدلة النصوص قد دلّت على عصمته» وهذا الأمر وهذه الحقيقة أوردناهما في مطلع الرسالة وهو أن كاتب هذه السطور ثابت وبشدة على معتقده الصافي والخالص في أن الصحاح وسنن أهل السنّة حجة بالغة في إمامة وعصمة الأئمة الاثني عشر بغض النظر عن كتب الشيعة الإمامية في هذا المجال.

نعم، ان العترة معصومة، والوصيّ، والّذي هو رأس سلسلة العترة معصوم وإنّه الوحيد الّذي كان معصوماً بين صحابة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وليس الآخرين، كما ان ابن متويه نطق بالحقّ من أدلة النصوص «ان ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة «فإن خليفة الله وخليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) والقائم مقام القرآن والنازل أحسن منازل القرآن، لابدّ أن يكون معصوماً، ولو قال ابن متويه غير هذا لقال خلاف الحقّ.

**حديث مع ابن أبي الحديد**

**اننا لا نختلف مع ابن أبي الحديد عندما شرح مقولة «فأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ» بقوله: «إنّه أمر المكلفين بأن يجروا العترة الطاهرة في إجلالها واعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن» مع إنّه يجب انزال العترة بأحسن منازل القرآن واعظامهم والانقياد لهم، واطاعة أوامرهم، إلاّ ان كلام الإمام حول العترة هو فوق هذا، لأن عبارة «فأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ» محفوفة بجملة تدلّ على أن العترة هم عين أحسن منازل القرآن والفاء هنا فصيحة، وسياق العبارة ان اعرفوا العترة بأ نّهم واجدي هذه المنازل وأصحابها. لقد قال(عليه السلام) في الخطبة 152 من نهج البلاغة «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن.«**

**لقد فرّع الإمام(عليه السلام) قوله: «فأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ» على قوله: «كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأعلام الدين وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ» أي بما أن عترة نبيكم هم بينكم أزمّة الدين وأعلام الدين وألسنة الصدق، فلذلك «أنزلوهم.«...**

**وهذا هو ما قاله أهل التحقيق من أن الإنسان الكامل قرآن ناطق أي ان الصورة الكتبية للقرآن هي الصورة الكتبية للإنسان الكامل، والصورة العينية للقرآن هي الصورة العينية للإنسان الكامل وبما أن القرآن معصوم في صوره ومنازله من كلّ خطأ، فإن المنزلين أحسن منازله معصومون كذلك. وهذا الكلام ليس مشعراً بالعصمة فحسب بل هو مبين له والباب 35 من كتاب الكافي هو حول هذا العنوان «باب إنّه لم يجمع القرآن كلّه إلاّ الأئمة(عليهم السلام) وإنّهم يعلمون علمه كلّه.«**

**اضافة إلى أن الحقائق والمعارف الصادرة عنهم(عليهم السلام) هي أصدق شاهد على انهم مبيّنون لحقائق الأسماء أي أحسن منازل القرآن.**

**ثم قال الإمام(عليه السلام) «وردوهم ورود الهيم العطاش.«**

**ان للماء في النشأة العنصرية صورة العلم، وكما ان العلم سبب حياة الأشباح فكذلك العلم سبب حياة الأرواح، فإن الغذاء من سنخ المغتذي، لهذا فالماء يضرّ في عالم الأحلام بالعلم وقد فسر ابن عباس الماء بالعلم في قوله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً) بل ان المرحوم الطبرسي وفي تفسير الآية الكريمة :**

**)وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً)(28) قال: عن بريد العجلي عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: «معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة.«**

**وقال أيضاً: وفي تفسير أهل البيت(عليهم السلام) عن أبي بصير قال قلت لأبي جعفر(عليه السلام) قول الله (إِنَّ الَّذِينَ**

قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)؟ قال: «هو والله ما أنتم عليه، لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً.«

وقال المرحوم الكليني في الباب الثلاثين من كتاب الكافي بإسناده عن الباقر(عليه السلام): «يعني لو استقاموا على ولاية أميرالمؤمنين عليّ(عليه السلام) والأوصياء من ولده وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقاً، يقول لأشربنا قلوبهم الإيمان والطريقة هي الإيمان بولاية عليّ والأوصياء.«

اذن فالعترة هم ماء الحياة وعيش العلم، كما ورد في الباب المائة من كتاب الكافي «إن مستقى العلم من بيت آل محمّد(عليهم السلام.«(

ولما كان للقرآن منازل ودرجات حتى العرش، فان العترة المحمّدية هي في أحسن وأعلى منازله ومراتبه وبما أ نّهم مرزوقون بمعرفة حقائق الأسماء العينية فهم مطّلعون على البطون والأسرار وتأويلات آيات القرآن، بل هم القرآن الناطق.

»وانّ ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة» نعم العترة معصومة وعليّ(عليه السلام) (الّذي هو رأس السلسلة في العترة) معصوم، وهو الوحيد بين أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المختص بالعصمة، انّه خليفة الله وخليفة رسوله والقائم مقام أحسن منازل القرآن، فلابدّ أن يكون معصوماً، ولو قال ابن متويه غير هذا الجانب الحقّ...

سُئل الخليل بن أحمد البصري أُستاذ سيبويه وواضع علم العروض:

»ماهو الدليل على أنّ عليّاً إمام الكلّ في الكلّ؟ فقال: احتياج الكلّ إليه وغناه عن الكلّ» كذلك عنه في نفس الموضوع: «إحتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكلّ دليل على انّه إمام الكلّ.«

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي في الباب السادس من (الفتوحات المكية) في بحث الهباء «فلم يكن أقرب إليه قبولا في الهباء إلاّ حقيقة محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) وأقرب الناس إليه عليّ بن أبي طالب(رضي الله عنه) إمام العالم وسرّ الأنبياء أجمعين.«

لقد كان أمير المؤمنين(عليه السلام)بين الخلق

كالمعقول بين المحسوس

يقول الشيخ الرئيس في الرسالة المعراجية: ان مركز الحكمة وفلك الحقيقة وخزينة العقل أميرالمؤمنين(عليه السلام) هو بين الخلق كالمعقول بين المحسوسات.

هذه العترة إمام الكلّ في الكلّ، وإمام العالم، وسرّ الأنبياء أجمعين، فهم بين الخلق كالمعقول بين المحسوس، وهم

أحسن منازل القرآن، أي انّهم الحكيم، وتبيان كلّ شيء، وكلّ الصفات الّتي عددناها للإنسان الكامل وتحدثنا عن بعضها إجمالا.

فالإناء المنكوس الّذي ظهره إلى السماء ووجهه إلى الأرض لا تجتمع فيه ولا قطرة من الماء النازل من السماء إذا نزل عليها المطر، خلافاً لما لو كانت مفتوحةً صوب السماء فإنّ الله لا يترك الفم الجائعة بلا طعام.

في الكافي بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر قال: «القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان فأيّهما كانت منه غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ولا يطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن»(29.)

ليس للقلب قرار ولا للتجلّي تكرار

ليس للقلب توقّف، انّه متقلّب على الدوام، ولا تكرار في التجلّي، لهذا فانّ أي اسم من أسماء الله تعالى لا يتكرر، فمثلا الاسم الشريف (النور) له ظهور خاص في كلّ آن )كُلَّ يَوْم هُوَ فِي شَأن) فكلّه شأن واليوم زمان الظهور، وفي كلّ آن ظهورات وتجليات لا متناهية، وصاحب القلب أحقّ في قبول تجلّيات الحقّ، لا صاحب العقل، فهذا عقال، والقلب في تقلّب وتنوّع، فللذاكر حالة خاصة في كلّ حال وهو ذاكر اسماً بمعنىً في كلّ حال، وذلك الاسم يكون بمعنى آخر في حال أُخرى. فمثلا عندما ينادي المريض والجائع والضال الله فالأوّل يناديه بـ (يا شافي) والثاني (يا رزّاق) والثالث (يا هادي.(

ان نزول البركات والتجلّيات في القلب المفتوح هو من فيض قلب عالم الإمكان، وهذا معنى الهجرة أي أن تترك مدينة خلقك وتتوجه إلى مدينة أُخرى أي التوجه من عالم الطبيعة إلى ما وراءها.

»لا يقع اسم الهجرة على أحد إلاّ بمعرفة الحجة في الأرض فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر»(30.)

فهذه الهجرة إعراض عن النشأة العنصرية، وفي هذا الاعراض بركات فيها التمثلات النورية في موطن خيال صقع للنفس الناطقة الّتي هي مظهر الاسم الشريف (المصور (والمجبولة على محاكاة الهيئات الادراكية.

ان النوم والاحتضار والتنويم المغناطيسي وأشباهها ونظائرها لا موضوعية لها في حصول التمثلات، وهي ملاك إعراض النفس عن النشأة العنصرية، والأحوال هنا للتوجه التام والحضور الكامل هناك (فِي مَقْعَدِ صِدْق عِنْدَ مَلِيك مُقْتَدِر) قال الإمام الصادق(عليه السلام): «القلب حرم الله فلا تُسكن في حرم الله غير الله.«

تجدد الأمثال والحركة الجوهرية

ان جميع التجليات هي مظاهر ومجال متصلة وغير منقطعة كما انّه لا وجود لأي تراخ بين التجلّيين في أي اسم وعين، وان التعبير بـ (ف) و (ثم) هو لتقدم رتبة القبلي على البعدي.

القلب (وخاصة قلب الإنسان الكامل) هو مرآة ظهورات التجليات المستمرة هذه، وإن ظهورات التجليات المستمرة هذه هي تجديد الخلق في كلّ آن، وهو ما لا يحس به الإنسان حتى بنفسه إذ لم يكن قبل ذلك ثم صار كائناً. يقول تعالى: (بَلْ هُمْ فِي لَبْس مِنْ خَلْق جَدِيد) ، وتجديد الخلق هذا هو تجدد الأمثال كما أشرنا سابقاً.

العجيب ان الإنسان في ترقٍّ مستمر، لكنه غير ملتفت لذلك للطافة ورقّة الحجاب.

ان تجدد الأمثال سار في الإنسان والعالم، سواءً العاري من المادة أو المملوء بها. ان لطافة الحجاب ورقته تعني ان الصانع (جلّت عظمته وعلا صنعه) متفرد في التصوير، ولا يمكن للغير أن يلتفت إلى تجدّد الأمثال الّتي ينشئها متتابعة، بل ان المحجوبين لا يرون ولا يتصورون إلاّ شيئاً واحداً، والحجاب هو هذه المظاهر المتكررة ذاتها، فهي حجب الذات.

كما لو وقف شخص إلى جانب النهر الّذي يسير الماء فيه بسرعة، فانّه يرى صورته ثابتة في الماء مهما امتد الزمان وجرى الماء، مع ان صورته تتكرر بتكرر انعكاس الصور في الماء الجديد الّذي يسير خلق بعضه، مع اننا نعلم أن ماء النهر لا قرار له. وهكذا الصانع الماهر المصور الّذي هو كلّ يوم في شأن، له القدرة على أن يوجد تجدداً في أمثلة من الطبائع والقوى والأملاك والعقول في الموجودات بحيث يتصور انّها نفس الصور السابقة والقديمة.

ان الحركة الجوهرية سارية في عالم الطبائع المادي فقط (لكاتب هذه السطور رسالة وجيزة في تجدد الأمثال وفرقها عن الحركة الجوهرية مع تحقيق وتقرير في مسائلها ومطالبها بصورة مستوفية.)

ذكر الحلقة في الجنّة «يا عليّ»

على الرغم من أن القلب ليس له قرار ولكني أتبرك بذكر الحلقة الّتي في الجنّة واترك البحث: «في الأمالي بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنّ حلقة باب الجنّة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقّت الحلقة على الصفحة طنّت وقالت يا عليّ.»

حبذا لو اخترع أرباب الصناعات حلقة يكون رنينها يا عليّ.

لقد تم الفراغ من تأليف هذه الرسالة في سحر ليلة الثلاثاء 22 شوال المكرم سنة 1400 هـ .ق.

(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ)

قم ـ حسن حسن زاده الآملي

---

(1)نهج البلاغة.

(2)مقدمة شرح القيصري في الفصوص: 57.

(3)الكافي للكليني: فضل العلم 39/1.

(4)نهج البلاغة.

(5)أُصول الكافي: 308/2.

(6)أمالي الصدوق: المجلس الأوّل 4.

(7)نهج البلاغة: الخطبة 187.

(8)الزمر: 24.

(9)الشعراء: 193.

(10)البقرة: 97.

(11)شرح النهج : 413/2 ط الحجرية.

(12)شرح النهج : 25/19 ط مصر.

(13)شرح النهج لابن أبي الحديد: 316 ط 1.

(14)الأسفار: 63/4 ط 1.

(15)مسند أحمد بن حنبل: 26/5.

(16)تفسير البرهان: فضل سورة يس.

(17)لقمان: 28.

(18)الكهف: 109.

(19)أُصول الكافي: 444/2 رواية عن الصادق.

(20)أُصول الكافي: 446/2.

(21)مجمع البحرين للطريحي في مادة: ج م ع.

(22)هود: 2.

(23)النحل: 90.

(24)الوافي: 64/14.

(25)نهج البلاغة: خطبة 58.

(26)نهج البلاغة: خطبة 152.

(27)شرح ابن أبي الحديد: 352/1 ط حجرية.

(28)الجن: 17.

(29)أُصول الكافي: 309/2.

(30)نهج البلاغة: الخطبة 187.